



سُلْطَنَة عُـمَّـان
وَزَارَة الثَّرَاثِ العُـمـيِّ وَالثَّغَاثِ
الْمُنْتَدَى الدَّوْلِيّ

فِرَاجَاتٌ فِي فِكْرٍ العُوتَبِي الصَّحَارِيّ

حصاد الندوة التي أقامها المنتدى احتفاءً بذكرى المرحوم العوتبي الصحاري

الفترة : من ١٦ - ١٧ رجب ١٤١٦ هـ -
الموافق ٩ - ١٠ ديسمبر ١٩٩٥ م

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ٢١٩٩٨



سَلْطَنَة عُومَان
وَزَارَة التَّوْرِثِ الْعُومِي وَالْعَمَّانَة
الْمُسْتَنْشِدَة الْأَوَّلِي

فِرَاءَاتٌ فِي فِكْرِ العُوتَبِي الصَّحَارِي

حصاد الندوة التي أقامها المنتدى احتفاءً بذكرى المرحوم العوتبي الصحاري

أَعَدَّ لِلطَّبْعِ
مُحَمَّدُ عَلِي الصَّلِيلِي

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ٢٠٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الاصدار

الحمد لله العزيز المتعال القائل في محكم كتابه ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ونصلي ونسلم على رسول الله أدى الامانة وصدع بالحق المبين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وبعد ؛

فقد شاءت العناية الالهية لهذه الأمة أن تكون أمة رسالة حق تحملها وتوصلها للبشرية كوكبة من العلماء تصدروا بعلو همتهم وسعة ثقافتهم مجالات الفكر والعلوم ؛ لم تشغلهم الدنيا بزخرفها أو تبهرهم النظريات والاشكال البراقة بوهجها؛ بل اصطنعوا بجدهم واجتهادهم مناهج علمية متكاملة طرحوا عبرها قضايا امتهم من اوسع أبوابها ؛ ساعدهم على هذا وذاك عقل متفتح جعلهم على مر التاريخ يفتخرون بسمو رسالتهم وعلو مكانتهم.

لقد كان علماؤنا وادباؤنا جهابذة في كل علم طرقوه وقد عرف بذلك الكثيرون نذكر منهم - على سبيل التمثيل لا الحصر - الامام جابر بن زيد وابا عبيدة مسلم بن ابي كريمة والفراهيدي وابن دريد وابن بركة والكدمي والبسيوي وابا نبهان والخليلي والسالمي وغيرهم.

وقد نكون اقرب من هذه النماذج في اشارتنا لهذا الاصدار الذي نحاول فيه -عبر قراءة تصبو إلى التآني- سبر اغوار العلامة المحقق والنسابة اللغوي الفقيه المؤرخ سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري الذي قرأ عن الأولين والمتأخرين ؛ فأختزنت ذاكرته كل رائع جميل من علومهم.

والله نسأل التوفيق والهداية ، نعم المولى ونعم النصير

أسرة المنتدى الأدبي

القراءات

مرتبة حسب الاحرف الهجائية

للعلماء والاساتذة المشاركين

في الندوة

القراءة الأولى
معجم الابانة للعوتبي

المنهج - اللغة - المادة المعجمية
طبيعتها - مصادرها

د. ابراهيم الدسوقي
جامعة السلطان قابوس

١ - تمهيد

- ١- ١ - بين «علم المعجم» و «الصناعة المعجمية»
- ١- ٢ - الشروط التي يجب توافرها في المعجم ووضعه
- ١- ٣ - العرب وصناعة المعجم

٢ - معجم الإبانة

- ٢- ١ - المؤلف
- ٢- ٢ - المنهج
- ٢- ٣ - المادة المعجمية : طبيعتها ، مصادرها
- ٢- ٤ - تفسير المعنى

٣ - اللغة في معجم الإبانة

- ٣- ١ - مقدمة
- ٣- ٢ - الأصوات
- ٣- ٣ - الصرف
- ٣- ٤ - النحو
- ٣- ٥ - الدلالة

٤ - الخاتمة

٥ - المصادر والمراجع

١ - تمهيد :

١ - ١ - بين « علم المعجم » و « الصناعة المعجمية »

المعجم هو « مرجع يشتمل على كلمات لغة ما ، كلها أو جمهرتها ، مرتبة - في الغالب - ترتيباً هجائياً مع تفسير معنى كل منها ، وذكر معلومات عنها ، من نطق ، وصيغ ، واشتقاق ، ومعان ، وتكون الكلمة مادته الرئيسية »^(١) . فالكلمة من ناحية معناها ، ودلالاتها المركزية هي بؤرة اهتمام المعجم ، والدلالة المركزية هي القدر المشترك من المعانى للكلمة في السياقات المختلفة من غير أن يجوزها إلى التخصيص الذي تتطلبه الكلمة حين تدخل في الاستعمال . فنحن ساعتهذ نكون أمام مستويين من مستويات المعنى .

١ - المعنى المعجمي : وهو المعنى العام المشترك في كل السياقات .

والمعنى السياقي : وهو المعنى الخاص المرتبط بالكلمة المعنية فى سياق لغوى ، أو غير لغوى معين .

وقد يكون المعجم أحادي اللغة ، أو ثنائي اللغة ، أو متعدد اللغات ، وقد يكون معجماً عاماً أو معجماً خاصاً ، وقد يكون معجماً للألفاظ ، أو معجماً للمعاني ، وقد يكون ترتيبه صوتياً أو أبجدياً ، أو ألفبائياً^(٢) ، أو بحسب القافية فكل معجم منها يختط لنفسه هدفاً محدداً . ويصمم المعجم بحيث يؤدي إلى تحقيق هذا الهدف مع وفائه بوظيفة إزالة الإبهام والإخفاء عن الكلمات - كما يقول ابن جني - فإذا كانت (عجم) قد « وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء ، وضد البيان والإفصاح » فصيغة أفْعَل « يراد بها السلب والنفي ، وذلك نحو أَشْكَيْتُ زيداً ، إذا أزلت له ، ما يشكو »^(٣) . كما في أشكلت الكتاب . إذا أزلت إشكاله .

وقد ظهر في الوقت الحاضر مصطلحان يجب الإشارة إليهما هما :

Lexicology

- علم المعجم

Lexicography

- الصناعة المعجمية

فعلم المعجم هو : « دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة ، أو في عدد من اللغات . ويهتم علم المعجم من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ ، وأبنيته ، ودلالاتها المعنوية والإعرابية ، والتعابير الاصطلاحية ، والمترادفات وتعدد المعاني »^(٤) فهو منصب على دراسة

(١) المعجم العربي . بحوث في المادة والمنهج والتطبيق . رياض زكي قاسم . دار المعرفة . بيروت ٧/د م ص ١٩ .

(٢) انظر معجم علم اللغة النظري . محمد علي الخولي . مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٧٤ .

(٣) انظر تاج العروس . مادة ع . ج . م .

- وسر صناعة الإعراب . ابن جني . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة ١٩٥٤ . ٣٨/١ - ٤٠ .

(٤) علم اللغة وصناعة المعجم . علي القاسم . عمادة شؤون المكتبات . جامعة الملك سعود . الرياض . ط ٢ ١٩٩١ ص ٣ .

- وقضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً . محمد رشاد الحمزاوي ، منشورات المعهد العالي لعلوم التربية . تونس ١٩٨٢ م ص ١٥٦ .

المعجم دراسة علمية من ناحية العلاقة بين الألفاظ والمعاني ، والعلاقة بين الألفاظ بعضها البعض ، والنظرية اللغوية التي يقوم عليها المعجم .

أما الصناعة المعجمية فهي : «تقنية تعتمد مناهج مختلفة في جمع مادة المعجم ، ووصفها وترتيبها» وهي تقوم على خطوات أساسية خمسة وهي : «جمع المعلومات والحقائق ، واختيار المداخل ، وترتيبها طبقاً لنظام معين ، وكتابة المواد ، وأخيراً نشر الإنتاج»^(١) .

والفرق واضح بين المصطلحين ولكل طبيعة عمل مختلفة ، فإذا كانت الصناعة المعجمية هي «فن زخرفة» فإن علم المعجم يعتبر «علماً» يدرس في بنية هذا الفن .

ولا غنى لأي لغة من اللغات عن «صناعة معجمية» وعن «علم المعجم» باعتبارهما مستوى من مستويات الدراسة اللغوية إلى جانب الأصوات ، والصرف ، والتركيب والدلالة والأسلوب ، واللغة العربية واحدة من اللغات التي برع أهلها في هذا الجانب ، وخرجت المعاجم المختلفة من ناحية المادة ، أو من ناحية الترتيب ، ولا زال هذا العطاء مستمراً بثناء.

١ - ٢ - الشروط التي يجب توافرها في المعجم

المعجم الجيد هو «المعجم الذي تستطيع أن تجد فيه ما تريد ، وتجد ما تريد من المحاولة الأولى»^(٢) . فمهمة المعجم هي أن يتناول «الكلمة ضمن حدود مرسومة لا يتجاوزها بقصد تحديد دلالتها ، أو تفسير معناها ، أو بيان مؤداها»^(٣) . وعلى ذلك فهو يقدم لمستخدمه الكلمة وما يتصل بها من معارف صوتية وصرفية إلى جانب معناها المعجمي ، ومعناها السياقي - إن أمكن - ويكون ذلك في الإطار المرسوم سواء كان هذا الإطار وصفيًا (سنكرونيًا) أو تاريخيًا (دياكرونيًا) . ومن ثم يجب على المعجم لكي يفي بهذا الغرض أن يتوافر فيه الشرطان التاليان^(٤) .

١ - شرح الأشكال المختلفة للكلمة سواء أكانت هذه الأشكال متعددة من وجهة النظر الوصفية ، أي في مرحلة معينة من مراحل اللغة ، كان توجد الأشكال المختلفة فيها جنباً إلى جنب في زمن واحد ، أم من وجهة النظر التاريخية بأن يقول إن هذه الكلمة كانت في القرن

(١) علم اللغة وصناعة المعجم ص ٣ .

(٢) انظر : علم اللغة وصناعة المعجم . علي القاسمي ص ١٣٦ نقلاً عن :

Hass, Marty, R. "What belongs in a bilingual Dictionary" In householder and Sporta 48.

(٣) المعجم العربي . رياض زكي قاسم ص ٢٣٥ .

(٤) انظر مناهج البحث في اللغة . تمام حسان . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ٣٥-٣٦ .

الفلاني كذا ، وأصبحت فيما بعد كذا ، ثم الت إلى كذا وهو ما يعرف بعلم الأصول اللغوية Etymology^(١).

٢ - تقسيم المادة بحسب تعدد المداخل الفرعية فيها ، والاستشهاد على كل ما يقال مع الإتيان بتحديد صرفي لكل قسم فرعي . كان يبدأ بالأفعال (الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي ثم السداسي) ثم الأسماء ويكون الاستشهاد على المداخل من ناحية وضعها الصرفي ووضعها الدلالي . ويجب ألا يقتصر الاستشهاد على مرحلة زمنية بعينها . فكما يهتم باللغة القديمة عليه أيضاً أن يهتم بالتركيب اللغوية المعاصرة ؛ فاهتمام المعجم الرئيسي «ينصب في حقيقة الأمر على اللغة في حالتها الراهنة. وعلى هذا الأساس فإن للمحررين الحق في اقتباس الشواهد من المؤلفين المعاصرين . بصرف النظر عن أفضلية إنتاجهم الأدبي أو خلوده»^(٢) . ويدخل في إطار هذا الاستشهاد معان أخرى للكلمة حين تدخل في سياقات أخرى مختلفة، فيصير المعنى متعدداً أو محتملاً في إطار المعجم بعد أن كان واحداً محدداً في إطار سياق الجملة الواحدة . وهذا هو أهم ما يميز المعنى المعجمي عن المعنى السياقي «فتعدد المعنى واحتماله من جهة ، وتحدده وتعيينه من جهة أخرى هو الفارق الأساسي بين الكلمة التي في المعجم ، واللفظ الذي في السياق»^(٣). فالكلمة في السياق لها معنى واحد ، وتتعدد معانيها بتعدد سياقاتها التي ترد فيها ، وتعدد المصاحبات التي تصاحبها ويمكن التمثيل على ذلك بالفعل «ضرب» في السياقات التالية:

- فاعل (إنسان) + مفعول (إنسان) في (ضرب زيدَ عمراً) يكون المعنى: (عاقب)
- فاعل (لفظ الجلالة) + مفعول (معنوي) في (ضرب الله مثلاً) يكون المعنى: (ذكر)
- فاعل (إنسان) + مفعول (جماد بناء) في (ضرب قبةً) يكون المعنى: (أقام)
- فاعل (إنسان) + مفعول (جماد معدن) ضرب العملة يكون المعنى: (صاع)
- فاعل (إنسان) + مفعول (معنوي) في (ضرب له موعداً) يكون المعنى: (حدد)
- فاعل (إنسان) + مفعول (معنوي) في ضرب (٦ × ٥) يكون المعنى: (حسب)
- فاعل (إنسان) + مفعول (طبيعة مجرور) في (ضرب في الأرض) يكون المعنى: (سعى)

(١) ليس في اللغة العربية معجم تاريخي كامل على غرار معجم اكسفورد في اللغة الإنجليزية . اللهم إلا محاولات متناثرة هنا وهناك ، كما في الجزء الأول من معجم «المرجع» للشيخ عبد الله العلايلي .
(٢) انظر علم اللغة وصناعة المعجم . على القاسمي . ص ١٤٣ نقلاً عن :
(٣) Marck wardt, Albert H. "Dictionaries and English Language" English Jorنال 53 (1963).
انظر مناهج البحث في اللغة . تمام حسان . ص ٢٤٤ .

- العرب وصناعة المعجم

برع العرب أيما براعة في صناعة المعجم ، فخرجت المعاجم متعددة الأهداف والاتجاهات وكذلك متعددة المناهج والأساليب . ويمكن أن نميز من بين هذه المناهج والأساليب ما يلي :

معاجم الألفاظ ، ومعاجم المعاني أو ما يسميه ابن سيدة : المعاجم المجنسة ، والمعاجم المبوبة^(١) وتضم معاجم الألفاظ هذه المعاجم التي تجمع المفردات وترتيبها حسب حروفها ، أو حسب وزنها الصرفي وتضم معاجم المعاني المعاجم التي تجمع المفردات حسب المعنى كالألفاظ المترادفة ، والأضداد ، والمشارك اللفظي إلخ .

أما معاجم الألفاظ فقد ظهرت بأشكال عدة على النحو التالي^(٢) :

١ - معاجم الترتيب حسب مخارج الحروف ، وأشهرها : كتاب العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) . وكتاب البارع لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) وكتاب تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) . ومختصر العين للزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) والمحيط للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) .

٢ - معاجم الترتيب حسب الحرف الأخير ، وأشهرها . كتاب التقفية للبندنجي (ت ٢٨٤ هـ) ولسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) والقاموس المحيط للفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ) وتاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) .

٣ - معاجم الترتيب حسب الحرف الأول وأشهرها : أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) والمصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠ هـ) وكل المعاجم العربية التي ظهرت حديثاً ومنها المعجم الوسيط .

٤ - معاجم الترتيب حسب الوزن الصرفي كالأسماء والأفعال ، والأوزان المجردة والمزيدة كما في ديوان الأدب للفارابي (ت ٣٥٠ هـ) وشمس العلوم لنشوان .

وقد كان كل معجم من هذه المعاجم يحاول أن يكون مدرسة وحده بما يقدمه من جديد يميزه عن المعاجم الأخرى ، ولكن هذه المعاجم كانت تسعى لأن تكون موسوعات علمية وأدبية إلى جانب الأهداف الخاصة التي وضعتها نصب أعينها كخدمة الدرس الصوتي ، أو خدمة الأدباء والشعراء ، أو خدمة القارئ العادي . وكان هذا الاتجاه الموسوعي على حساب المادة اللغوية ، فقد حظيت ببعض الجهد لا كله . وأدى ذلك إلى ظهور المآخذ التالية :

(١) المخصص. ابن سيدة. تحقيق عبد السلام هارون . دار الجيل . بيروت ط١ : ١٩٩١ م ص ١٠ .

(٢) المعجم العربي ، حسين نصار . مكتبة مصر . القاهرة ١٩٨٨ م . ص ١٧٤ وما بعدها .

والمعاجم العربية . عبد السميع محمد أحمد . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٨٤ م ص ٢٠ وما بعدها

١ - عدم تحديد مستوى التدوين ، هل هو الفصحى أو اللهجات . فالإقتصار يجب أن يكون على مستوى واحد منهما ، ولكن صانعي المعاجم العربية لم يضعوا ذلك نصب أعينهم ، ومن ثم جاءت مادتهم اللغوية خليطاً من الفصحى واللهجة ، ولا شك أن هذا الخلط بين اللهجات والفصحى . قد أدى إلى جعل مهمة الوصول إلى الصيغة الصحيحة أمراً صعباً .

٢ - عدم وجود ترتيب داخلي في مادة الجذر اللغوي . وليس هناك تناول مطرد يبدأ بالأفعال ثم الأسماء ، وعند تناول الأفعال يبدأ بالمجرد بالثلاثى والرباعى ثم المزيد بحرف أو بحرفين أو بثلاثة أحرف ، وعند تناول الأسماء يبدأ بالمصدر ثم الأسماء المشتقة وكان من جراء غياب هذا المنهج في المعاجم الفرعية أن ظهرت مشكلات مثل :

معالجة الصيغة الواحدة في أكثر من موضع من المادة كما في مادة ح . م . ل في القاموس المحيط فنجده يعالج (احتمل). ثم (تحامل)، ثم (استحمله)، ثم عاد إلى الثلاثى مرة أخرى، وفي آخر المادة يعود إلى (احتمل) مرة أخرى^(١).

٣- الميل إلى الاستطراد أحياناً - بإيراد كثير من الحكايات والمعلومات غير اللغوية التى تنقل كاهل المعجم . وكان بالإمكان الإشارة إليها في مظانها المتخصصة ، كحكاية بنات همام بن مرة . وحكاية البسوس ، وحكاية صنع الدواء وقوائده ، وفوائد بعض الأعشاب والنباتات..... إلخ^(٢) مما ضخم المعجم ، وكان على حساب مادته اللغوية .

٤ - الإبقاء على الحوشي والمهجور ، وربما يكون عذرهم في هذا أنهم يجمعون كل مفردات اللغة (المستعمل منها وغير المستعمل) فهم حريصون على تدوين كل ما يسمعون من العرب الأوائل . واكتفى اللاحقون بالأخذ عنهم دون فحص أو تدقيق ، ومن ثم اكتفوا بالنقل عنهم . وإن كان هذا الأمر قد استمر حتى وقتنا هذا . فقد وردت ألفاظ حوشية في المعجم الوسيط مثل الهصاهص ؛ أي القوي من الناس أو الأسود ، والهلولوع : الناقة السريعة الشديدة . والناقة الدوصاء : التى تكسرت أسنانها ، والدرفارس : أي الضخم العظيم من الإنسان أو الحيوان .

٥ - كثرة التصحيقات التى راح يستدرکہا اللغويون على واضعي المعاجم ، أو يستدرکہا واضعو المعاجم اللاحقون على السابقين كما في كتاب «التنبية والإيضاح» لابن بري ، و «نفوذ السهم لخليل بن أيبك الصفدي ، «والتنبية على حدوث التصحيف» لحمزة

(١) انظر القاموس المحيط مادة ح . م . ل .
وانظر كذلك لسان العرب مادة ر . س . م حيث يعالج المصدر الرسم . ثم رسم والأسماء الرواسم ، ورسم (مرة أخرى) ، ورؤوسم ، والرسم ، والرسوم ، والرسم . والفعل الثلاثى (مرة أخرى)
(٢) انظر القاموس المحيط مادة (ق . ن . ف) و (ب . س . س) و (ت . ر . ق) .

الأصفهاني، و «الجاسوس على القاموس» لأحمد فارس الشدياق ، و «تصحیحات لسان العرب» لأحمد تيمور ... إلخ .

فقد حاولت المعاجم الحديثة تفادي الكثير من هذه المأخذ ؛ حتى تخرج ويشغل جانب اللغة فيها الجانب الأساسي ، وما عداه لا يكون إلا في حدود توضيح المادة اللغوية ويمكن أن تمثل على ذلك بالمعجم الوسيط الذي صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٢ - معجم الإبانة :

٢ - ١ - المؤلف :

معجم «الإبانة» من وضع «أبي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم العوتبي الصحاري العماني . وقد أضيف عليه المؤرخون كثيراً من الصفات منها ، الشيخ، العالم، العلامة، الماهر ، الحبر ، الفقيه ، الطاهر^(١) الإمام ، النزيه ، وإطلاق هذه الصفات دليل على أن شخصية المؤلف قد حوت التميز في العلم والدين معاً . ولم يعثر محقق كتاب «الانساب» أو كتاب «الضياء» على ترجمة كاملة له ، وإن كان قد أرجع تاريخه إلى القرن الخامس الهجري^(٢) . وله كتب كثيرة في الفقه واللغة والتاريخ .

أما معجم الإبانة فقد نسخ الجزء الأول منه عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد بن راشد بتاريخ : نهار السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من سنة سبع وستين وتسعمائة هجرية ، ونسخ الجزء الثاني سليمان بن ماجد بن ناصر الحضرمي الفَرَقِي العماني ، انتهى منه يوم الجمعة ليومين مضياً من شهر رمضان المبارك سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعين حيث نسخه لسيدته ورب نعمته الشيخ العالم الرضي النزيه عامر بن خميس بن مسعود المالكي^(٣) .

ويهدف المؤلف من وضع هذا الكتاب إلى إظهار معاني الكلمات التي اختارها ورتبها . والدليل على ذلك أنه أطلق عليه الإبانة يقول «وسميته بكتاب الإبانة ، ومعنى الإبانة في اللغة الظهور والوضوح من قولهم : بان الصبح : إذا ظهر ضياؤه»^(٤) وإن كانت هذه الكلمة تشير إلى معاني أخرى مثل الإعراب عن المعنى في : «قد أعرب فلان عن كذا» : إذا، أبان ، والانفصال في «بان الشيء» عن الشيء ، إذا انفصل ، ولكن المعنى المقصود في هذه التسمية هو التوضيح والإظهار ، وقد ساعد على اختيار هذا الاسم لإطلاقه على المعجم ، أن الإبانة مظهر من مظاهر اقتدار العرب يقول «للعرب إقدام على الكلام ، وتوسع وهجوم على جليل المعاني، ودقيقها حتى انهم ليخرجون بكلام من رفع إلى نصب وخفض ، ومن نصب إلى خفض ورفع ، ومن خفض إلى رفع ونصب، ومن مذكر إلى مؤنث، ومن مؤنث إلى مذكر بالإضافة، كل ذلك لاقتدارهم على الفصاحة والإبانة، فهم يفصحون كيف نطقوا ، ويصييون بما أطلقوا ، وهم يطيلون إذا كانت الإطالة أوضح للإبانة»^(٥) .

(١) انظر الإبانة : ١/٢ ، ٥٥٥/١ ، ٥٦٦ (مخطوط) .

(٢) انظر . مقدمة كتاب «الانساب» للعوتبي . وزارة التراث القومي والثقافة . سنة ١٩٩٢ م ص ٤ .

(٣) مقدمة الإبانة ١/١ ، ١/٥ .

(٤) الإبانة : ٢٢٥-٢٢٦ .

٢ - ٢ - المنهج :

وقد لخص العوتبي منهج هذا الكتاب بقوله «هذا باب تفسير شيء من الكلام الجاري بين الناس ، على توالي حروف المعجم إلى آخرها ، ثم نختتم الكتاب بشيء من الألفاظ العربية ، والمعاني اللغوية ، والأبيات المعنوية»^(١).

فهذا النص يشرح منهج المؤلف بإيجاز شديد فهو :

* **يفسر شيئاً ، وكلمة الشيء تفيد التبعية هنا ، والتبعية يعني أنه لا يجمع كل مفردات اللغة ، بل يكفي بقدر منها ، يرى المؤلف أنه في حاجة إلى توضيح وإظهار .**

* **وكذلك يشير إلى الأساس الذي تم عليه اختيار هذا الكم من المفردات وهو الجريان على الألسنة ، فهي كلمات شائعة معروفة في الاستعمال اللغوي ، لكن هناك من لا يعرف معناها ، فآثر أن يقوم بسد هذا النقص متخذاً هذا الهدف الذي وضعه نصب عينيه من البداية . يقول «فسرت شيئاً من الكلام الجاري على ألسنتهم لا يعرف معناه ، ولا يقف على فحواه دون الغريب الذي لا يتكلمه إلا متفهيق ، ولا يتكلمه إلا متعمق ، ولا يحسن أن يؤتى به إلا في الشعر والخطب»^(٢) ، فالكلام هو الكلام الجاري على الألسنة وليس الغريب منها الذي لا يأتي إلا في الشعر والخطب ، وعلى ألسنة المتفهيقين ، والمتعمقين .**

* **وقد حدد المؤلف مساحة المفردات التي سيتعامل معها ، إذ إن موقفنا من مفردات اللغة ينحصر في مستوى من المستويات التالية :**

- هناك ما نعرفه ونستعمله .

- وهناك ما نعرفه ولا نستعمله ولكننا نفهمه حين يستعمله الآخرون .

- هناك ما لا نعرفه ولا نستعمله وهو الغريب .

ويتعامل بذلك مع غير المفهوم من الألفاظ المستويين الأولين :

* **وقد رتب الكلمات التي وقع اختياره عليها «على توالي حروف المعجم إلى آخرها»^(٣) أى يعتمد جذر الكلمة ، ويرتبها بحسب الحرف الأول ، وفقاً لما تسير عليه المعاجم الحديثة ، ورأى في هذا النظام مساعداً على أن يكون المعجم «أسهل معرفة ، وأقل كلاماً»^(٤) .**

* **ويرى المؤلف أن هذا المعجم يجب أن يكون زائداً ثقافياً لمستعمله فأمدّه «بشيء**

(١) السابق : ١ / ٣١٠ .

(٢) السابق : ١ / ١ .

(٣) السابق : ١ / ٣١٠ ، وانظر : ١ / ١ .

(٤) السابق : ١ / ١ .

من الألفاظ العربية ، والمعاني اللغوية » ، وكذلك لم يغفل الشعر الجميل ، والحكمة فأمدّه بالآبيات المعنوية والأمثال المعروفة . والقصص المشوق - كما سيأتى بيانه .

إذا - فالمعجم لتوضيح ما يجرى على ألسنة الناس ولا يفهمون معناه ، مرتباً وفق حروف المعجم ، ومزوداً بالأمثال وآبيات الحكمة .

أما عن منهج المعجم في ترتيب مواده فيمكن ملاحظة ما يلي :

١ - أنه يقوم على ترتيب الكلمات بحسب الحرف الأول من الجذر ، فيبدأ بحرف الألف ثم الباء ، ثم التاء ، ثم الثاء إلى آخره حتى يصل إلى آخر حروف المعجم .

٢ - أن ترتيب الجذور تحت الحرف الواحد يدل على أن هذا المعجم كان محاولة أولية لحشد الجذور والكلمات التي ستعالج تحت هذا الحرف ، وكانت هذه المحاولة في انتظار محاولة ثانية للنظر في ترتيب المفردات ترتيباً داخلياً . ولكن هذا لم يتم ، وإن كنا لا نستبعد أن يكون المؤلف قد وضع هذا في حسابه ، ولكن هناك ما منع من القيام به كالانشغال بموضوعات أخرى ، أو لعجلة المنية التي وافته قبل القيام بإتمام هذا العمل ، فأثر تلاميذه الإبقاء عليه بشكله الذي تركه عليه شيخهم دون تدخل .

ويمكننا أن نستدل على ذلك بهذا الاختيار العشوائي من حرف العين الذي جاء متتابعاً على هذا النحو :

ع.ص.ر / ع.ش.و / ع.ت.م / ع.ص.م / ع.ي.ش / ع.ق.ر / ع.ض.ل / ع.ن.ي /
ع.د.ن / ع.د.د / ع.ر.ض / ع.ق.د / ع.ص.ي / ع.ط.د / ع.ر.ك / ع.ر.ق / ع.ب.ط /
ع.ج.ب / ع.ى.ب / ع.ب.أ / ع.د.ل / ع.ب.ر / ع.ص.د / ع.ق.ر / .

فهذه عينة وردت في الإبانة بنفس الترتيب . وهي في حاجة إلى إعادة نظر لكي يتم ترتيبها وفقاً للحرف الثاني والثالث من الجذر حتى يتحقق مبدأ السهولة في الوصول إلى الجذر فتكون على هذا النحو :

ع.ب.أ / ع.ب.ر / ع.ب.ط / ع.ت.م / ع.ج.ب / ع.د.د / ع.د.ل / ع.د.ن / ع.ر.ض /
ع.ر.ق / ع.ر.ك / ع.ش.و / ع.ض.د / ع.ص.ر / ع.ص.م / ع.ص.ي / ع.ض.م /
ع.ط.ع.ط / ع.ط.و / ع.ق.د / ع.ق.ر / ع.ن.ي / ع.ي.ب / ع.ي.ش .

وقس على ذلك أية مادة من أي حرف من حروف المعجم .

٣ - كان يلجأ في علاج المادة إلى فكرة التقلب التي بدأها الخليل بن أحمد في معجم العين ولكن هذا اللجوء لم يكن شاملاً لكل الجذور التي عالجه ، فجاء متناثراً في ثنايا المعجم ومن ثم فهو تقليب جزئي كما في : أ.وب - أ.ب.و / ب.ي.ن - ب.ن.ي / ب.ه.و -

ب.و.هـ / ب.غ.ي - ب.ي.غ / ب.ر.خ - ب.خ.ر / ب.ل.خ - ب.خ.ل / خ.ل.ب - خ.ب.ل /
 / ج.ل.ف - ج.ف.ل / ج.ر.ج - ج.ج.ر / خ.ل.و - خ.و.ل / خ.ل.ب - خ.ب.ل / خ.ر.ف -
 - خ.ف.ر / ش.ت.م - ش.م.ت / ع.ي.ب - ع.ب.ي / غ.ي.ض - غ.ض.ي / ق.ن.و -
 ق.و.ن / ق.س.ر - ق.ر.س / ق.أ.ر - ق.ر.أ / ق.ر.ب - ق.ب.ر ... إلى آخره .

فالتقليب لم يشمل كل الجذور المعروضة ، ولم يكن تقليباً تاماً ، بل اكتفي بصورة
 واحدة من صوره . فلم يذكر عندما تحدث عن (خ.ر.ق) سوى التقليب (خ.ق.ر) ، ولم
 يذكر (ر.خ.ق) و (ر.ق.خ) وكذلك (ق.خ.ر) و (ق.ر.خ) التي ربما يكون قد عالجه تحت
 بابي الراء ، والفاء ، طبقاً للترتيب على حروف المعجم ، ويكون هذا تمشياً مع ترتيب كلمات
 المعجم بحسب الحرف الأول فقط .

٤ - قد يلجأ إلى معالجة الجذر الواحد في أكثر من موضع في الباب الواحد ، ويمكن
 أن نستدل على ذلك بالجذور التالية :

- (خ.ل.ف) الذي عالجه بعد : (خ.ج.ل) ، وبعد (خ.ر.غ) .
- (ح.ل.ف) الذي عالجه بعد : (ج.ز.ف) ، وبعد (ج.ب.س) .
- (ح.م.ل) الذي عالجه بعد : (ح.ن.ن) وبعد (ح.م.م)
- (ح.ف.ظ) الذي عالجه بعد : (ح.ض.ض) وبعد (ح.ب.ب)
- (ح.ذ.ق) الذي عالجه بعد : (ح.م.د) وبعد (ج.ب.ر)
- (ج.ب.ل) الذي عالجه بعد : (ح.ج.ج) وبعد (ح.ل.س)
- (ر.ب.ب) الذي عالجه في أول الحرف ، ثم عالجه بعد : (ر.ب.و) وبعد (ر.و.ع) وبعد
 (ر.أ.ف) وبعد (ر.ج.ز)

- (س.د.د) الذي عاقله بعد : (س.ي.د) وبعد (س.م.م)
 - (س.ن.ن) الذي عالجه بعد : (س.ب.ل) وبعد (س.و.ي)
 - (ش.م.ط) الذي عالجه بعد : (ش.م.ت) وبعد (ش.ي.ب)
 - (ق.ط.ط) الذي علاجه بعد : (ق.م.ط.ر) وبعد (ق.ط.ن) .
- والأمثلة على ذلك جد كثيرة :

ومعالجة مثل هذه الجذور في حاجة ماسة لتجميعها في مكان واحد حتى تتمشى
 أيضاً مع عنصر «السهولة» في تحصيل الإفادة .

هـ - في علاجه للأجوف يعالج الذي عينه واو ، في نفس المكان الذي يعالج فيه الذي عينه ياء ، كما في : س.ي.د - س.و.د / غ.و.ل - غ.ي.ل / ف.ي.ج - ف.و.ج فليس هناك التزام بتقديم الياء أو الواو ، بل تارة يقدم هذه ، وأخرى يقدم تلك .

٦ - أن التقسيم الكمي للجذور (من ناحية الثنائية والثلاثية والرابعة) لم يكن له وجود في ترتيب جذور المعجم . فقد يرد الثنائي في آخر الباب كما في س.ن.ن ، س.ي.ي ، س.ب.ب .

وقد يكون في أول الباب كما في : ق.د / ق.ط / ق.د.د / .

وقد يكون متناثرًا في ثنايا الباب كما في : ق.ط.ق.ط / ق.م.ق.م / ق.د.م.س / ق.ل.م.س / وبعد عدد من الجذور يكون . ق.ص.ق.ص. - وبعد عدد من الجذور يكون : ق.ن.ق.ن / وبعد عدد آخر يكون ق.ل.ي.س / ق.ل.ن.س / ق.ل.س.ن .

٧ - أن القضايا اللغوية والدينية قد دخلت أساسًا في الترتيب ، فنراه يبدأ الباب بقضية لغوية ، كما في حرف الألف حيث يبدأ بشرح وظائف الألف في اللغة ، والمعاني التي تحملها ، وكذلك الباء ، والتاء وما تتعرض له من إبدال في صيغة الافتعال ، والسين حيث يبدأ بكلمة سبعة ، والعين حيث يمكن قلبها همزة في «عن» التي تكون : «أن» وكذلك الفاء (وحروف العطف).

أو يبدأ الحرف بقضية دينية كما في باب الزاي حيث يبدأ بمادة «ز.ه.د» فيشرح معنى الزهد يقول : «وقولهم زاهد ومزهد ، الزاهد : القليل الرغبة في الدنيا ، والمزهد القليل المال.....»^(١) فالمفترض أن تكون بداية المادة «ز.أ.أ» . ولكنه يبدأها ب (ز.ه.د) ليتخذ من الزهد مادة يبدأ من خلالها حرفه المعجمي . وكذلك الصاد حيث يبدأ الحرف بمادة : «ص.ل.و» فيشرح معنى الصلاة يقول : «الصلاة مع العرب على أربعة أوجه : تكون الصلاة المعروفة التي فيها الركوع والسجود ، ومنه : «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» . ومنه الصلاة : الترحم .. ، والصلاة الدعاء ... والصلاة الدين»^(٢) .

والضاد حيث يبدأ الحرف بمادة : «ض.ل.ل» فيشرح معنى الضلالة . يقول «وقولهم : فلان ضلّ أي جائر عن القصد غير مهتد إليه ... ورجل مضللّ : لا يوفق لخير ، صاحب غوايات وبطالات وأضاليل ...»^(٣) فبداية الحرف جذر يكون مدخلًا لقضية دينية .

(١) الإبانة : ٧١/٢ .

(٢) السابق : ١٨٥/٢ - ١٨٦ .

(٣) السابق : ٢٢٨/٢٠ - ٢٢٩ .

والطاء والقاف ، حيث يبدأ الحرف بمادة «ط.ه.و.» و «ق» فيشرح معنى الأحرف التي تأتي في أوائل السور : «فواتح السور» «ق» «طه» : أمر من الله تعالى لنبيه - عليه السلام - أن يطا على الأرض بجمع قدميه ، وذلك أنه لما نزل عليه الوحي كان يمشي على أطراف أنامله ... وعن بعض المفسرين أنه قال طه بالعبرانية : يا رجل...»^(١) .

ويقول في حرف «القاف» قاف في القرآن مختلف فيه . قال مجاهد هو جبل أخضر من زمرد محيط بالخلق ، قاله الضحاك . هو من زمردة خضراء محيط بالسماء فخضرة السماء منه ، «قال الحسن قاف . فاتحة السورة ، وفي موضع آخر عنه أنه اسم سمى الله تعالى به القرآن ، ثم أقسم به .. ويقال هو اسم من أسماء الله تعالى»^(٢) .

ومن ثم كانت للقضايا اللغوية ، والقضايا الدينية السيطرة على ذهن المؤلف حيث يبدأ الحرف بكلمة تكون منطقاً لشرح هذه القضية أو تلك ، والاستفاضة فيها ، وتقديم الآراء المأخوذة عن العلماء والمفسرين بشأنها .

٨ - أن الأوزان الصرفية ربما تكون أساساً من أسس عرض المادة ففي باب التاء نرى أنه يقوم على جمع لصيغ الأفعال التي تبدأ في الماضي بحرف التاء كما في وزن تُفَعِّل : تولِّج ، وتوسِّم ، وتربِّس ، وتَبْسِقُ ، وتَجْلُجُ ، وتَبْلُمُ ، وتَعْدُرُ ، وتَنَكِّجُ ، وتَحْيِلُ ، وتَشْرُدُ ، وتصلف ، وتبجج ، تطول ، وتجرم وتشعب وتثبت ، وتدمر ، وتشقق ، وتقبل ، وتمني ، تكفل ، وتلمس وتفيض ، وتردي ، وتصور ، وتشبث ، وتخلص إلخ .

أو وزن تفاعل في تناوش ، وتعانق ، وتجانب ، وتباعد ، وتعالى . وتفعّل في : تاللاً ، وتتمتم و تميم .

وكذلك في حرف الالف يعالج الوزن الصرفي أفعال فيعالج أغمم ، وأنزع ، وأقرع ، وأصلع ، وأمرد ، وأحمق ، وأرذل ، والأفعال مثل أضحى ، أدرى ، وأبرد ، وأسخن ، وأنشأ ، وأربى ، وأدلى .

في حين أنه كان يجب تجريد كل هذه الصيغ ومعالجة كل صيغة تحت الحرف الأول من حروف جذرها .

٩ - تداخل مواد حرف معين في مواد حرف آخر كما في :

مادة ج.ب.ل تحت حرف الحاء - ٥٠٦/١

مادة ج.ه.ل تحت حرف الحاء ٥٠٦/١

(١) الإبانة : ٤٦/٢ .

(٢) السابق : ٤٧٨-٤٧٩/٢ .

- مادة ج.ر.ع تحت حرف الحاء ٥١١/١
- مادة و.ش.و.ش تحت حرف الشين ١٥١/٢
- مادة أ.ب.ش . ر تحت حرف الشين ١٥٢/٢
- مادة ق.ط.ع تحت حرف الطاء ٢٤٣/٢
- مادة ي.ق.ن تحت حرف الفاء ٤٠٩/٢
- مادة ج.ف.ق تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ف.ل تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ل.ب تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ب.ن تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ز.ر تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ر.ض تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.م.ش تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ر.ش تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ر.س تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ر.ش تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ل.س تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ج.ن.س تحت حرف التاء ٤٦٤/١
- مادة ث.و.ي تحت حرف التاء ٤٦١/١
- مادة ث.ي.ب تحت حرف التاء ٤٦١/١
- مادة ث.ن.ي تحت حرف التاء ٤٦١/١
- والأمثلة جد كثيرة متناثرة في ثنايا المعجم .

١٠- الاعتماد على المنهج المقارن (بين العربية والعبرانية) والمنهج التقابلي (بين العربية والفارسية) في علاج كثير من مواد معجمه . وخاصة عندما تكون الكلمة من الدخيل .

ويمكن أن نستشهد على ذلك بمادة : ر.ع-ي يقول الشيخ : « قيل : أرعنا سمعك .. وكانت اليهود تتساب بينها بهذه الكلمة »^(١) . ويقول أيضاً : « أن لفظ العرب والعجم إذا اتفقا ، حمل ذلك على المراد والمعنى لا على اللفظ .. مثل ذلك : أن الزور بالعجمي : القوة ، فإن شهد أعجمي بشهادة اللسان الأعجمي ، وقال بالفارسية : دادم بزور ، أي شهدت على فلان شهادة قوية ، ولم يصرف ذلك على أنه شهد بزور ، لأن الزور بالفارسية القوة . وبالعربية الباطل . وكذلك كل لفظة بالعربية شاكلت العبرانية والفارسية باللفظ وفارقتها في المعنى ، فالحكم للمعنى »^(٢).

٢ - ٣ - المادة المعجمية في الإبانة :

المعجم مرجع يلجأ إليه مستخدم اللغة أو مستقبلها للتعرف على معنى كلمة أو تعبير صادفه ، أو يريد أن يستعمله ، ولكنه لا يفقه معناه . ومن هنا يكون شرح المادة في المعجم كاملاً وافياً من ناحية المنهج إذا اشتمل على الأمرين التاليين^(٣) :

١ - شرح الأشكال المختلفة للكلمة ، سواء كانت هذه الأشكال متعددة من وجهة النظر الوصفية (السنكرونية) ، كان يكون للكلمة أكثر من شكل أو أكثر من معنى في مرحلة زمنية معينة من مراحل اللغة ، أو كانت من الناحية التاريخية (الدياكرونية Diacronic) وذلك بأن يكون للكلمة أشكال مختلفة ، كل شكل منها يحقق مرحلة من المراحل .

٢ - تقسيم المادة بحسب تعدد المداخل الفرعية فيها ، والاستشهاد على كل مدخل مع الإتيان بتحديد صرفي لكل قسم فرعي : كان يكون فعلاً ، أو اسماً ، وإذا كان فعلاً فترتب أوزانه المجردة ، والمزيدة بحرف أو حرفين أو أكثر .. وكذلك الأسماء .

ومعاجمنا العربية معنية بالجانب الوصفي للغة ، فليس هناك معجم تاريخي بالمعنى المشار إليه سابقاً كان يقول : «إن هذه الكلمة كانت في القرن الفلاني كذا ، وأصبحت فيما بعد كذا ، ثم آلت إلى كذا»^(٤) .

ومعجم الإبانة يدخل في إطار اتجاه المعاجم العربية وهو الجانب الوصفي ويقدم المادة ، ويعرض لضبطها ، والاشتقاق الصرفية منها ، كالمصدر ، الاسم ، والجمع بأشكاله المختلفة ، ثم يعرض للمشكلات الصرفية التي تقتضيها معالجة هذه المادة ، مستعيناً في ذلك بالاستشهاد . ويمكن أن نستدل على ذلك بالمثال التالي في معالجته لمادة : ز.ر.ع يقول :

والزَّرْعُ : معروفٌ ، والله يَزْرَعُهُ ، أي : ينميه حتى يبلغَ غَايَتَهُ ، قال الله تعالى ﴿ أَأَنْتُمْ

(١) السابق : ٤٣-٤٤ .

(٢) انظر : نتائج البحث في اللغة تمام حسان : ٢٣٥-٢٣٦ . وانظر : المعجم العربي - رياض زكي قاسم ص ٥٤٦-٥٤٧ .

(٣) المعجم العربي . رياض زكي قاسم : ص ٢٤٧ .

تزرعونه أم نحنُ الزارعون ﴿١﴾ . والمَزْرَعَةُ : الأرضُ التي يَزْرَعُ فيها ، يقال فيها : مَزْرَعَةٌ ومَزْرَعَةٌ (بضم الراء وفتحها) ، ويقال للصبي : زَرَعَهُ الله ، أي : بَلَّغَهُ اللهَ تمامَ شبابه ، والمُزْدَرِعُ الذي يَزْرَعُ لنفسه زَرْعًا خصوصًا هو مُفْتَعِلٌ ، دخلت الدال بدل تاء مُفْتَعِلٌ . وكذلك يصير تاء افتعل بدل الزاي ، والدال ، إلا أنها تحسُن مع الحروف ، وهم الَّذِينَ يقولون : اجمعوا ، بمعنى : اجتمعوا وهي أقبحها ، والمفعول به : مُزْدَرِعٌ قال :
واطلب لنا منهم نخلاً ومُزْدَرِعًا كما لجيراننا نخلٌ ومُزْدَرِعٌ^(٢)

ففي هذا النص :

- الصبغ الصرفية المشتقة من الجذر الفعل يزرعه ، والاسم الزرع ، والمزرعة وصيغة الافتعال : مُزْدَرِعٌ .

- الضبط للصيغة في : مَزْرَعَةٌ ومَزْرَعَةٌ (بضم الراء وفتحها) .

- وزن الصيغة في : مُزْدَرِعٌ ... وهو مُفْتَعِلٌ

- تفسير معنى الصيغة في : الله يزرعه ، أي ينميه حتى يبلغ غايته ، والمزرعة الأرض التي يزرع فيها ، والمُزْدَرِعُ . الذي يزرع لنفسه زرعًا خصوصًا .

- الاستشهاد على المعنى سواء كان هذا الاستشهاد بالقرآن الكريم في الآية المذكورة بالنص ، أو بالشعر ، كما في البيت المذكور .

مصادر المادة :

وقد استقى العوتبي مادته من مصادر عديدة ، هذه المصادر تتراوح بين القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي الأصيل ، وأقوال العرب . وهي المصادر التي اعتمدت عليها المعاجم العربية لكي تقدم اللغة العربية الصحيحة . وإن كان من حقه أن يعتمد اللغة المعاصرة له ، حيث ينبغي أن يكون اهتمام المعجم الرئيسي هو اللغة في حالتها الراهنة . من ناحية الاعتماد على المؤلفين المعاصرين ، بغض النظر عن أفضلية إنتاجهم الأدبي أو خلوده ، ولكنه لم يفعل ، واعتمد على النصوص القديمة فقط وما رواه اللغويون من اللهجات .

واعتمد كذلك تفسيرات الصحابة كأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وكذلك عائشة ، وابن عباس ، وأبي هريرة - يرضي الله عنهم - وغيرهم .

(١) الواقعة : ٦٤ .

(٢) الإبانة : ٩٠/٢ - ٩١ .

واعتمد كذلك على أقوال اللغويين في كثير من المسائل مثل : أبي عمرو ابن العلاء (ت ١٤٥ هـ) والخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) ، والأخفش (ت ١٧٧ هـ) ، والمفضل الضبي (ت ١٧٨ هـ) والكسائي (ت ١٨٢ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) وأبي زيد النحوي (ت ٢١٥ هـ) والأصمعي (ت ٢١٦ هـ) والسجستاني (ت ٢٤٨ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ... وغيرهم كثيرون .

وأحياناً يقول : «قال النحويون»، و «قال جماعة من أهل اللغة» ، و«قال بعض أهل اللغة»، و«من أقوال اللغويين» و«يقول بعض اللغويين» و«قال ذلك أهل اللغة»^(١) .

وورد في نص المعجم ذكر لكثير من علماء الحديث والقراءات والفقهاء من أمثال مجاهد ، وعكرمة ، وشهر بن حوشب، وأبي عبد الكريم ، سعيد ابن المسيب، والعبراني ، وابن رحالة وسعيد بن مسموح ، واللحياني، ومحمد ابن الحنفية، والجرامزي، والحسن، وحمزة، وأحياناً يقول : «أصحاب الحديث» .

ولا يفوته أن يشير إلى مصدر اللغة الأصلي وهم العرب قائلًا : «قول بعض العرب» ، «لأن العرب تقول» ، و«حكى عن بعض العرب»^(٢) . ويمكن أن نستشهد بالمثال التالي : يقول الشيخ في علاجه لمادة : ب.ض.ع :

والبَضْعُ من العدد : ما بين ثلاثة إلى عشرة ، وقيل تسعة ، وفسر قوله «في بَضْعَ سنين»^(٣) أي سبع سنين ، وقيل تسع ، وقال أبو عبيدة : ما لم يبلغ العقد ولا نصفه ما بين الواحد إلى الأربعة ، وقيل من ثلاثة إلى تسعة ، وعن أبي عبيد ، ما بين ثلاث وخمس . (وقال قتادة : ما بين الثلاث والتسع والعشر .) وقال الأخفش : من واحد إلى عشرة ، (الفراء في قوله تعالى ﴿قلب في السجن بَضْعَ سنين﴾^(٤) ذكروا أنه لبث سبعًا بعد خمس بعد قوله : ﴿أذكرني عند ربك﴾^(٥) قال والبَضْع ما دون العشرة ، ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ألم ، غُلِبَتِ الرُّومُ﴾^(٦) ناحب أبو بكر قريشًا فقال له رسول الله - ألا أخبطت ، فإن البَضْع ما بين السبع والتسع^(٧) .

٢ - ٤ - تفسير المعنى :

(١) انظر على التوالي : ١/٥٢٠ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٢/٢٣٤ ، ٣٩٦ .

(٢) انظر أيضًا على التوالي : ١/٤٥٠ ، ٢/١٣١ ، ٣٨١ .

(٣) الروم : ٤ .

(٤) يوسف : ٤٢ .

(٥) يوسف : ٤٢ .

(٦) الروم : ١ و ٢ من سورة

(٧) الإبانة : ١/٤١٥ .

يأخذ تفسير المعنى لدى واضعي المعاجم العربية شكلاً من الأشكال التالية:

١ - التفسير بالمغايرة : أي باستخدام كلمات مثل ضد ، وخلاف ، ونقيض ، كالحقبة ضد الثقل ، والضعف خلاف القوة ، والسُّهْد والسُّهَاد نقيض الرُّقَاد .

٢ - التفسير بالكلمة الواحدة كما في جيب : تكبر ، التربُّخ الاسترخاء .

٣ - التفسير بأكثر من كلمة : من خلال استخدام العبارة المصدرة بكلمات مثل إذا ، والذي وهو ، وما ، وأي ، كما جمعت الجيش تجميلاً : إذا أطلت حبسه ، والأعجم : الذي لا يفصح ، والنارجيل ، وهو : الجوز الهندي . والعجامة : ما عجمته ، وجزيت فلاناً حقه أي . قضيته .

٤ - تفسير الدخيل أي تفسير كلمة دخلت العربية ، وهي غير عربية ويفسرهما بالعربية كما في السُّبْحَة . قميص له جيب . قالوا هو بالفارسية شَبِّي^(١) .

٥ - التفسير بالسياق اللغوي وهو اعتماد المصاحبة . فعلاقة المعنى «لا ينبغي أن تفهم على أنها علاقة ثنائية بين اللفظ وما يشير إليه ، بل على أنها مجموعة من العلاقات المتعددة الأبعاد ، وهي أساس علاقة وظيفية بين اللفظة في الجملة ، وسياقات حدوثها كما يقول مالينوفسكي^(٢) .

٦ - تفسير المادة بالسياق السببي ، وهو التعليل لاستعمال الصيغة اللغوية على النحو الذي ذكرت فيه ، ويتم ذلك باستخدام : لأنّ ، وإنما ، ولمّ ، كما في تفسير ابن فارس لكلمة الساق يقول : والساق للإنسان وغيره ، والجمع سَوَقٌ ، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها^(٣) ، و «إنما سمي الإعراب إعراباً لتبيينه وإيضاحه» واختلف الناس في العرب لم سُمُوا عرباً^(٤) . فهذه وسائل يعتمد عليها واضع المعجم .

٧ - تفسير المادة بالسياق الاجتماعي : أي الاهتمام بنبض الواقع الاجتماعي الذي تدوّل فيه الكلمة في أدق ملامحها ، ويحمل هذا التفسير الاجتماعي إلينا «سياق الحال الذي عاشته دلالتها نطقاً بين الناس» . من أمثال القصص التي تحكي ، والأمثال التي ترد .

فعند تحديد معني الصيغة قد يذكر الشيخ الضدّ ، أو المرادف ، أو العبارة التي تشرح المعنى مستعيناً بالسياق اللغوي ، والسياق الاجتماعي الذي وردت فيه ، معللاً لهذا التفسير إن كانت هناك ضرورة لذلك ، وإن كان لم يعتمد طريقه الاستعانة بالصورة كما تعتمدها

(١) مقاييس اللغة : ١٢٥/٣ .

(٢) انظر المعجم العربي : رياض زكي قاسم ص ١٣٣ .

(٣) مقاييس اللغة : ١١٧/٣ .

(٤) اللسان مادة : عرب .

المعاجم الحديثة واكتفى بالتفسير بالوسائل السابقة .

والنص التالي يمكن أن يكون دليلاً على هذا القول . يقول في تفسير مادة ر.و.ع «والأَرُوع من الرجال : من له اسم ، وخفارة ، وفضل وسؤدد ، وهو بَيْنُ الرَّوع . وتقول : رَاعِنِي سمعك . أو أَرَاعِنِي أي استمع . وأرعي فلان إلى فلان أي استمع إليه . وكان المسلمون يقولون : يارسول الله - راعنا أي استمع منا . فخرقت اليهود فقالت : راعنا يا محمد ، ويلحدون إلى الرعونة ، يريدون النقيصة ، والوقية فيه . فلما عوتبوا قالوا : نَقول كقول المسلمين . فنهى الله عن ذلك ، فقال : ﴿ لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنّا ﴾^(١) وكان الحسن يقرأ : «وراعنا لياً بالسنتهم» بتنوين ، ومعناه : لا تقولوا حقاً ، من الرعونة . وتقرأ بلا تنوين في البقرة ، (قال الزجاج . قد قيل في «راعنا» بلا تنوين ثلاثة أقوال : مثل أَرَعْنَا سمعك ، وكان المسلمون يقولون للنبي ﷺ - أَرَعْنَا سمعك ، وكانت اليهود تتساب بينها بهذه الكلمة ، وكانوا يسبون النبي - عليه الصلاة والسلام - في بيوتهم ، فلما سمعوا هذه الكلمة اغتموا أن يُظهروا سبّه بلفظ يسمعه ، ولا يلحقهم في ظاهره شيء ، فأظهر الله النبي ﷺ والمسلمين على ذلك ، ونهى عن الكلمة . (وقيل هو من المراجعة ، والمكافأة ، فأمرُوا أن يخاطبوه بالتعزير والتوقير ، فقيل لهم : (لا تقولوا راعنا) ، أي كافئنا في المقال كما يقول بعضكم لبعض ، وقولوا (انظرنّا) أي : امهلنا واسمعوا ، كأنه قيل لهم اسمعوا .

وقال قوم : راعنا : كلمة كانت تجري مجرى الهزؤ والسخرية فنها أن يلفظوا بها في حضرة النبي عليه افضل الصلاة والسلام - وقول اليهود : اشتقوه من أَرَعْن ، والأرعن : الاحمق قالوا : إنا لنشتمه في وجهه ، فلما نزلت هذه الآية قال سعد لليهود : لئن قالها رجل منكم لأضربن عنقه . (وقال أبو صالح : راعنا هي بلغة اليهود سبٌ قبيح ، فلما قال المسلمون للنبي عليه الصلاة والسلام - راعنا سمعك ، قال اليهود : هذه أحب إلينا من كذا وكذا لأنها سبّة ، وكنا نسرّها ، فالآن نظهرها إذ قالها المسلمون . قال أبو عبيدة هذه من راعيت ، (ويقال : أَرَعْنِي سمعك ، ورَاعِنِي سمعك أي : اسمع إليّ وراعنا (بالتنوين) كأنها سبّة وبالعربية (قال الحسن بن إسماعيل^(٢)) وفي نهى الله عن قول «راعنا» وهي عربية لا مكروهة لأنها شاكلت بالعبرانية معنى مكروهاً دليل على أن لفظ العرب والعجم إذا اتفقا، حمل ذلك على المراد والمعنى ، لا على اللفظ ، وكان الحكم فيها مصروحاً إلى المعنى ، مثل ذلك أن الزور بالعجمي : القوة فإن شهد أعجمي بشهادة اللسان الأعجمي وقال بالفارسية : دادم بزور ، أي : شهدت على فلان شهادة قوية ، لم يُصرف ذلك إلى أنه شهد بزور ، لأن الزور بالفارسية القوة ، وبالعربية الباطل ، وكذلك كل لفظة بالعربية شاكلت العبرانية والفارسية باللفظ وفارقتها في معنى^(٣)،

(١) البقرة : ١٠٤ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيدة : صاحب كتاب المخصص (ت ٤٥٨هـ) .

(٣) معجم الإبانة : ٤٤-٤٢/٥ .

فالحكم للمعنى وتقول : رَعَنَ الرجلُ يَرَعُنُ رَعْنًا ، وهو أَرَعَنُ أهوج ، والمرأة رَعْناء ، والرعن من الجبال ليس بطويل، وجمعه رَعُون ، وقيل هو الطويل ...».

هذا النص - على طوله - يمكن أن يكون صورة لطريقة الشيخ في معالجة المادة المعجمية ، فهو :

يفسر المعنى : فيفسر الأروع ، وراعني وارعني ، وارعني فلان إلى فلان ، والرَعَن ويستشهد بالآية القرآنية : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿وَرَاعِنَا لِيَا بِالسَّنْتِهِمْ﴾^(٢) ويستعين بالقراءات وكان الحسن يقرأ : ﴿وَرَاعِنَا لِيَا بِالسَّنْتِهِمْ﴾ بتنوين ويشير إلى التخريجات الواردة في الكلمة، (قال الزجاج قد قيل في راعنا بلا تنوين ثلاثة أقوال : قيل ارعنا سمعك .. وقيل هو المراعاة والمكافأة .. قال أبو صالح : راعنا هي بلغة اليهود سب قبيح .. وقال أبو عبيدة : هذه من راعيت ، ويقال ارعني سمعك وراعني سمعك أي اسمع

ثم يستفيد من القصص في تفسير معنى كلمة وهي قصة اليهود مع كلمة راعنا، ويجد نفسه أمام مقارنة بين اللغة العربية واللغة العبرية في تفسير كلمة، وهي «راعنا» فيذكر قصة اليهود الذين استخدموا كلمة «راعنا» بمعناها في لغتهم وهو السب والسخرية ، على مسمع من العرب حيث يكون معناها من المراعاة، فظن اليهود أنهم بذلك قد نجوا من ناحية الظاهر من لوم المسلمين في نفس الوقت الذي عبروا فيه عما في نفوسهم المريضة ، فظاهر الله الرسول الكريم والمسلمين عليهم ، ونهاهم عن استخدام هذه الكلمة ، وخرج بهذا الحكم وهو أن «لفظ العرب والعجم إذا اتفقا ، حمل ذلك على المراد ، والمعنى لا على اللفظ ، وكان الحكم فيه مصروفًا إلى المعنى».

وهو على هذا النسق يمضي مع مواد معجمه ، بحسب ما يقتضيه سياق الشرح فيقدم في التفسير الوسيلة المناسبة ، وفي الاستشهاد ما يراه مؤيدًا للمعنى المشار إليه قرآنًا ، أو حديثًا ، أو شعرًا ، أو نثرًا ، مؤيدًا قوله بأقوال المفسرين ، واللغويين ، وأهل الحديث .

(١) البقرة : ١٠٤ .

(٢) النساء : ٤٦ .

٣ - اللغة في معجم الإبانة :

٣ - ١ - مقدمة :

المعجم هو عرض ألفبائي للكلمات التي تشكل متن اللغة ، مع جميع الحقائق المتعلقة بالصيغة والمعنى والتاريخ ، وطريقة التلفظ والتطور . ويشمل تقديم المعلومات الصوتية والصرفية الخاصة بالكلمة التي تساعد في فهمها ، سواء كان هذا العرض وصفيًا أو تاريخيًا ، وتشمل الحقائق المتصلة بالمعنى دلالة الصيغة سواء كانت هذه الدلالة قاموسية ، أي المعنى العام للصيغة أم كانت دلالة سياقية ، أي يعرض لها من خلال سياقات مختلفة . (هذا يعني أن المعجم ملتقى للدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية في هذه اللغة إلى جانب الدلالة ، ومن ثم يجب أن يكون واضع المعجم ملماً بهذه الدراسات كي يقدمها في سياق مادته المعجمية . وإن كان غير ملزم باتباع مدرسة بعينها أو نظرية بذاتها ، ولعل هذا ما حدا بالبعض إلى القول بأن الصناعة المعجمية «ليست علماً بل هي فن» و «ربما لن تصبح علماً أبداً فهي فن معقد ودقيق ، وبالعكس الصعوبة أحياناً يتطلب تحليلاً ذاتياً ، وقرارات اعتباطية واستنتاجات حديثة»^(١) .

وحينما ننظر في معجم الإبانة نرى أن اللغة بمستوياتها المختلفة ، تمثل ركناً أساسياً من أركانه . والدليل على ذلك أنه عالجه في صورتين :

أولاً : في هذه المقدمة التي وضعها لمعجمه ، فهذه المقدمة تستغرق من الصفحة الأولى إلى الصفحة التاسعة بعد الثلاثمائة (١-٢٠٩) يعالج فيها الكثير من مسائل اللغة الصوتية . كأمراض الكلام وما منع منه اللسان كاللفظ بالسكان ، والوقوف على متحرك ، واللفظ بحرف واحد ، والجمع بين ساكنين ، وأصوات العربية الأصلية والفرعية ، والأصيلة والدخيلة ... إلخ . والمسائل الصرفية كالاشتقاق ، والتقسيم الكمي للكلام الثنائي أو الثلاثي والرباعي ، وأسماء الأفعال ، وخصائص الكلمة العربية ، ومما ليس في الكلام العرب ، وأوزان كلام العربي في الأسماء والأفعال ، وصياغة المصدر ... إلخ . والمسائل التركيبية كالكلام وأقسام الكلام ، وأنماط الكلام ، وصحيح الكلام ، والمستقيم والغلط ، وأصناف كلام العرب : الحديث ، والخبر ، والخطبة ، والرسائل ، واللغو . ومعاني الكلام من ناحية الخبر والإنشاء ، والاستفهام والدعاء والأمر ، والنهي والطلب ، والتمني والتعجب والعرض ، والمستقيم في الكلام ومالا يستقيم ... إلخ .

ولم يغفل الشيخ التعرض للوحة الجمالية بعد أن عرض لهذه القضايا التي تخص

(١) علم اللغة وصناعة المعجم . على القاسمي ص ٤ ، ٥ .

الصحة اللغوية . فعرض للسان والفصاحة ، وفصاحة الرسول والفصحاء من أهل عمان ، وقصص من أسواق العرب ، ومن بلغاء العرب وزهادهم ، والبلاغة ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة والكناية ، والإيجاز والاطناب والمساواة ، إلخ . والمقدمة متن في اللغة وقضاياها سواء على مستوى اللغة أو على مستوى البلاغة والفصاحة .

ثانياً : معالجة اللغة في ثانيا المادة المعجمية ، ويمكن أن نجد مستويات اللغة المختلفة متناثرة في ثانيا المعجم على مستوى الأصوات ، والصرف ، والتركيب ، والدلالة ، كل بحسب حاجة المادة المعجمية التي يعالجها . وقد نظن للوهلة الأولى أن هذا يعتبر تكراراً ، والحقيقة أن هناك تكراراً في بعض الموضوعات كمخارج الأصوات حيث عالجه في المقدمة ، وعالج كل صوت على حدة في بداية بابه ، ولكن هناك كثيراً من الموضوعات كانت دراستها في المقدمة دراسة نظرية بينما هي مدروسة في سياق المادة المعجمية دراسة تطبيقية على مادة بعينها وعلى كلمة بذاتها . وكذلك قد يكون في المادة المعجمية باعتبارها واقعاً مدرّساً ، مجال لأفكار أخرى لم ترد في المقدمة النظرية ، وإذا جاز لنا أن نصف هذه العلاقة بين اللغة في المقدمة النظرية ، واللغة في المادة المعجمية وكانت العلاقة بينهما هي علاقة التكامل ، فهما وجهان يكمل كل منهما الآخر ، لا يغني أحدهما عن الآخر وفيما يلي عرض لبعض القضايا التي تناولها في المقدمة أو في المادة المعجمية .

٣ - ٢ - الأصوات :

لا غنى لواضع المعجم عن معرفة القواعد الصوتية للغة التي يضع في مفرداتها معجماً ، لأن معرفة هذه القواعد ستعينه على معرفة كيف تلفظ الكلمة ، وهي مهمة أساسية من مهام المعجم ، «والتلفظ جزء أساسي من الوصف اللغوي الذي تهتم به المعجمات»^(١) ونظراً لهذه الأهمية لتلفظ المفردات فقد ظهرت في الإنجليزية معاجم متخصصة في توضيح طريقة التلفظ حيث «تشمل الطرائق المتباينة لتلفظ كل كلمة من غير أن يتطرق إلى معاني الكلمات أو تاريخ تطورها أو غير ذلك»^(٢) .

فالأصوات ذات أهمية إذا «أدت إلى اختلاف في الكلمات ، وتعد الفروق في الكلمات هامة إذا أدت إلى فرق في معنى الجمل»^(٣) وهنا تظهر قيمة المعنى باعتباره «صورة من صور القيم الخلافية»^(٤) التي تفرق بين كلمة وأخرى تقف جنباً إلى جنب مع القطع ، والنبر ، والتنغيم لتحديد هوية الكلمة ، وبالتالي تحديد معناها المعجمي ، ووظيفتها في بنية الجملة .

(١-٢) انظر : علم اللغة وصناعة المعجم .. علي القاسمي ص ٥٢ . ومن معاجم التلفظ هذه معجم كينون ونوت A . Konyon and Knott

pronouncing Dictionary of American English: Spring field, Mass: G & C Marrian Co 1944.

(٣) علم اللغة وصناعة المعجم ص ٧٧ عن Hill; "Lexicoeraphers Dthers and Linguistics" Language 46,1970:

245-258.

(٤) مناهج البحث في اللغة : ٢٢٢ .

ومعاجمنا العربية لم تغفل هذا الجانب ، فقد كانت - وإن لم تكن كلها - تولي اهتماماً لأصوات اللغة لكسان العرب ، ومتن اللغة ، والمعجم الوسيط «ففى هذه المعاجم نجد الإشارة إلى أصوات اللغة في صدر كل باب من الأبواب، وجاءت على نسب متفاوتة من ناحية شرح طريقة نطق هذه الأصوات، ومخرجها من الفم ، وبيان خصائصها مستعملة في اللغة ، أو طريقة اثتلاف هذه الأصوات في التركيب اللغوي»^(١).

ومعجم الإبانة واحد من هذه المعاجم التي اهتمت بالأصوات ، من ناحية المخرج ، والجره والهمس ، والشدة والرخاوة ، والقلقلة والانحراف ، والإطباق والانفتاح والاستعلاء ، وما هو من أصوات العرب وما ليس فيها ، والصامت والحركة ، والتسمية بالتقليد الصوتي . ووظيفة الصوت في بنية الكلمة ، وعلاقة الأصوات بالمعنى . وإن كان في استخدام المصطلحات قد تبع السابقين في ذلك . أما عن وصف الأصوات العربية عند العوتبي ، وما يقابلها في الوصف الحديث فيمكن أن يوضحه الجدول التالي^(٢) :

الصوت	في معجم الإبانة	في الوصف اللغوي الحديث
الألف	حرف لين هوائي - شديد	حنجري (لا بالجره ولا بالهموس) انفجاري
الباء	شفهي شديد	شفوي انفجاري
التاء	نطعي شديد	اسناني لثوي انفجاري
الثاء	لثوي رخو	مما بين الاسنان احتكاكي
الجيـم	شجري شديد	لثوي حنكي مركب
الحاء	حلقي رخو	احتكاكي
الخاء	حلقي رخو	احتكاكي
الدال	نطعي شديد	اسناني لثوي انفجاري
الذال	لثوي رخو	مما بين الاسنان احتكاكي
الراء	ذلقي تكرار منحرف مكرر	لثوي تكراري
الزاي	أسلي رخو	احتكاكي
السين	أسلي رخو	لثوي
الشين	شجري رخو	لثوي حنكي
الصاد	أسلي رخو	لثوي
الضاد	شجري رخو	اسناني لثوي انفجاري
الطاء	نطعي شديد	اسناني لثوي انفجاري
الظاء	لثوي رخو	مما بين الاسنان احتكاكي
العين	حلقي رخو	حلقي

(١) للمعجم العربي . رياض زكي قاسم ص ٢٤٢ .

(٢) انظر : مقدمة معجم «الإبانة» ص ٣٦ وما بعدها ، وانظر : بداية كل حرف من حروفه وقد كان متاثراً بما خاله الخليل بن أحمد في مقدمة كتابه «العين» . من ناحية تسمية المخرج وتوزيع أصوات اللغة على هذه المخرج . وهي إلهوائية (الوار والياء . الألف اللينة والهمزة) والحلقية (ع.ج.ح.خ) واللهاوية (ق ك) والشجرية (ج.ش.ض) والأسلية (ص.س.ز) والنطقية (ط.د.ذ) والثوبية (ظ.ذ.ث) والذلقية (ز.ل.ن) والشفوية (ف.ب.م) . انظر : العين . الخليل بن أحمد . تحقيق عبد الله درويش . مطبعة العاني . بغداد : ٦٤-٦٥ .

الصوت	في معجم الابانة	في الوصف اللغوي الحديث
الغبين	رخو	مجهور
الفاء	شفوي رخو	مهموس منفتح
القاف	لهوي شديد	مجهور منفتح
الكاف	لهوي شديد	مهموس منفتح
اللام	ذلقي متوسط	مجهور منفتح
الميم	شفوي متوسط	مجهول منفتح
النون	ذلقي متوسط	مجهور منفتح
الهاء	حلقى رخو	مهموس منفتح
الواو	هوائى	مجهور منفتح
الألف	هوائى	مجهور منفتح
الياء	شجرى	مجهورة إمائية حنيفة

مما سبق يتضح ما يلي :

١ - أن هناك اتفاقاً في استخدام بعض المصطلحات بين الاستخدام القديم والاستخدام الحديث كما في مصطلحات المخارج . شفهي : ب ، وحلقي : ع ، ح ، ولهوي : ق ، والمجهور والمهموس .

٢ - ان هناك اختلافاً في استخدام بعض المصطلحات الدالة على المخرج ، وعلى حالة مرور الهواء ، ووضع غرفة الرنين في مؤخر اللسان ، الحنك وجاءت هذه الاختلافات على النحو التالي :

في القديم	في الحديث	الاصوات
نَطْعِي	أُسْنَانِي الثَّوِي	ت.د.ط
لثوي	مما بين الأسنان	ث.ذ.ظ
شجري	لثوي حنكي	ج.ش
	أُسْنَانِي لثوي	ض
ذلقي	لثوي	ر
أسلي	لثوي	ز.س.ص
شفوي	أُسْنَانِي	ف
حلقي	أقصى الحنك	غ.خ

فهذا الجدول يعبر عن المخرج باسمين مختلفين في القديم والحديث : كالثوي الذي يح
عنه بالذلقي . في الراء ، والأسلى في الزاي ، والسين ، والصاد .

ويشير المصطلح القديم الواحد إلى مصطلحين حديثين كما في «الشجري» الذي يشير إلى
«الثوي الحنكي» في الجيم والشين ، و «الأسناني اللثوي» في الضاد ، ويستخدم
مصطلح قديم مختلف ليشير إلى نفس المخرج وهو مصطلح النطعي الذي يشير إلى
الأسناني اللثوي في التاء والذال والطاء .

أما في المصطلحات الدالة على طريقة مرور الهواء فهناك :

الأصوات الشديدة ، وهي التي يشار إليها في الحديث بالانفجارية ، حيث يحبس الهواء
الخارج من الرئتين حبسًا تامًا في منطقة المخرج ، ثم يفتح فتحًا فجائيًا ، فيخرج الهواء
محدثًا فرقعة كما في الباء ، والتاء ، والذال والطاء ، والقاف .

والأصوات الرخوة . وهي التي يشار إليها في الحديث بالاحتكاكية حيث يتم تضيق
مجرى الهواء في منطقة المخرج ، ويسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور من هذا المخرج
الضيق ، فيندفع الهواء محدثًا احتكاكًا بسقف الحنك واللسان ، وهذا ما يحدث في أصوات
مثل الثاء ، والحاء ، والخاء ، والذال ، والزاي ، والسين والشين ، والصاد والظاء والعين
والغين والفاء

أما في المصطلحات الدالة على وضع غرفة الرنين في مؤخر اللسان والحنك ، فهناك
الإطباق ، ويقابل في الحديث «التفخيم» ، حيث تتكون غرفة الرنين مع الصوت المعين ،
فيكون مفخمًا كما في : الصاد ، والضاد والطاء ، والظاء.

والانفتاح ، ويقابل في الحديث «الترقيق» حيث لا تتكون غرفة الرنين هذه فيخرج
الصوت مرققًا كما في الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والخاء ... إلخ .

ويقول الشيخ معللاً تسمية الحروف المطبقة ، والحروف المنفتحة «وسميت مطبقة لأن
اللسان ينطبق عليها» ، والحروف المنفتحة هي «كل ما كان غير منطبق من الحروف»^(١) .

٣ - أن هناك في القديم اعتماداً في التسمية على عضو واحد ، في حين أنها في الحديث
تعتمد على عضوين كما في «الشفوي» الذي يقابل في الحديث «الأسناني الشفوي» في وصف
صوت الفاء .

(١) الإبانة : ٥٢/١ .

٤ - أن هناك اختلافاً في وصف بعض الحروف على النحو التالي :

الصوت	في القديم	في الحديث
الجيم	شجري شديد مجهور منفتح	لثوي حنكي مركب مجهور مرفق
الضاد	شجري رخو مهموس مطبق	أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم
الكاف	نطعي شديد مجهور مطبق	أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم
القاف	لهوي شديد مجهور منفتح	لهوي انفجاري مهموس مرفق

فوصف الجيم الفصحى بأنه شديد يختلف عنه عند قراء القرآن الكريم حيث يتركب من الانفجار والاحتكاك .

ووصف الضاد بأنه رخو مهموس يختلف عن الوصف الحديث حيث تكون شديدة مجهورة ، ووصف الطاء والقاف بأنهما مجهورتان ، وهما في الوصف الحديث مهموستان

هذا ربما يكون ناتجاً عن الملاحظة الذاتية التي اعتمد عليها القدماء في وصف الأصوات أو ربما كانوا ينطقون هذه الأصوات بطريقة تختلف عما نطقها به الآن ، وحدث تطور كان من نتائجه هذا الاختلاف في الوصف^(١) .

ويحصر الشيخ أصوات العربية ، وما يتولد عنها من مستحسن الأصوات ومستقيحها يقول «والكلام كله أجمع من تسعة وعشرين حرفاً مع الهمزة ، غير أن الهمزة لا تقع في الكتاب ، وهي حرف كسائر الحروف . ويتولد من هذه الحروف ستة أحرف وهي من كلام العرب وغيرهم، وهذه الستة الأحرف هي:

الهمزة التي بين بين ، وذلك أنها ليست بهمزة مخففة ، ولا ألف ساكنة .

ألف الإمالة: نحو قولك : بُشِّرْ وسلِّمى ، فهذه ألف ممالاة ، وإمالتها أنهم فتحوها نحو الياء ، وليست بياء .

ألف التفخيم: نحو ألف الصلاة ، يكتبها أهل الحجاز بالواو ، وإنما هي الصلاة إلا أنها فحمت وكتبت واواً .

(١) انظر : الأصوات اللغوية د. كمال بشر . مكتبة الشباب . القاهرة د.ت ص ١٠٢ - ١٠٨ ، ١٠٩ - ١١١ ، ١٢٥ - ١٢٩ .

النون الخفيفة : التي في عنك ومنك .

والشين التي كالجيم : نحو أشدق في العظيم الشدق ، فلا هي شين ولا جيم .

والصاد التي كالزاي : نحو مصدر فلا هي صاد صحيحة ، ولا زاي خالصة ، ولكن بينهما فذلك خمسة وثلاثون حرفاً .

ثم تصير اثنين وأربعين حرفاً مع سبعة أحرف ليست من كلام العرب ، ولكنها من كلام الفرس والنبط ، وبعض أهل اليمن وغيرهم وهي :

الجسيم : بين الكاف والجيم ، نحو قول بعض أهل اليمن في الشرج الشرك وفي لجام لكام ، فلا هي جيم صحيحة ولا كاف .

الضاد الضعيفة : كقول أهل عمان ضربنى ، فلا هي صاد ولا ضاد ولكن بينهما .

الصاد التي كالسين نحو : كلام أهل بغداد سدى . يريدون صدق .

الطاء التي كالتاء نحو : كلام النبط يقولون عن علي بن أبي طالب ، يريدون : طالب فيجعلون الطاء تاء .

الظاء التي كالطاء : يقولون ظلمنى ، يريدون . ظلمنى . يجعلون الظاء طاءً .

الجيم التي كالشين : يقولون : قوم شعفر ، يريدون جعفر .

الباء التي كالفاء : يقول بعضهم فابهم يريدون بابهم فيجعلها بين الفاء والباء^(١) .

فكل حرف من حروف اللغة يتضمن مجموعة من الخصائص المميزة التي تفرده عن غيره من الحروف الأخرى ، ويورد الشيخ على لسان ابن شبيب «الذي فصل بين الحروف التي يتألف منها الكلام سبعة أشياء هي : الهمس والشدة ، والإرخاء والإطباق ، والجهر والمد ، اللين ، ويعلل لهذه الخصائص بقوله : « لأنك إذا فعلت هذا اختلفت الحروف ، واختلفت الصوت . ولو كانت مخارج الحروف واحدة لكانت بمنزلة أصوات البهائم ، ولم يفهم بها الكلام»^(٢) فكل صوت له مخرج محدد ، وطريقة في مرور الهواء ووضع للأوتار الصوتية بين الاهتزاز وعدمه ، ووضع لغرفة الرنين في مؤخر اللسان والحنك ، من حيث التكون أو عدم التكون ، ولا يتفق صوتان اتفاقاً تاماً في كل هذه الخصائص ، إذ لا بد أن يختلف الصوت عن الأصوات الأخرى ؛ إما في المخرج كما في الدال (الأسناني اللثوي) أو الباء (الشفوي). أو طريقة مرور الهواء كما في : الضاد (الانفجاري) والصاد (الاحتكاكي)

(١) انظر : معجم الإبانة : ٢٦-٢٧ .

(٢) السابق : ٥٢/١ . فالبهائم تصدر صائماً واحداً متتابعاً بحركة طويلة وتقلقه الهمزة مثل هماء . باء وهي من المقطع المديد (ص.ح.ص) .

أو في وضع الأوتار الصوتية كما في الزاي (المجهور) والصاد (المهموس) أو في تكوين غرفة الرنين كما في الظاء (المَفَخَّم) والذال (المَرَقَق) .

ثم يتطرق إلى قضية التشكيل الصوتي ، فالأصوات لا تستخدم مفردة ، بل تتضمن فيما بينها لتشكيل المقاطع ، وتتضمن المقاطع لتشكيل الكلمات التي هي مجال اهتمام مجال الصرف. وعن العلاقة بين الصامت والحركة يقول الشيخ: «والكلام كله بالعربي وغيره ، ألف من أربعة أشياء : الحرف المتحرك . والحرف الساكن ، والحركة ، والسكون ، والحرف المتحرك أكثر من الساكن ، لأن الحرف المتحرك هو حرف وحركة ، والساكن إنما هو حرف فقط ، والحركة أكثر من السكون ، لأن الحركة ترجيع ، والساكن ميت»^(١) ويقول : «والحرف قبل الحركة . لأنك تجد الحرف ولا حركة ، ولا تجد الحركة إلا في حرف . والحركة أيضاً حرف إلا أنها أقل من الحرف ، لأن الحرف مستقل بنفسه ، والحركة لا تقوم بذاتها حتى تكون مع الحرف ، والحركة هي التي تبين الحرف، وهي التي قشعت الحرف بذلك ...»^(٢) فهو بذلك يتابع فكر اللغويين العرب كالخليل ، وسيبويه ، وابن جني في إدراك الدور الذي تقوم به الحركات القصيرة فهي تبين الصوت وتجعله مُرَجَّعاً ، فهي تحرك الحرف وتقلقه ، أو تجذبه نحو الحروف التي هي أجزاءها . فالفتحة تجذبه نحو الألف ، والكسرة نحو الياء ، والضمة نحو الواو^(٣) .

ورغم أنهم اهتموا بوصف الحروف والحركات الطويلة وأوجدوا لها رمزاً كتابياً فإن اهتمامهم هذا لم يمتد ليشمل الحركات القصيرة .

ولا يفوته أن يعرض لبعض أمراض الكلام الصوتية مثل^(٤) :

الرُّتَّة	: عجلة من الكلام
والتَّمَتَّة	: أن ترى اللسان يخطئ موضع الحرف ، فيرجع إلى لفظ كأنه الباء أو الميم
والتَّائِثَة	: التردد في التاء
والتَّافَاة	: التردد في الفاء
والتَّعْفَلَة	: إلتواء اللسان عند إرادة الكلام
والْحُبْسَة	: تعذر الكلام عند إرادته

(١) الإبانة : ٥٣/١ .

(٢) السابق : نفس الصفحة .

(٣) انظر : كتاب العين . الخليل بن أحمد ص ٦٤/١ ، ٦٥ .

(٤) انظر : الإبانة : ٢٨-٢٦/١ .

والقفل : إدخال حرف في حرف
والغمغة : أن تسمع الصوت ولا يتبين لك الكلام
والطمطمة : أن يكون الكلام مستعينًا بكلام العجم
اللُكنة : أن يتعرض عن الكلام باللغة الأعجمية
واللُثغة : أن تعدل بحرف إلى حرف
والغُنة : أن يشوب الحرف صوت بالخيشوم
والخُنة : أشد منها
والترخيم : حذف الكلام
واللُف : ثقل في الكلام
والعُجمة : تكون في الأعجمي ، وهو عند العرب الذي في لسانه عجمة

ويعرض الشيخ لكثير من القضايا الصوتية عند معالجته للمادة المعجمية^(١) ، ويمكن أن نستشهد بهذا المثال الذي يدور حول قلب السين صاءً يقول في مادة س.ل.ق. (٢) . «سَلَقَه بلسانه أي اسمعه ما يكره ، ولسان مسلق وحديد مسلق . منه : ﴿سَلَقُوكم بالسنة حداد﴾ (٣) أي أذوكم بالكلام ، وصلقوكم : لغة فيه ، ولا يقرأ بها ، وأصل الصَلَق : الصوت . قال لبيد :

فَصَلَقْنَا فِي مُرَادِ صَلَقَةٍ وَصَدَاءِ الْحَقْتِهِم بِالثَّلْثِ (٤) .

صلقنا من الصوت ، يقال سمعت صلقة القوم ، أي صوتهم
والكتاب غني بالإشارات الصوتية سواء في مقدمته اللغوية أو في مادته المعجمية .

(١) انظر الإبانة ١٣٦/٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ كإشباع الحرف ، والإبدال الصوتي (معهم : محهم) (وأن وعن) .

(٢) السابق : ١٣٤/٢ - ١٣٥ .

(٣) الأحزاب : ١٩ .

(٤) ديوان لبيد . دار صادر بيروت ١٤٦ . وصلقنا : صحننا ، والثَّل : الهلاك .

٣ - ٣ - الصرف :

إن معالجة الصيغة صرفياً جزءاً أساسياً من عمل المعجم ، فكما يضبط الصيغة ليوضح كيف تنطق فهو كذلك يعالجها من ناحية الوزن ، والاشتقاق ، والنحت ، وما يطراً عليها من ظواهر صرفية معينة كالجمع بين ساكنين ، والإعلال والإبدال والترخيم والإدغام ، والنقل والعدل . والحكم على الصيغة بأنها من كلام العرب أو ليست من كلام العرب . ومعجم الإبانة غنى من هذه الجهة ، فقد عرض لهذه المسائل في المقدمة ، وعرض لها كذلك أثناء معالجته للمادة المعجمية ، وهاك حديثاً موجزاً عن كل نقطة من هذه النقاط :

١- الأوزان :

يقول الشيخ محدداً أوزان الكلمات في العربية وأشكالها : « وكلام العرب مبني على أربعة أصناف ، الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي . فالثنائي منه ما يكون على حرفين نحو : قد ، وهل ، وبِل ونحوه . والثلاثي نحو : ضرب وخرج ودخل . والرباعي نحو : دَحْرَجَ ، وَقَرَّطَسَ ، وَهَمَلَجَ ، وَعَقَرَبَ ، وَقَرَّعَبَ . والخماسي : اشْحَنَلَلْ ، واقْشَعَرَ ، واسْحَنَفَرَ ، وسَفَرَجَلَ ، وشَمَرَدَلَ وَكَنْهَبِلَ^(١) . فالكلمة العربية لا تخرج عن وزن من هذه الأوزان فهي إما ثنائية ، أو ثلاثية . فَعَلْ ، أو رباعية : فَعِلْ ، أو خماسية : افْعَلَلْ ، وَاْفَعَلَلْ ، وفَعْلَلْ ، وفَعْلُولْ ، وفَنَعْلَلْ . وهذه أوزان ذكرها الشيخ على سبيل التمثيل . فيقول أيضاً : « وليس للعرب بناء في الأسماء ، ولا في الأفعال أكبر من خمسة أحرف ، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في اسم أو فعل ، فاعلم أنها زيادة على البناء ، وأنها ليست من أصل الكلمة مثل : قُرْعَمَلَانَة ، إنها أصل بنائها قُرْعَمَل وهي دويبة ، ومثل عنكبوت ، وإنما هي من عُنْكَب والاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف : حرف يُبْتَدَأُ به ، وحرف تحشي به الكلمة ، وحرف يوقف عليه مثل : سعد وعمرو ونحوهما من الأسماء^(٢) . فالكلمة لا تقل عن حرفين في الأدوات ، ولا تقل عن ثلاثة في الأسماء والأفعال . ولا تزيد عن خمسة في الأدوات أو الأسماء أو الأفعال .

وفي إطار هذه الأوزان المحددة الصارمة في اللغة تكون الصيغ الصرفية حيث تملك العربية من الحروف اثنين وأربعين حرفاً « فكل كلام الناس لا يخلو من هذه الحروف أو من بعضها ، والذي كثُرَ الكلام منه حتى لا نهاية له .. أن تقدم الحروف وتؤخرها ، وتزيد وتنقص ، وتسكّن وتحرك ، وتكسر وتفتح ، وتكرر الحرف .. وتثقله وتخففه ..^(٣) » وهو هنا يشير إلى قواعد الاشتقاق حيث يعتمد على :

(١) الإبانة ١/ ٣٨ .

(٢) الإبانة : ١/ ٣٨ .

(٣) السابق ١/ ٣٧-٣٨ .

الجذر : وهو ما يتألف من الصوامت .

الحركات : القصيرة (وهي الفتحة والكسرة والضمة) والطويلة (وهي الألف والياء والواو) .

أحرف الزيادة : وهي المحصورة في اللغة العربية في أحرف : سألتمونيتها . ويمكن التمثيل على ذلك بالمادة : خ . ل . د . حيث نقول خُلِدَ ، وتقول : خُلِدَ . فالأولى فعل ماض ، والثانية مصدر لهذا الفعل . والذي فرق بينهما هو الحركات ، ويمكن أن نستعين كذلك بالحركات الطويلة فنقول : خالد ، ونقول : خلود ، فالأولى اسم فاعل والثانية : مصدر .

ولا يقتصر الأمر على هذا الحد بل نلجأ إلى التقليلات فنشتق من هذه الصيغ التالية :
خ.ل. د - خ د ل / ل خ د - ل د خ / د خ ل - د ل خ / ونستخدم منها ما نحن في حاجة إليه ، ويبقى ما لم يستخدم رصيذاً تلجأ إليه اللغة وقت الحاجة . فكل جذر من هذه الجذور يصبح مادة تشتق منها الأفعال ، والأسماء ، والأوزان المختلفة .

٢- الاشتقاق :

ويشير الشيخ إلى اشتقاق المصدر من الفعل الثلاثي ، وغير الثلاثي يقول : « واعلم أن المصادر ^(١) تختلف ولا تجيء على قياس واحد نقول ضَرَبَ ضَرْبًا : فَعَلًا . وتقول : ضرب الفعلُ الناقئةُ ضَرْبًا ، فجاء على فَعَالٍ ... ولا يختلف ^(٢) منها ما كان على أربعة أحرف نحو : أخبر إخبارًا ، وأرسل إرسالًا . وما كان على فعلل : فإن مصدره : فعلة يقولون : دحرج دحرجة ، وجلجل جلجلة ... وما كان على انفعال فمصدره : انفعال كما في : انكسر انكسارًا وانحدر انحدرًا ، وما كان على فاعَلْ فمصدره فَعَالٌ ومفاعلة نحو : قاتل . قتالا ومقاتلة ^(٣) . ويمضى الشيخ في سرد الأوزان الصرفية للأفعال وأوزان مصادرها .

وكما يكون الاشتقاق من الجذر يكون أيضا من الاسم ، أو الصفة ، أو اللون ، أو الفعل ، ويمثل الشيخ لذلك بتسمية الإنسان « إنسانا لنسيانه » ولقد عهدنا إلى آدم من قبل قَنَسِي ^(٤) وقيل سَمِي إنساناً لأنسه ، كما سَمِيَ القلب قلباً لتقلبه ، وسميت قريش قريشا ، لأنهم كانوا أصحاب تجارة ، ويقال : قَرَش الرجل شيئا يَقْرِشه إذا كسبه وأخذه ، وتَقَرَّش فلان مالا إذا أخذه أولاً فأول . ويقال : اقترشت الرماح اقتراشاً إذا وقع

(١) من الثلاثي . عبارة غير واردة في النص.

(٢) مصدر الأفعال .

(٣) الإبانة ١/٤٨ - ٤٩ .

(٤) طه / ١١٥ .

بعضها على بعض . وقروش : أسم رجل مشتق من قريش » ^(١) .

٣- النحت :

وقد يكون الاشتقاق من أكثر من كلمة وهو ما يسمى بالنحت ، « فالعرب قد تأخذ الحرف من الكلمة فتجمعه إلى حرف آخر من كلمة أخرى فتجمعها كلمة تامة » ^(٢) كما في : حيعل ، وسبُحَل ، وهليل ، وحمل ، وحوقل ، وجعفل ، وتيهيم « إذا أتى بفعل البهيمَة » ، وتمهجر « إذا نسب إلى المهاجرين ، واستنوق « صار الجمل ناقة » ، وتمذهب : « اعتقد ذلك المذهب » ... الخ من الأمثلة ^(٣) .

٤- ما يطرأ على الصيغة :

أما صيغة الكلمة ، وما يطرأ عليها من مشكلات فنذكر منها مايلي :

أ- الجمع بين ساكنين بين المنع والجواز :

يشير الشيخ إلى أن الجمع بين الساكنين يمتنع في مواضع ، ويجوز في مواضع أخرى . فيمتنع الجمع في بنية الكلمة ، ويجوز ذلك في الوقف ، أو إذا كان الساكن الأول وأوًا ساكنة أو ياءً ساكنة ، أو ألفا ساكنة يقول الشيخ « واعلم أنه لا يوصل في الكلام إلى أن يجمع بين حرفين ساكنين البتة .. » . « ويجوز أن تجمع بين الساكنين في الوقف ، لأن الساكن الأول أصله السكون ، والثاني إنما يسكن بسكونك عليه وذلك نحو قولك : زَيْد ويجتمع ساكنان فى الكلام إذا كان الساكن الأول واوا ساكنة أو ياء ساكنة أو ألفاً ساكنة ، وما كان الساكن اليائي حرفاً مدغماً نحو قولك ماء حارٌّ ... » ^(٤) ويعلّل الشيخ لعدم اجتماع حرفين ساكنين ، أو لعدم البدء بساكن في حديث مسهب طويل ^(٥) .

ب- الإبدال :

وهو قلب صامت إلى صامت آخر لقربة بينهما في المخرج كما في مدحته ومدته . وهتنت وهتلت ، والكتل والكتن ، وسجيل وسجين ، وطامة وطانة ... إلى أخره من الأمثلة التى ذكرها الشيخ ^(٦) فيتم القلب بين الهاء والحاء (هام - حام) والهاء والعين والهاء والهمزة (هراق . أراق) .

والنون واللام (سجيل - سجين) والنون والميم (ابن وابم) .

(١) الإبانة ١٠٧/١ - ١٠٨ .

(٢) السابق ١٦١/١ .

(٣) انظر السابق ١٦١/١ - ١٦٣ .

(٤) الإبانة ٥٣/١ - ٥٤ .

(٥) انظر السابق ص ٥٤/١ .

(٦) انظر ص ١٢٣/١ - ١٢٥ .

والباء والفاء (فناء - بناء) والفاء والثاء (المعافير - المعاثير) .
 والثاء والدال (هرت - هرد) .
 الذال والثاء (جذوت وجثوت) .
 والصاد الزاي (الصراط والزرط) ، والصاد والسين (الصقب والسقب)
 الضاد والدال (نبض - نبد) .
 والياء والسين (السادس - السادي) والياء والجيم (على - علج)
 والقاف والكاف (القهر - الكهر)
 هذه هي صور الإبدال كما تعرضها أمثلة الشيخ^(١) .

ج- القلب :

وقلب الحروف هو تقديم بعضها على بعض كما في : نَقَمَ فَاهُ ودمقه ، وطمس الطريق
 وطَسَمَ ، وقاع الفحل على الناقة وقَعًا ، واضمحل الشيء وامضحل ، وصعق الرجل وصقع
 ... الخ من الأمثلة^(٢) . ويدخل هذا في باب التقليل عند الخليل بن أحمد .

د - النقل أو الإعلال :

وهو ما يطرأ على أحرف العلة في بنية الكلمة من تغير ، فهو كما يقول الشيخ « ما نُقل
 من الكلام عن أصله ، وأكثر ما يكون في المعتل »^(٣) ويمثل الشيخ لهذه الظاهرة بالكثير من
 الأمثلة ، ونأخذ منها اسم الله- سبحانه وتعالى - القيوم ، يقول : « وأصل القَيُّوم :
 القَيُّوم . فلما اجتمعت الياء والواو ، والسابق^(٤) ساكن ، جعلتا ياءً مشددة ... وأما القَيَّام
 فأصله : القَيَّوام ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن ، جعلتا ياءً مشددة . وأما
 القَيِّم فأصله القَيُّوم ، فلما اجتمعت الياء والواو ، والسابق ساكن ، أبدلوا من الواو ياءً ،
 وأدغموا فيها الياء التي قبلها مضارعاً ياءً مشددة^(٥) . فهذا تحليل لأصل الصيغة ، وما
 تطورت إليه . ويذكر لذلك أمثلة كثيرة منها . الإله ، والحي ، والمهيمن ، والإنسان ، والديار ،
 وجهنم ، واللهم ، وخاف ، ونام ، والكساء ، والعطاء ، ويعد وميعاد ، وميراث وميقات ،
 وميزان ، وموازين ، ومواقيت ، ومواريث ، والأيام ، وأحد ، وامرأة الخ^(٦) .

(١) تناولت كتب الصرف القديمة هذه الظاهرة تحت عنوان الإبدال ، وتناولتها كذلك كتب معاني القرآن ، ويمكن أن نستشهد
 بكتاب معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م ٤١/١ .
 ١١٦/٢ ، ٣٨٤ على سبيل التمثيل .
 (٢) انظر الإبانة ١٢٢/١ - ١٢٣ .
 (٣) الإبانة ١٢٧/١ .
 (٤) وهو الياء أي المتقدم من حرفي العلة المذكورين وينسحب هذا على السابق « التي ترد في النص » .
 (٥) الإبانة ١٢٧/١ .
 (٦) انظر الإبانة ص ١٢٧/١ - ١٢٣ .

هـ- العدل :

والعدل مصطلح صر في وصف حالة تحولت فيها صيغة الكلمة من وزن معين إلى وزن آخر ، كما في عُمَر التي هي على وزن فُعَل ، فهي معدولة عن عامر على وزن فاعل ويذكر الشيخ أمثلة لهذا المعدول في أسماء النساء رَقَاش ، وَغَلَاب ، وَحَذَام ، وَقَطَام ، وَلُكَاع ، وَفَسَاق ، فهذه الأسماء معدولة عن فاعلة فَحَذَام معدولة عن حاذمة ، وَرَقَاش عن راقشة ، وَقَطَام معدولة عن فاطمة ، وَغَلَاب عن غالبية ، وَفَسَاق عن فاسقة . وأهل الحجاز وناس من بني تميم يكسرون ذلك بغير تنوين على حال فيقولون : هذه حذام ورأيت حذام ، ومررت بحذام ، وإنما كسروه لأنه معدول .. وما كان من هذا في الفعل أو في الصفات فهو مكسور في اللغات كلها لا يختلف فيه ، وقولك للرجل : تراكِ ونزالِ تعني : اتركِ وانزلِ ويذكر أقسام المعدول وهي :

ما عدل عن اسم : حذام وقطام .

أن يكون نعتاً غالباً نحو قولهم للمرأة يا فُسَاق ، ويا حُبَاب ، ويا لُكَاع ، ويا فُجَار . وهو ذَمٌّ .

ما يكون معدولاً عن مصدر مؤنث نحو : والخيل تعدو بالصعيد نُدَاد .

ما يكون في موضع أمر نحو : حَذَارِ وقناع^(١) .

و- الإدغام :

والإدغام هو «أن يدخل حرف في حرف حتى يصير مثل المدغم كقوله عز وجل ﴿بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٢) صارت اللام راء حين أدغمت في الراء »^(٣) .

- يجوز إدغام الحرفين المثلين - إذا كانا في كلمتين وتحرك الأول ، وترك الإدغام أحسن . كما في قوله تعالى ﴿الذي جعل لكم﴾^(٤) .

- الألف لا تدغم في شيء ، ولا يُدغم فيها « لأنها حرف ميت » .

- الياء لا تدغم في ألف ولا تدغم ألف فيها .

- السين لا تُدغم فيما قرب منها . لأن فيها تفشياً فلو أدغمت ذهب الحرف وذهب تفشييه .

(١) انظر الإبانة ١٤٩/١ - ١٥٠ .

(٢) المطففين / ١٤ .

(٣) الإبانة ١١١/١ .

(٤) غافر / ٦٤ .

- ولا تدغم السين في الجيم .
- ولا تدغم الراء فيما قرب منها . ولا تدغم في اللام كما أدغمت اللام في الراء .
- والنون تدغم في الميم نحو : عَمَنَ ، يريد : عن . مَنَ .
- ولا تدغم الميم في النون فتقول قم نذهب .
- والنون تدغم في اللام .
- وحروف القَمِّ أقوى على الإدغام من حروف الشفَتين كما في : « من الخير والشرِّ » .
- ومن الحروف مالم تدغم فيما قرب منها ، فالهمزة لا تدغم في شيء ، ولا يدغم فيها شيء^(١) .

ويشير الشيخ إلى كثير من القضايا كقضية الوقف في القراءات على الحروف ، وإدغام لام هل في تاء الفعل التالي لها . هل تعلم ، واللام في اللام بعد حذف الهمزة : وأنزل إليك . وأنزلك . ويختم حديثه في ذلك بقوله : « وللإدغام شرح طويل فاخصرته »^(٢) .

ز- النقص والزيادة في الصيغة :

فالنقص هو : « نهاب بعض الكلمة »^(٣) كما في « ق » : لتدل على قفي ، « ويا » لتعني هيا . ويمكن أن ينطبق ذلك على الترخيم في اللغة لأنه « قطع للحرف فهو حذف آخر حرف من الاسم »^(٤) كما في : « بُكَيْنُ » ترخيم بثنية ، وعَزُ ترخيم عزة . و « حارِ » ، و « عامِ » ، و « مالِ » ترخيم : حارث ، وعامر ، ومالك .

والزيادة هي : زيادة حرف على أصول الكلمة ، ويضرب لذلك مثلاً هو زيادة الواو . يقول الشيخ : « والواو تزداد في نحو : قسور لأنه من : قَسَرَتْ ، ويذكر الشيخ المواضع التي تزداد فيها الواو فهي « لاتزداد أبداً أولاً ، وتزداد ثانياً في : حوَقْل ، وجوهر ، وكوكب ، لأنه فوعل ، فالفاء والعين من الأصل ، والواو زائدة ، وتزداد ثالثاً في قَسُورَ ، وَجَهْوَرُ لأنه من قسر وجهر . وتزداد رابعة في مفعول نحو : مفقود ، وفي مغلول نحو : جمهور فهي زائدة »^(٥) .

هـ- الدخيل :

مما لاشك فيه أن اللغة العربية قد دخلها ، ويدخلها ، وسيدخلها الكثير من الكلمات

(١) انظر الإبانة ١١١/١ - ١١٣ .

(٢) انظر الإبانة ١١٤/١ .

(٣) السابق ١٦١/١ .

(٤) السابق ١٠٨/١ .

(٥) السابق ١٧٠/١ .

الأجنبية ، وتعامل هذه الكلمات الأجنبية معاملة الكلمات العربية من ناحية التعريف والتكثير ، والاشتقاق ، وشغل المواقع الإعرابية المختلفة كما في « موننتالا » فيكون هناك الموننتالا ، ومُنْتَج يُمْنَتَج مُنْتَجَة فهو مُمْنَتَج ومُنْتَج ، وكذلك في موننتالا الفيليم ، والموننتالا الجيد ، والموننتالا رائع ... إلخ .

وتبقى مشكلة تمييز الكلمة الدخيلة من الكلمات العربية الأصلية . وما هي الأسس التي نلجأ إليها لإصدار حكم على كلمة ما بأنها دخيلة أو غير دخيلة يقول الشيخ : « فإن وردت عليك كلمة خماسية أو رباعية معرارة من حروف الذلق أو من الشفوية ، ليس فيها حرف واحد أو اثنان ، أو فوق ذلك من هذه الحروف ، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة ، وليست من كلام العرب »^(١) ويستعين الشيخ بقول الخليل « والكلمة المبتدعة التي تكون غير مشفوعة بشيء من هذه الحروف مثل : الخضعتج ، والكشعفج وأشباه ذلك ، فإن جاءت كلمة خماسية ليس فيها حرف أو حرفان من الحروف الذلق ، فاعلم أنها ليست بعربية ، وهي مثل العضائج لأنها ليس فيها من الستة الأحرف شيء »^(٢) ولعل هذه الإشارة تدل على وعي الشيخ بهذه القضية ، وقد ظهر هذا الوعي كذلك في إطار معالجته للمساو المعجمية التالية^(٣) في : جهنم ، وأخ ، وإيل ، وإبراهيم ، والبُد ، وجهنم ، أخ ، وإبراهيم ، والبُد ، وبغداد ، والحداد ، وشراهايا ، ورباني ، ودهل ، والترجمان ، وفرزان ، والقالب إلخ .

وكثير من القضايا الصرفية يمكن أن نجدها في كتاب الإبانة سواء في المقدمة أو خلال معالجة المادة المعجمية^(٤) ويمكن الرجوع إليها في المخطوط ، ونستشهد بهذا المثال من مادة ذ.ر.ر. يقول الشيخ : « والذُرِّيَّة : النساء في حديث عمر - رحمه الله - وقيل الأولاد وأولادهم ، والذرية : الآباء ، لأن الذرية وقع منهم ، وهو من الأضداد ، والذرية : النسل ، وأصله الهمزة ، فترك لكثرة الاستعمال ، والذرا : واحد . وقال بعض النحويين . تقدير ذرية : فُعْلِيَّة ، من الذر لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر ، ﴿ وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم ، قالوا بلى ﴾^(٥) . وقال غيره : أصل ذرية : زُرُوءَة تقديره : فُعْلَوَة ، فلما كثر التضعيف ، أبدلت الواو الآخرة ياء فصارت ذُرُوية ، ثم أدعمت الواو في الياء فصارت ذُرِيَّة .

وقيل : ذُرِيَّة . فعول من ذرا الله الخلق ، فأبدلت الهمزة ياء كما في بَنَى .

(١) الإبانة ٣٨/١ - ٣٩ . والحروف الذلقية هي « ل ن » والحروف الشفهية هي « ب . م . ن » وانظر العين . الخليل بن أحمد ... ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) انظر الإبانة ٣٦٠/١ .
(٣) انظر على التوالي ٣٥٥/١ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٤٠٣ ، ٤٤٠ ، ٤٧٢ ، ١٥٤/٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٨٠ ، ٤٣٢ ، ٤٥٤ .
(٤) انظر ١٣١/٢ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٦٧ ، ٣٩٤ .
(٥) الأعراف / ١٧٢ .

قال ابن الأنباري: ذرية فيها أوجه ، أحدها أن يكون من ذرا الله الخلق ، فيكون ذروة . ترك همزها ، وأبدل من الهمز ياءً فصارت ذُرْوِيَّة ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن أبدل من الواو ياءً ، فأدغم في الياء التي بعدها وكسرت الراء لتصبح الياء . والوجه الثاني : أن تكون منسوبة إلى الذر ، والثالث . أن تكون من ذروت ، فتكون فعولة ، ويكون أصلها ذروة ، فأبدل من الراء التي بعد الواو ياءً ، وأبدل من الواو ياءً ، وأدغمت في الياء التي بعدها .

ومنهم من يكسر الذال ، فيقول الذرية ، وقرأ زيد بن ثابت ﴿ذَرِيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾^(١) وقرأ بعضهم : ذَرِيَّةً بفتح الذال وتخفيف الراء ، فأخرجها مَخْرَجَ الْبَرِيَّة ، ويقال : ذَرِيَّةً ، وَذَرِيَّةً لَفْتَانِ^(٢) .

وهذا النص يعتبر خير مثال للمعالجة الصرفية ، من ناحية ضبط الصيغة ، وأصلها وما طرأ عليها من إعلال أو إبدال ، مستعينا بأقوال العلماء ، وكذلك ما جاء فيها من قراءات مختلفة .

(١) الإسراء / ٣ .

(٢) الإبانة ٢ / ٢١ - ٢٢ .

٣ - ٤ - النحو :

يتناول علم اللغة ، اللغة من خلال مستويات محددة هي : الأصوات ، والصرف ، والتركييب ، والدلالة ، والأسلوب ، والمعجم . ويعتبر العلاقة بين المعجم وعلم اللغة ، أو المعجم وفروع علم اللغة الأخرى كالأصوات ، والصرف والتركييب من الأمور المثيرة للجدل . ولعل مشكلة العلاقة بين النحو والمعجم هي أظهر مثال على هذا الجدل .

فيختلف العلماء فيما بينهم حول العلاقة بين النحو ، والمعجم اختلافاً واضحاً . فمنهم من يرى وثيقة الصلة بينهما كبولومفيلد زعيم المدرسة البنيوية الأمريكية حيث يرى أن المعجم « فهرس للنحو » ، وإذا كان بينهما من فرق فهو فرق قائم على النوع والعضو « فالنحو يقرر الأنواع والأصناف ، ويعتني بالعلاقات القائمة بينهما ، أما المعجم فمسئول عن القضايا المتصلة بالأعضاء التي تنتمي إلى تلك الأنواع »^(١) . فالنحو يقسم الكلام إلى أنواع مثل الاسم والفعل والحرف ، ثم يقسم كل نوع إلى أصناف مثل تقسيم الفعل إلى لازم ومتعد ، أما المعجم فيوزع مفردات اللغة على تلك الأنواع والأصناف ، فيقول أن كلمة « ضرب » فعلٌ متعد مثلاً .

فإذا كان النحو يتناول « نظاماً مغلقاً » للاختيار بين مفردات عدة ، فالمعجم يتناول « نظاماً مفتوحاً للاختيار بين مفردات فقط » كما ترى المدرسة اللغوية البريطانية ، فالاختيار المغلق في النحو بين أسماء الإشارة ، وأسماء الموصول ، والضمائر ... الخ . أما الاختيار المفتوح فيكون بين مفردات اللغة المترادفة مثل كرسي ، مقعد ، دكة ، أريكة الخ^(٢) .

وبناء على ذلك يعتبر أن النحو والمعجم « قسمان مهمان من البنية المعجمية »^(٣) يكمل كل منهما الآخر . أما الاتجاه الآخر فيرى أن هناك فروقاً بين النحو والمعجم منها :

١- أن المعجم يهتم بالكلمات فقط ، أما النحو فيهتم بكل شيء آخر .

٢- أن المعجم يهتم بمفردات اللغة ، أما النحو فيهتم بالعلاقات المجردة التي تدخل فيها هذه المفردات .

٣- أن المعجم مختص بالمعنى ، أما النحو فمختص بالشكل .

وهذا الرأي مردود ، فالمعنى اللغوي الكامل لأية عبارة منطوقة يتألف من المعنى

(1) Gleason H. A. J.: "The relation of lexicon and grammar" in Householder and sporta 94.

وانظر علم اللغة وصناعة المعجم علي القاسمي ص١٥

(2) Halliday M. A. K. Angus Mc Intosh and Peter strevens "The Linguistic Sciences and language teaching" (Bloomington: Indiana University Press 1965 P.23.

(3) Martin Somuel E. "Selection and presentation of ready equivalents in a translation dictionary" In Householder and sporta. p368.

المعجمي لمفرداتها مضافاً إليه المعنى البنيوي ، ويتألف نحو اللغة من المعاني البنيوية . والمعجم والنحو يتناولان مفردات اللغة ، والعلاقات المجردة التي تدخل فيها . والعلاقة بين الشكل والمعنى علاقة لا يمكن فصلها ، فكل منهما يكمل الآخر . وهناك المعنى النحوي والعلاقات المعجمية التي تعين على تقديم المعنى في أوضح صورة . فنحن « نفضل الكلمات عندما نكون بفعلنا هذا قد صُنّا من الخلل ، قاعدة نحوية تثبت فائدتها في مكان آخر في وصف البنية المعجمية^(١) .

ومعاجمنا العربية لا تغفل هذه العلاقة . فهي لا تكتفي بتقديم المعنى المعجمي للكلمة في المدخل الذي تعالجه ، فهي تشير إلى أن هذه الكلمة اسم أو فعل ، أو حرف ، وتشير إلى حركة عين الفعل ماضياً أو مضارعاً ، بالحركات ، أو بذكر المثل ، أو بهما معاً ، وأحياناً بتعيين الحركة بالألفاظ ، وتشير إلى المصدر ، والمشتقات ، والجمع ، وجمع الجمع ... إلخ .

ويقنع بجانب من أبواب النحو ، فهو يتعاطى الفعل من حيث اللزوم والتعدي ، لطاوعة ، ويتناول الجانب النحوي في الحروف ، ويعرض للتراكيب النحوية كالجملة اسمية ، والجملة الفعلية ، والجملة المنسوخة ، والمكملات في الجملة ، والنواسخ . فالمعجم يستعين ، وينتفع بما تقدمه له الأنظمة اللغوية الثلاثة : النظام الصوتي ، والصرفي ، والنحوي ، وهي النظم المسئولة عن تحديد المعنى الوظيفي^(٢) .

ومعجم الإبانة تابع للمعاجم العربية القديمة في الاستعانة بالجانب النحوي، فقد عرض في مقدمته النظرية لكثير من موضوعات النحو مثل الإغراء ، والتحذير ، والتوكيد ، والقلب في الكلام ، والبديل ، والجر ، والنصب على المجاورة ، وزيادة عناصر لغوية في بنية الجملة ، والتقديم ، والتأخير ، والالتفات ، كمخاطبة الواحد بلفظ الاثنين والاثنين بلفظ الواحد ، والشاهد بلفظ الغائب ، والغائب بلفظ الشاهد ، ودخول بعض حروف الجر على بعض ، واستخدام الفعل لازماً ومتعدياً وغيرها كثير^(٣) .

ويمكن أن نلاحظ على عرضه للموضوعات النحوية ، أنه لم يكن عرضاً لموضوعات النحو - كما هي في كتب النحاة - ولكنه كان يعرضها في إطار المعنى ، فيختار التراكيب التي تدل على المعنى كالتهديد ، والتوكيد ، والتعظيم ، ويمكن أن نستشهد بتراكيب التعظيم التي ذكرها الشيخ، يقول : « قولهم: رجلٌ ما رجلٌ ، ورجلٌ أي رجلٌ ، ورجلٌ قدك به رجلاً ، أي : حسبك به رجلاً ، وقطك به رجلاً ، أي : حسبك به رجلاً ، وقطك وقطك

(1) Hill Laymen, "Lexicographers, and Linguistics" Language, 46. 1970. p 250.

(٢) المعجم العربي . رياض زكي قاسم . ص ٢٤٥ .

(٢٣) انظر على التوالي : ١١١/١ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣

بمعنى واحد . وكذلك قولهم : ناهيك بفلان . أي : أنه غاية ينتهي إليها الفضل . وقال الخليل : قولهم : رأيت رجلاً ناهيك من رجل ، ونهأك من رجل . فإن الكاف في هذا الكلام كاف مخاطبة وتفسيره : قد انتهت الرجل في كماله إلى الغاية . وقال بنو الشيخ الذي حدثت عنه : نهأك الشيخ مكرمة وفخراً ، ويقال : نهت بالشئ ، ونهت به . إذا رفعت بذكره . وكذلك : بخ . بخ هو تعظيم عندهم للشئ ، وإعجاب به ، وهو يُنقل ويخفف . بخ بخ بهذا كرمًا فوق كرم ، ومنه قوله : عز وجل ﴿ القارعة ما القارعة ﴾^(١) ، ﴿ وأصحابُ الميمنة ما أصحابُ الميمنة ، وأصحابُ المشأمة ما أصحابُ المشأمة ﴾^(٢) ، ﴿ وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين ﴾^(٣) ، ﴿ وأصحابُ الشمال ما أصحابُ الشمال ﴾^(٤) أي شأنهم عظيم . وكل ما في كتاب عز - وجل - من نحو هذا فمعناه التعظيم ، أي : ما أعظمه . وقولهم أخى ما أخى كقول العرب : زيد ما زيد : أي : عظيم الشأن . كذلك قولهم : صولة هي ما هي ، وحاجة هي ما هي^(٥) وقس على ذلك ما قام بمعالجته من موضوعات . وهذا يعتبر منهجاً لا يتبع النحو في التراكيب اللغوية ، بل يتتبع المعنى ، ويجمع المتشابه منها لتقديم إمكانية في التعبير .

ويمكن أن نذكر أيضاً هذا الباب في التهديد^(٦) فيذكر من هذه التراكيب التي تفيد التهديد.

عُدْ مرةً أخرى لنرى ما تصير إليه : وهم لا يريدون أن يعود

﴿ اعملوا ما شئتم ﴾^(٧) ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾^(٨) .

سأترك لك للنظر في أمرك . وليس القائل لذلك مشغولاً ، والمعنى فيه التهديد يريد : سأجد في أمرك والنظر فيه .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة متناثرة في ثنايا المقدمة .

أما المادة المعجمية فلم تغفل الجانب النحوي في اللغة فقد كان يعرض له كلما كانت هناك ضرورة لذلك^(٩) . ويمكن أن نستشهد بهذا النص من المادة المعجمية « ح . ي . ث » يقول الشيخ بعد أن يشير إلى : أصل الياء (وهو الواو) ، وأوجه ضبط هذه الصيغة الواردة عن العرب وهي (حَوْتُ أو حَوْتُ ، وحيث أو حيث) نراه يعرض لحكم الاسم الواقع بعدها حيث يكون مرفوعاً ، ولا يفوته حكمها على بعض اللغات مؤيداً ذلك بالأمثلة . يقول الشيخ : « واللغة العليا : حيث ، برفع الثاء ، وبها جاء القرآن ، وفيها اختلاف . قال بعض : هي مبنية على الضم ، وقال بعض : على الفتح ، وقال بعض : تجرى بالإعراب . وهي أداة للرفع ، ترفع الاسم بعدها . وعن العرب أن اليمين وبنى تميم ينصبون « حيث » في

(١) القارعة / ١ . (٢) الواقعة / ٨ ، ٩ . (٣) الواقعة / ٢٧ . (٤) الواقعة / ٤١ .
(٥) الإبانة / ١٨٤ - ١٨٦ . (٦) السابق / ٢٥٢ - ٢٥٣ . (٧) فصلت / ٤٠ . (٨) الكهف / ٢٩ .
(٩) انظر على سبيل المثال / ٤٨٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ١٤٨ / ٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

موضع نصب ، يقولون : حَيْثُ لَقِيْتَهُ ونحو ذلك . وقال ابن الأنباري : أصلها حَوْثُ فعدلت عن الواو إلى الياء ، وجعلت ضمة التاء خلفاً من الواو ، وهذا قول الكسائي . وقال الفَرَّاءُ : ضمت لتضمنها حاليْن ، فإذا قلت : عبدُ الله حَيْثُ زَيْدٌ ، فمعناه : عبد الله في مكان فيه زيد ، فلما قامت حيث مقام محطين أُعْطِيَتْ أثقل الحركات وهى الضمة في كل حال ثم قال : حَيْثُ ، شبهها بقولهم من قَبْلُ ومن بَعْدُ . ومن قال : حَيْثُ ، شبهها بسوْفَ وكيفَ ، ومن قال حَوْثُ قلب الياء واوًا ، لأن الياء أخت الواو وأجود ، وتقول قعدتُ حيث قعد زيدٌ ، أى في المكان الذى قعد فيه ، لأن حيث لا يكون إلا موضعاً ، وتقول : حيث تقعد أقعدُ ، المعنى . في المكان الذى تقعد فيه أقعد ، وهى للفعل ، وذلك أنك إذا قلت : أكون حيث يجلس زيد ، أحسن من قولك : أكون حيث زيد يجلس ، وإنما كان الفعل بعدها أحسنَ ، لأن فيها معنى الجزاء ، والجزاء بالفعل أولى منه بالاسم . ألا ترى أنك تقول : إِنْ تَأْتِنِي أَتِكَ ، وإِنْ يَأْتِنِي زَيْدٌ أَتَهُ ، ويقبح أن تقول : إِنْ زَيْدٌ يَأْتِنِي أَتَهُ ^(١) .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة متناثرة في ثنايا المعجم.

(١) الإبانة ١/ ٤٩٦ - ٤٩٧ . وانظر كذلك ١/ ٤٩٦ حيث يعالج حبذا .

إذا كان المعجم كتاباً يضم مفردات اللغة ، الموجودة بالفعل^(١) ، ويضبطها ، ويقدم المعلومات الصرفية الضرورية حولها . بالإضافة إلى شرح معانيها المعجمية من خلال بنية نحوية تقدم السياق اللغوي الذي ترد فيه الكلمة . فإن شرح المعنى يجب أن يقوم على الأسس التالية :

١ - ضرورة أن تكون لغة الشرح أقل إبهاماً من الكلمة المراد شرحها .

٢ - ضرورة الاعتماد على السياق غير اللغوي في توضيح المعنى . فيعرف مستخدم المعجم من خلال الشرح المعجمي المستوى اللغوي المناسب للسياق المعنى ، ومتى يجوز استخدام عبارة معينة ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال فهم معناها ومضامينها الاجتماعية ، وهل هي ودية أو عامية أو قابلة للاستعمال بين الأصدقاء الحميمين ذوي المكانة المتساوية . وما إذا كانت تلك العبارة مهذبة ، ورسمية ، وتصلح للاستعمال في المناسبات التي تتطلب الحشمة أو الاحترام^(٢) .

٣ - ضرورة أن يعتمد المعجم على المصاحبة في شرح المعنى ، المصاحبة هي «صلاحيّة الكلمة لأن تكون في تركيب مع كلمات معينة» وهذا يؤدي إلى « استخراج النظام اللفظي أو البرد يبغي paradigmatic حتى يمكن لها أن توفر لنا مميزات الحقول الدلالية كلها بغية وصف المعجم ، ومادته وصفاً جديداً .. وهذه المقاربة لا تستغنى عن المقاربة التوزيعية التي نزودها بالتضمينات الخاصة بالنظام السياقي أو السنتغمي Syntegmatic حتى تكتمل خصائص الحقول ومعجماته^(٣) .

وقد أهمل المعجم العربي المعاني السياقية ، والمعاني الاجتماعية المشار إليها ، وأولى اهتمامه بالمعاني المعجمية وذلك لأنه « يتعامل مع الكلمات المكتوبة ، لا المنطوقة . فظهر لنا ما يلي^(٤) :

١ - أن تركيز المعجم على المفردات ودوالها يؤدي إلى فصل معنى الكلمة عن معنى

(١) هناك من المفردات ما هو موجود بالفعل ، كما يقول الخليل بن أحمد ، أو الجمهرة كما يسميه ابن دريد ، أو المنجز أو المطبق Performance كما يسميه تشومسكي . في مقابل : « الموجود بالقوة » كما يسميه الخليل أو الرصيد اللغوي ، أو القدرة اللغوية Competance كما يسميها تشومسكي . فالأول هو ما يسمى بالمعجم أي ما يجمع الموجود بالفعل ، والثاني هو المخزون الذي يمكن للغة أن تلجأ إليه وقت الحاجة وهو ما أشار إليه الخليل في معجم العين « غير مستعمل » . انظر : قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً . محمد رشاد الحمزاوي ص ١٥٧ .

(2) Hill , Arcibald A. (ed). Linguistics Today (New York. Basic Books. INC. 1969 P.147.

وانظر : علم اللغة وصناعة المعجم . علي القاسمي . ص ١٢٢ . .

(٣) من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً . محمد رشاد الحمزاوي . ص ١٦٢ - ١٦٤ .

(٤) المعجم العربي . رياض زكي قاسم . ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

وجود الكلمة في الجملة أو معنى السياق ، وهو أمر يفقد الكلمة جانباً مهماً من معناها وهو المعنى السياقي .

٢ - أن المعجم في إغفاله جانب الاستخدام للغة يكون قد استبعد من منهجه كلياً جانب التركيز على وسائل الاتصال الأخرى ، كاللغة الجانبية ، ولغة الحركات الجسمية ، وهما عنصران فاعلان في فهم مناخ المعنى العام ومناخ السياق .

ولكن رغم الاهتمام بالمفردات فقط ، وإغفال جانب الاستخدام العملي ، فإن المعاجم العربية قد لجأت إلى وسائل تعوض بها هذا النقص ، كمحاولة رسم ملامح السياق غير اللغوي الذي تقال فيه الكلمة أو الجملة كالقصص ، وأسباب النزول ، وذكر السياق صراحة . مما يؤدي أحياناً إلى الخروج عن المادة اللغوية التي يعالجها . ولم يغفل كذلك السياقات اللغوية العديدة التي ترد فيها الكلمة .

ومعجم الإبانة قد تبع المعاجم العربية في هذا الصدد . وإن كان اهتمامه بالمادة المعجمية قد فاق اهتمامه بهذه الأمور - لأنه كان يلجأ إليها كلما كانت هناك حاجة إليها .

فمن أمثلة تفسير المعنى في إطار قصته التي ذكر فيها نذكر هذا المثال : عند تفسيره لكلمة الجاهلية يقول الشيخ :

« والجاهلية جاهليتان فالجاهلية الأولى جاهلية إبراهيم - عليه السلام - وهو قوله عز وجل ، ﴿ وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى ﴾ ^(١) التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام ، كانوا أهل زينة وأموال ، كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ ، فتلبسه ، ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره ، وكان ذلك في زمان تمرد الجبار ، وكانوا كفاراً . قال ابن عباس : كانت فترة بين نوح وإدريس - عليهما السلام - وكانت ألف سنة ، وكان بطنان من ولد آدم ، أحدهما السهل ، والآخر الجبل ، وكان نساء أهل السهل صباحاً ، في الرجال دمامة ، وكان رجال أهل الجبل صباحاً وفي النساء دمامة ، وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام ، فأجر نفسه منه ، فكان يعمل له فاتخذ سنانة مثل الذي يهش بها الراعي ، وهو أول مزارع اتخذ في الأرض ، فكان يزم بصوت حسن حتى ركن إليه أهل تلك القرى ينتابون منزل ذلك الرجل الذي معه ، فيترجّن النساء ، ويتبرجّن للرجال . وأن بعض أهل الجبال أتاهم في بعض تلك الحال ، فرأى ما رأى من حسن النساء ، وتبرجهن ، فأتى أصحابه فذكر لهم ذلك ، فانتقلوا إليهم ، فنزلوا جميعاً حتى ظهرت الفاحشة فيهم ، فهو

(١) الأحزاب / ٣٣ .

قول الله - عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَرجُجَ الجاهلية الأولى﴾^(١) . ولعل هذه القصة قد أوضحت المقصود بهذه الآية .

وقد يذكر أسباب نزول الآية لتكون معيَّنًا على فهم معناها من خلال سياقها غير اللغوي الذي نزلت فيه ، ويمكن أن نجد ذلك في المثال التالي في تفسيره لمادة .. ج . هـ ل « والجهل أتبع ما في الإنسان ، والعلم أملح ما في الإنسان . قيل : كان عمر - رحمه الله - ، إذا قرأ : ﴿يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم﴾^(٢) قال : الجهل يارب ! وقيل : نزلت في أبي الأسد ابن أسيد بن كلدة ، وكان أعور شديد البطش فقال : أخذت بحلقة باب الجنة ليدخلنها مشر ثم قُتل يوم فتح مكة ، وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ، وفيه نزلت . ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾^(٣) . وكان يسمى الوحيد في قومه ، ويقال : وحيداً . دعياً ، ويقال لا ماله له ولا ولد ، وقال الكلبي في الآية الأولى نزلت في أبي بن خلف^(٤) .

هذا من جهة السياق غير اللغوي ، أما من جهة السياق اللغوي فالأمثلة جد كثيرة ، وهي متناثرة في ثنايا المادة المعجمية ، ويمكن أن نستشهد بالمثل التالي :

يقول الشيخ في تفسيره لمادة ط. غ. ي « وقولهم طغي فلان أي : ارتفع ، وعلا ، وكل شيء جاوز القدر فقد طغي مثلاً طغي الماء على قوم نوح ، أي : علا ، وكما طغت القبيحة على ثمود منه : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ﴾^(٥) . قال ابن عباس : ليس من طعام ، ولا شراب ، ولا مال يسمى به الرجل الأطغى ، وعنه : من جمع بين الخبز والأدم طغي . والطغيان والطغوان لغة فيه ، والفعل طغوت ، وطغيت ، والاسم الطغوي . قال الله تعالى : ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾^(٦) من الطغيان . والطاغية ، كالعافية ، والزاهية وما أشبهها ، والطغيا . البقرة الوحشية يقال : طغت تطفى : إذا صاحت : وسمعت طغي فلان : أي صوته (هذيلية) . والطاغية : الجبار العنيد ، تقول : طغي فلان عليّ وبغي ، من البغي ، وهو الظلم ، والباغي . الظالم : قال خفاف بن عمير^(٧) .

ولما أن طغوا وبغوا علينا رَمَيْنَاهُمْ بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي

.... والطغيان : الكفر والغي منه قوله تعالى : ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾^(٨) أي في غيهم وكفرهم^(٩) .

(١) الإبانة ٤٨٨/١ - ٤٨٩ ، وانظر على سبيل المثال أيضاً ٥١٠/١ ، ١٣٢/٢ ، ١٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٨٩ . (١) الأحزاب / ٣٣ .

(٢) الانفطار . (٣) المدثر / ١١ . (٤) الإبانة ٤٨٩/١ - ٤٩٠ .

(٥) العلق / ٦ . (٦) الشمس / ١١ .

(٧) هو خفاف بن عمير بن الحارث ابن الشريد الذي يرجع نسبه إلى امرئ القيس . وهو المعروف بابن ثُدَيْة ومسي اسمه . وهو فارس وشاعر مخضرم ، شهد فتح مكة وحينئذ ، وثبت على إسلامه في الردة ، ومدح أبا بكر ، وبقي إلى أيام عمر - رضى الله عنه - معجم شعراء الحماسة . عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان . دار المريخ . الرياض ١٩٨٢ ص ٣٧ .

(٨) البقرة / ١٥ .

(٩) الإبانة ٢٧٠/٢ - ٢٧١ .

ففسر مادة طغي والمفردات المشتقة منها مستعيناً بالسياق اللغوي الذي وردت فيه :

« طغي فلان » : أي علا ، أو جمع بين الخبز والأدم ، وصَوّت « سمعت طغي فلان » .

طغي فلان عليّ : ظلمني .

طغي القومُ : أي : غرّوا وضلّوا : في طغيانهم يعمهون .

طغي الشيء ، والماء ، والصيحةُ : علا وارتفع .

وطغت البقرة : صاحت .

وهنا قد اعتمد على السياق اللغوي حيث يكون الفاعل إنساناً ، ويكتفي الفعل بفاعله « طغي فلان » أو يحتاج إلى التعدي بحرف الجر « عَلَيَّ » ، وهل الفاعل إنسان مفرد ، أو جمع ، أو اسم جمع . بعد ذلك هل الفاعل : جماد ، أو سائل ، أو معنوي ، أو هل هو حيوان . وفي كل سياق يأخذ الفعل معنى جديداً يختلف عن المعاني الأخرى . وقس على ذلك أمثلة أخرى في ثنايا الكتاب .

ثم ننتقل بعد ذلك لعرض قضية المعنى ، فالمعنى مرتبط بالحرف ، ومرتبطة بالكلمة التي تتشكل من الحروف ، ومرتبطة بالجملة التي تتشكل من كلمات . ويتتبع الشيخ مستويات دَوَالِ المعنى كما يلي :

(١) معاني الحروف :

ويظهر ذلك في ربطه لحرف معين ورد في مجموعة من الكلمات بمعنى معين ، كأن يكون محبباً ، أو مكروهاً ، ويمثل لذلك المعنى . ويمكن أن نستشهد بالمثال التالي :

عند عرضه لحرف الشين من ناحية المخرج ، ومرات وروده في القرآن الكريم ، والحساب الكبير ، والحساب الصغير ، وصورته بالهندية ، وما يجتمع به من حروف في العربية ، ومالا يجتمع يقول : « والشين حرف يحصل في أسماء مكروهة ، فمعناها شؤم ، والشر ، والشرك ، والشك ، والشتات ، والشجاج ، والشح ، والشنان وهو البغض .. وشناز ، وشماته ، وشين ، وشيطان وشياطين ، وشتم ، وشقر ، وشعوب ، وشعل ، وشد ، وشدّة ، وشور ، وشطط ، وشطاط ، وهو المتفرق من الأمر ، وشعاع (وهو من التفريق أيضاً) وشعار وشغب وشناعة »^(١) ويظل يضرب الامثلة على ذلك .

ولعله بذلك يتبع ابن جني (ت ٢٩٢هـ) في ملاحظته التي ترى « تصاقب الحروف لتصاقب المعاني » حيث يرى أن كل حرف من حروف اللغة يحمل معنى معيناً ، ومعنى

(١) الإبانة ١٣/ ١٣٩ - ١٤٠ .

الكلمة مرتبط بالمعاني التي يحملها كل حرف . ويتبعه الشيخ عبد الله العلايلي من المحدثين في تتبع كل حروف اللغة ، وإعطاء كل حرف منها معنى بحيث تكون معدة لدخول الحاسب الآلي ، وتكون وسيلة لاختراع كلمات جديدة بناءً على هذه المعاني^(١) وإن كان الشيخ العوتبي لم يسترسل مع هذه الفكرة . كما استرسل ابن جني والشيخ العلايلي .

ثم ينتقل إلى معنى الكلمة ، فيعرض لهذا المعنى من شرحه بكلمة واحدة ، أو بأكثر من كلمة ، مفسراً أحياناً هذا الاستعمال ، ومستعيناً بالسياق الاجتماعي إن كانت هناك ضرورة لذلك^(٢) ويعرض للمترادفات ، وللمشترك اللفظي ، وللأضداد ، ويتخذ من التضاد وسيلة للتفسير ، ويمكن أن نستشهد بمثال لكل من هذه الموضوعات على النحو التالي :

١- الترادف :

لا يرى الشيخ أن هناك ترادفاً تاماً في اللغة ، أي ليست هناك لفظتان مختلفتان والمعنى متفق^(٣) ، فإن كان هناك مثل هذا التشابه ، فلا يتعدى التشابه أو التقارب في المعنى بين لفظتين ، نظراً لاشتراكهما في بعض مكونات هذا المعنى ، ورغم ذلك يظل هناك اختصاص كل لفظة بمكونات أخرى تتميز بها . ويمكن أن نستدل على ذلك بتفسيره لكلمتي « الحمد » و « الشكر » اللتين تبدوان مترادفتين . يقول الشيخ : « وقولهم : الحمد لله والشكر بينهما فرق ، والعامّة تخفي في التأويل ، فظن أنهما بمعنى ، وليس كذلك ، لأن الحمد عند العرب : الثناء على الشخص بأفعاله الكريمة ، فهو قال : حمدت فلاناً فمعناه . ثنيت عليه ، ووصفته بكرم ، أو شجاعة ، أو حسب . قال الشاعر :

تزور امرأ أعطى على الحمد ماله ومن يعط ائتمان المحامد يحمد

معناه : أعطاه على الثناء ماله . وقال زهير :

فلو كان حمد يخلد الناس لم يمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد^(٤)

معناه : لو كان ثناء يخلد الناس .

والشكر معناه في كلامهم : أن تصف الرجل بنعمة سبقت منه إليك . قال النبی : « من أزلت إليه نعمة فليشكرها »^(٥) معناه : فليصف صاحبها بإنعامه عليه ، وقوله : أزلت

(١) وذلك في علاجه للاشتقاق الأكبر الذي بياه الخليل بن أحمد في معجم العين . انظر الخصائص . ابن جني / الخليل بن أحمد . مهدي المخزومي . مطبعة الزهراء . بغداد ١٩٦٠ ص ٧٥ .

فهناك تناسب بين اللفظ ومدلوله على مستوى الصوت أو على مستوى الكلمة . فعلى مستوى الصوت يقول ابن جني فني توضيح الفرق بين الصاد والسين : فيفرق بين صعد وسعد يقول : « فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يرى . وهو الصعود في الجبل والحاظ ، ونحو ذلك وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر ولا يشاهد حساً ، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد ، لا صعود الجسم .. فجعلوا الصاد تقوفاً فيما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة ، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس ، وإن لم تره العين » .

الخصائص . ابن جني ٥٥٣/١ . وانظر كذلك ٥٤٦/١ - ٥٥٩ من الخصائص .

(٢) انظر ص ٢٢ - ٢٦ من البحث . (٣) الإبانة ٣١/١ .

(٤) ديوان زهير . دار صادر . بيروت ص ٤ / وانظر شعر زهير بن أبي سلمى . صنعه الأعم الشنتمري تحقيق فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٩٨٠ ص ١٩٠ .

(٥) لم أعر على هذا الحديث بهذا النص في كتب الحديث المعروفة .

يعني . أسديت إليه ، واصطنعت عنده ، يقال منه : أزلت إلى فلان نعمة ، فأنا أزلها إزلاً . قال كثير .

وإني وإن صدت لثنتين وصادق عليها بما كانت إلينا أزلت^(١)

وقد يقع الحمد على ما يقع عليه الشكر ، ولا يقع الشكر على ما يقع عليه الحمد ، والدليل على هذا أن العرب تقول : حمدت فلاناً على حسن خلقه ، وشجاعته ، وعقله ، ولا يقولون قد شكرت فلاناً على حسن خلقه وعقله وشجاعته ، فالحمد أعم من الشكر ، وكذلك افتتح الله - تعالى - بفاتحة الكتاب فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾^(٢) .

فهذا النص يشير إلى بعض الفروق الدلالية بين كلمتين تظن العامة أنهما مترادفتان ، ويوضح هذا الفرق أن :

الحمد : على أفعال كريمة ، ويجوز أن يكون على نعمة سبقت ، وهو أعم . أما الشكر فهو على نعمة سبقت ، وهو أخص ، ويمكن أن يوضح هذا الشرح بالجدول التالي :

الملمح الدلالي	على أفعال كريمة	على نعمة سبقت	أعم	أخص
الحمد	+	+	+	-
الشكر	-	-	-	+

وهو بهذا يتفق ورأى الرافضين للترادف في اللغة من أمثال ثعلب ، وأبي على الفارسي ، وابن فارس ، وأبي هلال العسكري^(٤) وقد أورد أبو هلال العسكري في كتابه : « الفروق اللغوية » نصاً يشرح فيه الفرق الدلالي بين الحمد والشكر ، ويضيف مكونات دلالية أخرى ، كحمد النفس وشكرها ، وحمد الله وشكره ، والموازاة في القدر ، وضد كل منهما حيث يكون ضد الحمد : الذم ، وضد الشكر : الكفر^(٥) .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة ، ومقتاترة في ثنايا الكتاب .

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر من خزاعة ، وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان ، وهو شاعر مشهور من شعراء الدولة الأموية ، ورائد من رواد الغزل العذري ، هام حبا بمرّة حتى اشتهر بنسبته إليها . اتخذ عبد الملك بن مروان شاعراً له وتوفى ١٠٥هـ في خلافة هشام .

معجم شعراء الحماسة . عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان . ص ١٠٦ .

(٢) الفاتحة . ١/ .

(٣) الأمانة ١/ ٥١٤ - ٥١٥ .

(٤) انظر علم الدلالة ، أحمد مختار عمر . دار العربية للنشر والتوزيع . الكويت ، ١٩٨٢ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

وانظر : المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً . توفيق محمد شاهين . مكتبة وهبة . القاهرة . الطبعة الأولى . ١٩٨٠م . ص ٢٢٩ وما بعدها .

(٥) راجع هذا النص في كتاب : الفروق اللغوية . أبو هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي . دار الكتب العلمية . بيروت . بدون تاريخ ص ٣٥ - ٣٦ .

٢- المشترك اللفظي :

والمشترك اللفظي هو « لفظان متفقان والمعنى مختلف »^(١) نحو قولك : وجدت عليه من الموجودة ، ووجدت الضالة ، إذ صنتها ، فاتفق اللفطان ، واختلف المعنى . فقد تأتي الألفاظ المتفقة بالمعاني المفترقة ، ويمكن أن نستعين بهذا المثال الذي ساقه الشيخ وهو العين^(٢) .

العين : هي الناظرة لكل ذي بصر .

والعين : الجارية من عيون الماء . وكذلك عين الركبة .

العين : من السحاب ما أقبل عن يمين القبله .

العين : المال العتيد الحاضر .

العين . الدينار .

العين : المثل في الميزان ، تقول : أصلح عين ميزانك .

عين القوم : شريفهم ، تقول : هؤلاء أعيان قومهم ، أي : أشرفهم .

العين : بمعنى الحفظ . تقول : اجعل هذا بعينك ، أي بهمك وحفظك .

العين : بمعنى العقوبة ، تقول : أصابته عين من عيون الله . أي : عقوبته

العين : حقيقة الشيء

العين : المطر

والملاحظ أن هذا المثال قد تحقق فيه شرط من شروط المشترك اللفظي وهو ألا يكون الاختلاف في المعنى عن طريق المجاز ، بمعنى ألا تنتقل دلالة الكلمة إلى دلالة أخرى عن طريق المجاز كما في كلمة الهلال حين تعبر عن حديدة الصيد التي تشبه الهلال ، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال ، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال فلا يصح إذن « أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات »^(٣) . وقد أدخل الشيخ كثيراً من الأمثلة التي كانت الدلالة الثانية والثالثة فيها على سبيل المجاز كما في كلمة : السماء التي تعني^(٤) .

(١) الإبانة ٣٦/١ .

(٢) السابق ٢٨٤/٢ - ٢٨٨ . انظر نفس المادة « العين » في شرح كراع ، وأبي العميل ، وأبي عبيد الأصمعي . في كتاب : علم الدلالة أحمد مختار عمر . ص ١٥٣ - ١٥٥ .

فقد أورد كراع لها ثمانية معان ، وأبو العميل ثلاثة عشر معنى ، وأبو عبيد ثمانية معان ، والأصمعي خمسة عشر معنى .

(٣) انظر : دلالة الألفاظ . إبراهيم أنيس . الانجلو المصرية . القاهرة . ط ١٩٧٢ . م . ص ٢١٤ .

(٤) الإبانة ٢٩٥/١ .

- المطر : ومنه قوله : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أي : الغيث .

- الكلاً : قال جرير :

إذا نزلَ السماءَ بارضٍ قومٍ رعيناه وإن كانوا غضاباً^(١)

- سقف كل شيء ، وما علاه

فدلالة السماء على المطر . من قبيل المجاز المرسل الذي تكون علاقته السببية . ودلالاتها على الكلاً من قبيل المجاز المرسل أيضاً الذي تكون علاقته . السببية أيضاً ودلالاتها على السقف من قبيل التشبيه في العلو والارتفاع والتغطية . ولا ينطبق إطلاق المشترك اللفظي على ما جاء من مثل هذا المثال كما في الأرض ، والزكّام ، والنجم ، والكوكب ، والنهار ، والليل ، والجمل ، والإنسان والشيخ ، والعجوز ، والعبد ، واليد ، والرجل ، والعين ، والبطن والظهر ، والثنايا ، والسن ، الرحي ، والصبح والظفر ، والثور ، والنبات ، والحمار ، والاتان ، والضحل ، والعيرانة ، والعير ... إلى آخر الأمثلة الكثيرة التي ساقها الشيخ^(٢) .

ولا يكون وجود المشترك اللفظي في اللغة عبثاً ، بل يبقى إمكانية لغوية للتعبير عن موضوعات لا يصلح لها سوى المشترك اللفظي . ويمثل الشيخ لذلك باستخدامه في الأحاجي ، يمثل على ذلك بالمثال التالي :

وكافرٍ مات على كفره وجنة الفردوس للكافر

فكيف تكون الجنة للكافر ، يشرح الشيخ ذلك بقوله :

« يريد بالكافر : اللابس للسلاح في سبيل الله ، يقال : كفر درعُه : إذا لبسها ، ويقال واد كافر : إذا غطى ما على جوانبه ، ومنه سمى الكافر ، لأنه يستر الحق ، ويقال : كأنه الغطاء على قلبه ، والليل كافر أيضاً ، لأنه يغطي النهار ، ومغيب الشمس : كافر الشمس .

قال لبيد :

حتى إذا ألفت يداً في كافرٍ وأجنّ لَوامُ الغُورِ ظلامُها^(٣)

يعني الشمس ، وقوله تعالى : ﴿ كَزَرَ عَ أَعْجَبَ الْكَفَّارِ نَبَاتُهُ ﴾^(٤) فسر الكفار :

(١) نسب صاحب اللسان البيت لمعزّ الحكماء معاوية بن مالك . وعلل سبب هذه التسمية بقوله في هذه القصيدة .
أعوذ مثلها الحكماء بعدي إذا ما الحق في الحدثن نأباً

انظر : اللسان مادة س م و .

(٢) انظر الإبانة ٢٩٥/١ - ٣٠٥ .

(٣) ديوان لبيد . دار صادر بيروت . ج ١ ص ١٧٦ . وفي الديوان « عورات الثغور » ولبيد هو لبيد ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن مصمعة الجعفري . كنيته أبو عقيل ، وهو شاعر مشهور ، مخضرم . قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم ، يقال إنه ما قال في الإسلام إلا بيتاً واحداً هو :

الحمد لله الذي لم يأتني أجل حتى اكتسيت من الإسلام سريلاً

الديوان ص ٢٢٦ . معجم شعراء الحماسة ، عبد الله عبد الرحيم عسيلان ص ١٠٩ .

(٤) الحديد / ٢٠ .

جمع كافر ، وهو الزارع ، لأن الزارع إذا ألقي البذر في الأرض ، فقد كفره ، أي : غطاه^(١) .
والأمثلة على ذلك جد كثيرة في ثنايا الكتاب .

ويمكن أن نسوق هذا المثال من المادة المعجمية يقول الشيخ في مادة ج.ز.م « الجزم :
الحرف إذا سكن آخره بلا إعراب ، والجزم : ضرب من الكتابة ، وهو تسوية الحروف ، وقلم
جزم : لا حرف له . ومن القراءات : تجزم الكلام جزمًا : تضع الحروف مواضعها في بيان
ومهل . والجزم : القطع أيضا . وجزم على الأمر : إذا سكنت عليه ، وقيل ذلك جزمًا .
والجزم : أن تشتري حمل النخل قائما في أكمامه تقول : اشتريت جزم نخل فلان ، أي .
اشتريت حملة . جزمت له جزمة من مالي ، أي : قطعت له قطعة^(٢) .

فتعدد دلالة هذه الكلمة بين العلامة الإعرابية ، وهذا الضرب من الكتابة ، ووضع
الحروف مواضعها في القراءة ، وشراء حمل النخل قائما في أكمامه ، والقطع ، دون أن يكون
من قبيل المجاز هو ما أدخل مثل هذه الكلمات في باب المشترك اللفظي .

٣- الأضداد :

والأضداد هي « أن تدل اللفظة على المعنى وضده » ، وهي حيلة لغوية لرأب الصدع . في
قصور الثروة اللفظية المستعملة ، من جهة ، أو الاقتصاد في الثروة اللفظية من جهة أخرى
لتغطية معاني لا تعبر عنها إلا الأضداد كإظهار التناقض أو التشاؤم من موضوع معين .

وقد اهتم الشيخ بهذه القضية سواء في مقدمته ، أو في مادته المعجمية . فذكر في المقدمة
قائمة كبيرة من المفردات التي تدل على المعنى وضده نذكر منها .

ناهل للعطشان ، وللذي شرب حتى روى

ش در فلان : للمدح وللذم أيضا .

السدفة : الضوء والظلمة « لأن الضوء يأتي من الظلمة ، والظلمة تأتي من الضوء » .

الحميم : الماء الحار والماء البارد .

طلعت على القوم : إذا أقبلت إليهم حتى يروك ، وطلعت عليهم : غبت عنهم .

لمقت الشيء : إذا كتبت في لغة هذيل ، ولقته إذا محوته في لغة قيس .

بعث الشيء : إذا بعته ، وبعته إذا اشتريته .

(١) الإبانة ٣٥/١ .

(٢) السابق ٤٨٢/١ ، ولزيد من الأمثلة انظر ٤٩٠/١ ، ٥٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ١٣١/٢٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ،
١٥٨ ، ١٨٣ ، ٢٨٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٩٤ .

والأمثلة على ذلك جد كثيرة في المقدمة^(١) من أمثال: الجون، والتلاع، والجلل، والمائل، والصريح، والبئر، والزهوة، ووراء، وقْدَام، ودون، والذرية، والهاجد، وأطلب، وأشكر، والمختفى ... الخ .

ولم يغفل الشيخ الإشارة إلى هذه الظاهرة أثناء المعالجة المعجمية، ويمكن أن نمثل على ذلك بهذا المثال عند معالجته لمادة ط. م. ر :

« وقولهم طمرت الشيء، أي: سترته، من قولهم: طمر الجرحُ إذا سفل، وهو من الأضداد تقول: طمر الجرحُ: إذا سفل، وطمر: إذا علا وارتفع »^(٢).

والأمثلة على ذلك جد كثيرة متناثرة في ثانيا المعجم^(٣).

ولم يقف عطاء الكتاب عند هذا الحد من المستوى اللغوي أي مستوى الأصوات، والصرف، والتركيب، والدلالة، وهي المستويات التي يعني بها علم اللغة الآن، بل تعدى ذلك إلى مستوى البلاغة. فعرض لقضايا اللغة الجمالية، وهي لغة الأدب شعراً ونثراً، فيعرض في مقدمته تحت عنوان: في وجوه اللغة: الحقيقة والمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والاتساع في اللفظ، والتقديم والتأخير، والخبر والانشاء، والذكر والحذف، والاختصار والإيجاز، والمبالغة، والتعظيم، والتكرير، والحكاية، والاكتفاء ببعض الصفات. إلى آخر هذه القضايا التي تدخل في إطار الدراسات البلاغية والأسلوبية.

ولم يغفل الشيخ التراث العربي الذي يحمل الخبرة العربية في عبارة موجزة وهو المثل. فللعرب « الأمثال^(٤) التي لا يُوتَى عليها كثرة مع حسن معانيها، وإصابتها، ووضوحها، وإبانيتها، وهي أكثر أمثال أهل الأرض، وإن كان للفرس أيضاً أمثال كثيرة، فهي مع كثرتها لا بعشر أمثال العرب »^(٥). ويحكي الشيخ حكاية عن أبي عبيدة فيما روى أبو حاتم عنه أنه « أوصل إلى أحمد ابن سعيد بن سلم الباهلي أربعة عشر ألف مثل عربي، بعضاً في الجلود، وبعضاً في لفظي، وبعضاً في القراطيس، وبعضاً في الخرف »^(٦). فالعرب متفردون من بين الأمم الأخرى بمهنة الأمثال سواء في عبارات مختصرة أو في أبيات الشعر « فأبيات الشعر كثرت أمثالهم، وزادت على أمثال سائر الأمم أضعافاً مضاعفة، هذا إلى ما لهم من أمثال النثر »^(٧)، ويشرح الشيخ منهجه في عرض الأمثال في معجمه يقول: « وقد

(١) الإبانة ١ - ١١٧ - ١١٩. (٢) الإبانة ٢/ ٢٥٥.

(٣) انظر على سبيل المثال ٢/ ١٥٤، ١٥٩، ٢٨٣، ٢٩٦.

(٤) انظر على التوالي ١/ ٦٩، ٢٦٠/ ٢١٣، ٢٨٢/ ١٠٠، ٢٢٤/ ٨٠، ١٥٩/ ٢٧٠، ٨١/ ٩٦، ٢٥٨/ ٢٨٠.

(٥) الإبانة ١/ ٨٤، ٧٩، ٩١، ١١٦/ ١٨٤، ٧٧/ ٢٠٩، ٩٤/ ٢٦٧.

(٦) السابق نفس الصفحة.

(٧) السابق نفس الصفحة.

أودعت كل حرف من حروف المعجم شيئاً منها مما هو على الحرف المبتدأ به «^(١) فيذكر المثل عند معالجته للكلمة في داخل البنية المعجمية ، ويختم كل حرف من حروف المعجم بقائمة الأمثال التي وردت في المادة المعجمية مع زيادات ، ونفس المسلك مع كل حروف المعجم .

ومن هنا يكتسب هذا العمل أهميته .

(١) السابق نفس الصفحة ..

الخاتمة

من العرض السابق يتضح أن معجم الإبانة للشيخ العوتبي معجم متفرد حيث يقوم على مقدمة طويلة تنم عن تمكن في مستويي اللغة المميزين .

– المستوي اللغوي وقضاياها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية .

– والمستوى الجمالي : وقضاياها البلاغية من ناحية الفصاحة والبلاغة وقضايا المعاني والبيان والبديع .

بالإضافة إلى ما طُعّم به المعجم من الأمثال العربية مشروحة في ثنايا المادة المعجمية ، ومجموعة في آخره وكذلك الأبيات الشعرية التي زود بها المعجم في آخره . وأقوال اللغويين ، والمفسرين ، وأهل الحديث ، وكذلك ما جاء فيه من إشارات اللهجات العربية القديمة ، وما أثر فيه من قضايا .

ومن هنا يجب المحافظة على هذا التراث ، وتكون صورة هذه المحافظة متمثلة في إخراجه إلى النور حتى يستفيد منه طلاب العلم في كل مكان .

فهو معجم توافرت لواضعه المؤهلات الكافية وهي المعارف الصوتية والصرفية ، والتركيبية ، إلى جانب المعارف الدلالية للمفردات سواء على المستوى المعجمي أو المستوى السياقي ، مستنداً في ذلك إلى الشواهد من القرآن أو الحديث أو الفصح من أشعار العرب أو لغاتهم ، ومستنيراً بأراء علماء اللغة والفقه ، والحديث دون إغفال للقراءات القرآنية .

وحتى تكون هذه الإفادة تامة نتطلع عند إخراج المعجم إلى النور إلى مراعاة ماييلي :

١ – النظر في ترتيب جذور الحرف الواحد ، ومراعاة إخراجها وفق ما هو متبع في المعاجم المعروفة ، فيكون الترتيب وفق الحرف الأول ثم الذي يليه ثم الذي يليه .

٢ – جمع المتناثر الذي يتصل بجذر معين ، ووضعه في مكان واحد وفقاً لترتيب هذا الجذر . وكذلك إخراج ما وقع في غير ترتيبه من ناحية الحرف ، أو الجذر .

٣ – تخريج الشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والأشعار ، وأقوال العلماء لتكون الفائدة أكد .

٤ – التعريف بأسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في سياق المعجم سواء كانوا لغويين أو علماء فقه أو حديث أو قراء حتى يخرج المعجم موثقاً .

٥ – مراعاة علامات الترقيم من ناحية النقطة والفاصلة ، والنقطتين الرأسيتين وغيرها

تحسينا للعرض ، وتسهيلاً للاستعمال والإفادة .

٦- وضع فهرس خاصة بالشواهد ، والأعلام ، وأسماء البلدان . كما هو متبع في المعاجم المعتمدة .

وبذلك نكون قد حافظنا على تراث غال ، من ناحية الإخراج ، والاعتناء بالشكل والجوهر ، وهيانا له أن يقوم بدوره في خدمة العربية ، التي لازالت في حاجة إلى جهود أخرى مخصصة على هذه الشاكلة .

المصادر

- (١) تاج العروس الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)
- (٢) القاموس المحيط الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)
- (٣) لسان العرب ابن منظور (ت ٧١١ هـ)
- (٤) معجم الإبانة، للعوتبي . وزارة التراث القومي . سلطنة عمان ، مخطوط . الرقم العام ١٩٨٠ الرقم الخاص ٢٥ هـ .

المراجع

١- المراجع العربية :

- ١- الأصوات اللغوية . كمال بشر . مكتبة الشباب . القاهرة . د ت .
- ٢- الأنساب ، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري . وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان ط٣ / ١٩٩٢ .
- ٣ - الخصائص . أبو الفتح عثمان بن جني . مطبعة الهلال (بمصر) ١٩١٣ م .
- ٤- الخليل بن بن أحمد . مهدي المخزومي . مطبعة الزهراء . بغداد . ١٩٦٠ م .
- ٥- دلالة الألفاظ . إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط٣ . ١٩٧٢ م .
- ٦- سر صناعة الإعراب . ابن جني . تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد اء أمين . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . ١٩٥٤ م .
- ٧- العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) . تحقيق عبد اء درويش . مطبعة العاني . بغداد ١٩٦٧ م .
- ٨ - علم الدلالة . أحمد مختار عمر . دار العربية للنشر والتوزيع . الكويت ١٩٨٢ م .
- ٩- علم اللغة وصناعة المعجم . على القاسمي . عمادة شئون المكتبات . جامعة الملك سعود . الرياض . ط٢ . ١٩٩٢ م .
- ١٠- الفروق اللغوية . أبو هلال العسكري . تحقيق حسام الدين المقدسي . دار الكتاب العلمية . بيروت . د. ت.
- ١١- قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً . محمد رشاد الحمزاوي . منشورات المعهد القومي لعلوم التربية . تونس ١٩٨٣ م .
- ١٢- المخصص ابن سيده . تحقيق عبد السلام هارون . دار الجيل . بيروت ط١ . ١٩٩١ م .

١٣- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً . موسى توفيق شاهين . مكتبة وهبة . القاهرة ط١ ١٩٨٠م .

١٤- المعاجم العربية . عبد السميع محمد أحمد . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٨٤م .

١٥- معاني القرآن . أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) . تحقيق أحمد يوسف نجاتى . ومحمد علي النجار . وعبد الفتاح اسماعيل شلبي . وعلي النجدي ناصف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٠م .

١٦- معجم شعراء الحماسة . عبد ا، بن عبد الرحيم عسيلان . دار المريخ . الرياض ط١ ١٩٨٢م .

١٧- المعجم العربي . حسين نصار . مكتبة مصر . القاهرة . ١٩٨٨م .

١٨- المعجم العربي . رياض زكي قاسم . دار المعرفة . بيروت . ١٩٨٢م .

١٩- معجم علم اللغة النظري : محمد علي الخولى . مكتبة لبنان . بيروت ١٩٨٢م .

٢٠ - مقاييس اللغة . ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ط١ ١٣٦٦هـ .

٢١- مناهج البحث فى اللغة . تمام حسان. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٥م .

ب- المراجع الأجنبية :

(1) Halliday M. A. K. Angus Mc Intosh and Peter strevens "The Linguistic Sciences and language teaching" (Bloomington; Indiana University Press 1965.

(2) Hass, Mary R. "What belongs in a bilingual Dictionary". In householder and sporta.

(3) Hill, "Lexicographers and Linguistics" Language 46. 1970.

(4) Hill, Archibald A. (ed): "Linguistics Today" New York. Basicbooks INC. 1969.

(5) Marckwardt, Albert, H. "Dictionaries and English Language" English journal 52. 1963.

(6) Martin, Samuel E. "Selection and Presntation of ready equivalents in a translation Dictionary" In householder and sporta.

القراءة الثانية

العوتبي بين الفقه والأصول والأدب

سماحة الشيخ / أحمد بن حمد الخليلي

مفتي عام السلطنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله السميع البصير العليم الخبير سبحانه خلق فسوى وقدر فهدى أحمده -تعالى- لما هو له أهل من الحمد وأثنى عليه واستغفره من جميع الذنوب وأتوب اليه واومن به وأتوكل عليه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أصحاب الفضيلة، والسعادة ... أيها الأخوة الكرام

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته، احبيكم بهذه التحية الطيبة

اهنىء نفسي واهنئكم بهذا الاجتماع الميمون في رحاب هذا المنتدى الادبي وفي هذه الايام الطيبة التي تتجلل فيها بلادنا ثوبا قشيبا من الفخار بمناسبة عيدها الوطني ومناسبة مرور ربع قرن على هذه النهضة المباركة التي قادها عاهل البلاد المفدى وقاد بها البلاد إلى مصاف التقدم فاهنئكم جميعا بهذه المناسبة وبما ان سياسة عاهل البلاد المفدى -حفظه الله- تقتضي أن يوصل الحاضر بالماضي وان نبني نهضة هذا العصر على ما سبق من اسس سابقة لانه من لم يكن له ماض فليس له حاضر.

جاءت هذه الاحتفالات باعلام هذا البلد السابقين لاجل صقل مواهب الفئة الناشئة الآن وحفزها إلى ذلك النهج القويم لتكون امتدادا لذلك السلف العظيم.

وانني من اعماق قلبي أشكر وزارة التراث القومي والثقافة على احتوائها هذه الاحتفالات، وقيامها بهذه الجهود من أجل ارساء دعائم هذه النهضة الثقافية على تلك الاسس الصلبة التي وضعها السلف الصالح وعلى رأس هذه الوزارة صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل وزير التراث القومي والثقافة، كما أشكر هذا المنتدى على ضيافته لهذه الندوات والجهود الجبارة التي تبذل في سبيل انجاحها.

عالم متمكن في كثير من العلوم

ولا اجدني قادراً على الحديث بعد الذي سمعته وسمعتوه جميعا من الباحثين الذين تناولوا موضوعات شتى تتعلق بالشخصية المنتقاة لتكون شخصية هذا العام وهي شخصية العلامة الجليل أبي المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري فقد سمعتم الكثير

والكثير عنها وكما قيل (ماترك الأول للآخر) ولئن كان هنالك مثل آخر يعاكس هذا المثل وهو (كم ترك الأول للآخر؟) فانه واقعي وواقع الباحثين الذين سبقوني يجعلنا نأخذ بهذا المثل الذي اخترته (ما ترك الأول للآخر).

وقبل كل شيء ارى ان شخصية العوتبي بجانب كونها شخصية ذات أهمية لانها شخصية ادبية وفقهية فهي شخصية موسوعية فقد كان العوتبي نسابة وكان عالما ضليعا باللغة العربية وعالما موسوعيا في الفقه الإسلامي وعالما متمكنا في علوم العقيدة الا انني بجانب ذلك ارى ان التاريخ غمط تلك الشخصية حقها اذ لانجد ما يدلنا بالتحديد على الفترة التي عاش فيها ولانجد ما يدلنا على انه تلقى العلم عن فلان أو فلان من مشايخ العلم في ذلك الوقت فهذه الشخصية بجانب معطياتها الكثيرة هي اقرب إلى الغموض من حيث التاريخ فنحن إلى الآن لانستطيع ان نحدد بالدقة هل كان العوتبي كما يقول البعض من علماء القرن الرابع الهجري أو هو من علماء القرن الخامس كما سمعت من جماعة هنا وارى انه ان كان من علماء القرن الخامس فان الزمن امتد به إلى القرن السادس نظرا إلى ما وجدته في موسوعته الضياء من نقل عن حجة الإسلام الامام ابي حامد الغزالي الذي عاش بين عام ٤٠٥ إلى ٥٠٥ ولا يمكن ان ينقل عنه في تلك الفترة التي لم تكن فيها وسائل للنقل والنشر الا بعد ما شاعت شهرة الامام ابي حامد الغزالي، ولا ريب ان شيوع هذه الشهرة كان في القرن السادس اكثر منه في القرن الخامس فنقله عن الامام ابي حامد الغزالي يدل على أن الرجل عاش إلى القرن السادس الهجري فالامام ابو حامد الغزالي وان كانت عيشته في النصف الاخير من القرن الخامس الهجري الا ان العمر امتد به إلى بداية القرن السادس حيث مات في العام الخامس منه.

وهو منسوب إلى عوتب وهي منطقة بصحار ولكن هل درس في صحار أو درس في غيرها؟.. من خلال تأولنا بما وجدناه في موسوعة الضياء يتبين انه تلقى فيمن تلقى عنه عن الامام ابن بركة فشيخه ابن بركة كان شيخا له بالواسطة وعندما يذكره يقول... قال شيخنا أبو محمد ولاريب ان ابن بركة وان كان من المنطقة الداخلية بعُمان الا إن مدرسته انتشر أصحابها في ارجاء عُمان وشيخ ابن بركة الذي هو ابو مالك الصلاني كان ايضا من المنطقة الداخلية لكنه انتقل بعد ذلك إلى صلان بصحار فنسب اليها.

نهج خاص

وحسب ما ذكر في البرنامج الخاص بهذه الندوة فإن موضوع هذه المحاضرة (العوتبي فقيها واصوليا واديبا) ولاريب ان الجانب الادبي قد كفاني اياه الذين تحدثوا عن سعة افق العوتبي في المجالات الادبية من علوم اللغة واشتقاقاتها ولكنني اضيف إلى ذلك أن

العوتبي جعل من الأدب وعاء للغة فإنه عندما يتعرض لكل قضية من القضايا الفقهية في كتابه الضياء يقدم لذلك بالتعريف اللغوي ثم يتحدث في مجاله.

فعندما جاء مثلا إلى ذكر السؤال وهو باب يتحدث فيه الفقهاء عادة في مستهل تأليفهم من أجل تحديد الجانب الذي لا يعذر الإنسان عن السؤال عنه من القضايا الدينية وما يعذر عنه، تحدث كثيرا عن السؤال في نحو صفحتين ذكرا اشتقاقاته اللغوية وذكر ان فيه لغتين سأل يسأل وسال، يسال.

وأورد الشواهد على ذلك وقال: ان سال يسال يخاف وعند التصرف باسناد هذا الفعل إلى ضمير المتكلم أو المتكلمين أو المخاطب يقال سلت كقفت وسلمت وسلمتما وسلمنا فهناك خاف يخاف من حيث التصرف حيث اننى لاحظت انه ذكر هنا ان فعل الامر المتصرف من السؤال عندما يأتي معطوفا بالفاء أو معطوفا بالواو فانه لا يأتي متصرفا من، سأل -بالهمزة- ولكن من (سال) اي يقال: (سل) وقد تكون هذه زلة قلم منه لان الشواهد القرآنية تدل على خلافه فان الله يقول: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾^(١) ويقول ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾^(٢). مع انه عزا ذلك إلى العرب قاطبة.

وكذلك عندما يتحدث عن الرحم يذكر الحديث الشريف «الرحم شجنة معلقة بالعرش» ثم يعرض (الشجنة) ودلالاتها على الترابط ويذكر ان الشجون مأخوذة منها في قولهم: الحديث ذو شجون وهكذا نجده عندما ما يتحدث عن اي ناحية من النواحي الفقهية يتعرض للدلالات اللغوية وهو في هذا المجال واسع الاطلاع فيما يورده من اقاويل العلماء فضلاً عما هو موجود في الإبانة الذي هو كتاب خاص في الناحية اللغوية نجد ان ما ذكره في الضياء من قضايا تتعلق بهذه الناحية في معرض ذكر الاحكام الفقهية ينقل عن الكثير الكثير من ائمة اللغة الذين سبقوه فهو ينقل عن ابي عمرو ابن العلاء وعن الخليل والاصمعي وابن دريد وابي عبيدة وابي عبيد وابن فارس وغيرهم ثم انه يورد الشواهد العربية الكثيرة التي تؤيد وجهة نظره وعندما يتعرض مثلاً لاحكام التوحيد ولاسماء الله الحسنی يشرح هذه الأسماء إسمًا إسمًا مستشهدا بالشواهد الكثيرة من كلام العرب التي تدل على معاني هذه الأسماء.

إلى جانب ذلك كله نجده ضليعا في علوم القرآن ولاريب ان القرآن هو مصدر البلاغة فالتضلعون في العربية لابد من ان يكونوا حريصين على فهم القرآن الكريم وعلى صقل مواهبهم اللغوية ببلاغته التي هي ينبوع بلاغات البلغاء من العرب فهو عندما يتعرض للآية القرآنية يشبعها بحثاً من جميع جوانبها مما يدل على انه كان ذا اطلاع على ما كتبه المؤلفون من قبله في علوم القرآن.

(١) جزء الآية ٢. من سورة يوسف.

(٢) الآية ١٦٢ من سورة الاعراف.

الفقه ورسوخ قدمه فيه

أما الفقه فإن الرجل كان فيه راسخ القدم واسع الاطلاع فهو ينقل عن شتى المذاهب الإسلامية حيث ينقل قبل كل شيء عن الرسول ﷺ عندما يورد الأحاديث في معرض الاحتجاج في الأقوال التي يرجحها أو الاحتجاج بالأقوال الأخرى حتى الأقوال التي يوردها يذكر ادلتها أيضا من حديث رسول الله ﷺ بجانب ذكر الآيات القرآنية ثم يورد أقوال الصحابة وأقوال التابعين وأقوال علماء الامصار ويورد أيضا أقوال ائمة المذهب خاصة ونجده ينقل عن الكثير والكثير من علماء المذهب فهو ينقل عن جابر وابي عبيدة والربيع ووائل وابي مودود وابي غسان أحمد الغمرد وابي حاتم بن أبي مودود وينقل أيضا عن بعدهم عن محبوب بن الرحيل ومحمد بن محبوب وبشير بن محمد بن محبوب وعن موسى بن ابي جابر وموسى بن علي وعلي بن عزة والأزهر بن علي ومحمد بن علي وعن ابي المؤثر وابي قحطان وعن ابن جعفر وعن غيرهم من العلماء كما انه ينقل عن المدرستين اللتين جاءتا بعد عزل الامام الصلت بن مالك واللتين سميتا بالمدرسة الرستاقية والمدرسة النزوانية حيث ينقل عن هذه المدرسة وتلك مع كونه منتبيا إلى المدرسة الرستاقية.

والباحث المدقق في مؤلفات الطائفتين يجد أنهم جميعاً (في مجال الفقه) ينقلون عن الجميع فلا يتحفظ الرستاقيون من النقل عن النزوانيين كالنقل عن ابي سعيد وتلامذته ولا يتحفظ أيضا النزوانيون من النقل عن ابن بركة وتلامذته، ومن اجل الامانة فاننا نسجل بان المدرسة الرستاقية -وان نسب اليها ما نسب من التشدد والغلو وعدم التسامح- الا ان باعها في علوم العربية بل وفي علوم أصول الفقه كان أفضل وهذا ظاهر في آثارها العلمية والآثار هي خير الشواهد بل اصدق الشواهد التي تكشف الحقيقة وتدل على الواقع.

فنحن عندما ننظر مثلاً إلى جامع ابن بركة وإلى سائر مؤلفاته نجد ان ابن بركة كان عالماً ضليعاً في مجالات متعددة فهو أصولي وفقهه ومطلع على علم الحديث مع قلة المراجع المتيسرة في ذلك الوقت ونجد ان اطلاع هذه الطائفة على علوم العربية والأدب كان سبباً لأن تكون مؤلفاتها أكثر انسجاماً وأكثر رصانة وهذا واضح في مؤلفات ابن بركة وواضح في جامع ابي الحسن الذي هو تلميذ ابن بركة.

والعالم المحتفى به أيضاً مؤلفاته تدل على ذلك فكتاب الضياء مع كونه كتاباً فقهيّاً الا ان الصبغة الأدبية، -كما قلت- واضحة عليه وضوحاً بيّناً.

ومن هذه المدرسة العلامة ابن النضر الذي قيل عنه انه شاعر العلماء وعالم الشعراء وحسب ما يبدو لي فانه منتسب إلى هذه المدرسة وذلك واضح مما قاله في قصيدته اللامية التي تشدد فيها على القائمين على الامام الصلت حيث قال:

ليسوا أي دين ولا تعقل
فهو امام لم يكن بمعزل

هبوا اليه في لهام جحفل
فازمع الصد على الترحل

لم يرتكب ذنباً ولم يبذل

فهذا تشدد حيث وصف أولئك بأنهم ما كانوا أهل دين ولا كانوا أهل تعقل وإنما كانت نزوة شبابية طائشة دفعتهم إلى ما دفعتهم اليه من القيام على الامام الصلت وهذه اللهجة الحادة في التعبير عن ذلك دالة على انه كان منتسباً إلى الرستاقية.

التعقيب على بعض المسائل الفقهية

وبالنسبة إلى العلامة الكبير المحتفى به (صاحب الضياء) نجد من علمائنا المتأخرين من حاولوا ان يتعقبوه في بعض المسائل وفي مقدمة هؤلاء الامام الرباني ابونيهان جاعد بن خميس الخروصي -رحمه الله تعالى- فقد ألف كتاباً خاصاً بأحكام العدد أي عدد النساء تعرض فيه لبعض المسائل التي جاءت في كتاب الضياء.

ولاريب أنه كان في كثير من المسائل منصفاً لصاحب الضياء انصافاً بينا ظاهراً الا انه في بعض المسائل تحامل عليه بسبب ما وجد من مخالفة لادلة الواقع فهو ربما تحامل عليه في بعض المسائل لانه كان يتسرع إلى نقل الاجماع في مسائل مختلف فيها ومن امثلة المسائل المختلف فيها التي دخل فيها صاحب الضياء بالاجماع ما ذكره من الاجماع على أن مدة الحيض اقلها يوم وليلة وهذه المسألة مسألة خلافية فبعض العلماء قال: ان مدة الحيض اقل من هذا وبعضهم قال: اكثر من ذلك وقيل: إن أقل مدة الحيض دفعة فالدفعة تكون حيضاً كما هو قول مشهور عند الشافعية وقيل: بأن مدة الحيض اقلها ثلاثة أيام واكثرها عشرة أيام وهذا هو قول اكثر علماء المذهب عندنا وقول الحنفية ايضاً فالامام ابونيهان تعقب صاحب الضياء وبين ان نقله بالاجماع كان نقلاً خاطئاً وان كانت المسألة نفسها مما يتسامح في الخلاف فيه لانها مسألة فرعية كذلك ايضاً نجد ان صاحب الضياء نقل الاجماع فيما اذا تزوج رجل امرأة وأرخى عليها الست ادعت المرأة بانه لم يطاها والرجل اعترف بذلك؟ قال: بأنه اجمع بانهما لا يصدقان في العدة وان صدقا في الصداق بحيث يسقط عن الرجل نصف الصداق لا يلزمه الا نصفه ولكن العدة بما انها حق لله -تبارك وتعالى- فأنتهما لا يصدقان في ذلك وتجب العدة عليهما معاً.

وقد تعقب الامام ابونيهان -رحمه الله- هنا بأن المسألة اختلفت في اصلها قبل كل شيء هل العدة حق لله أم هي حق للزوج ولكن الله شرعه ولا يجوز ان يسقط؟ فمن قال هو حق للزوج فعندما يعترف الزوج بانه لم يكن موجبا لهذا الحق وذلك بعدم مباشرته اياها فإن هذا الحق يجب ان يقال بانه ساقط فالمرأة ادعت انه لم يباشرها والرجل صدقها على ذلك

كما ادعت بفرض العدة عليها، مع ان العدة شرعها الله -تبارك وتعالى- من اجل المحافظة على حق الزوج والآية القرآنية تقول: ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾^(١). فالعدة شرعت لاجل الرجل ولجل المحافظة على النسب وبما انه ادعى انه لم يكن موجبا لهذا الحق فإن الحق يسقط من أساسه.

أما من قال.. انها حق لله فإن اسقاط الزوج لهذا الحق لايسقط حق الله -تعالى- لا يسقطه اسقاط أحد من الناس ولكنهم بجانب ذلك.. قالوا: لايجوز ان يقال حتى عند من يعتبر هذا الحق لله -تبارك وتعالى- انهما عندما يصدق بعضهما بعضا بحيث كل واحد منهما يقول، ما قاله الآخر من عدم وقوع المباشرة لايبعد أيضا ان يصدقا في ذلك وان كان حقا لله من باب الطمأنينة ولكنه فرق بين التفريع على التأصيل الأول وهو قول من قال هذا حق للزوج نفسه وبين هذا التفريع الأخير وهو قول من قال: بان هذا حق لله -سبحانه وتعالى- ولكن بما أن الزوج يصدق المرأة بعدم موافقتها اياها يسقط حق الله -تبارك وتعالى- عنهما فرع هذا التأصيل وذلك التأصيل لانهما يصدقان بناء على التأصيل الأول حكما ويصدقان بناء على التأصيل الثاني طمأنينة ثم قال: ولايبعد أن يصدقا حكما أيضا حتى على التأصيل الثاني ذلك لأن المرأة مؤتمنة على حق الله -سبحانه وتعالى- ومن أجل كونها مؤتمنة على هذا الحق كانت مصدقة فيما إذا ادعت ان عدتها قد انتهت ويباح لها أن تتزوج بمن شاءت بعد ادعائها ذلك عندما يمضي من الوقت مقدار ما بوسع هذه العدة المفروضة.

وفي نفس الوقت أيضا تصدق المرأة عندما تدعي انها حامل وتصدق عندما تدعي انها غير حامل. فعندما تدعي انها حامل يكون لها الحكم الشرعي للحامل وهو الانفاق عليها إلى أن تضع حملها وتكون وارثة للزوج إذا مات في أثناء المدة لو كان هذا الطلاق رجعيا وعندما تدعي انها بريئة من الحمل وتدعي انها مرت عليها ثلاثة قروء التي فرضها الله -سبحانه وتعالى- عليها العدة تصدق أيضا في ذلك ويباح لها ان تتزوج بمن شاءت. إذا عندما تقول هذه المرأة أنه لم يكن هناك ما يوجب هذا الحق عليها ويصدقها الطرف الآخر وهو الزوج فلا مانع من أن يصدق في ذلك أيضا حكما.

وقد يأتي صاحب الضياء في المسألة برأي واحد ويؤيده الامام أبونبهان على ذلك الرأي الذي أورده ولكن بما انه يسوقه مساق القول المتوحد يتعقب الامام أبونبهان بيان الخلاف في ذلك فقد يورد القول الراجح الذي يتفق معه الامام أبونبهان -رحمه الله- على ترجيحه ويتبع ذلك بيان رجحانية هذا القول لبيان ما يثبت من كتاب الله ثم يتبع ذلك بيان الأقوال الأخرى ومآخذ تلك الأقوال.

(١) جزء الآية (٤٩) من سورة الاحزاب.

مواقفه

ومن أمثلة المسائل التي وافقه الامام أبونيهان على رأيه فيها إلا أنه بين الخلاف في مسألة ما إذا اختلط الأمر على المرأة بسبب استحاضتها فلم تعرف التفرقة بين زمان حيضها وزمان طهرها.

فالعلامة صاحب الضياء اقتصر في هذا على القول بانها تعود إلى الأخذ بالشهور بدلاً من القروء لأن حكمها في هذه الحالة كحكم الآيس وكحكم الطفلة التي لم تحض إذا طلقنا فاه -تعالى- يقول: ﴿واللأني يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن﴾^(١). وافقه الامام أبونيهان على أن هذا القول هو القول الراجح وعزاه أيضا الامام أبونيهان إلى طائفة من العلماء منهم أبو المؤثر وأبوسعيد الكدومي وآخرون من العلماء وبين ماخذه من الكتاب العزيز: بأن الآيس والطفلة إذا رجعتا إلى الاعتداد بالشهور نظرنا إلى ان الشهر يحل محل الحيضة والطهر لان عادة المرأة ان تحيض وتطهر في شهرها فالحيض والطهر -في الغالب انه في النساء- لا يتجاوز الشهر الواحد وغالبا النساء يحضن في الشهر الواحد ويطهرن فيه طهرا يعقبه حيض ولذلك جعل الله -تبارك وتعالى- ذلك مناطا للحكم عندما تكون المرأة آيسا من حيضها أو تكون دون سن المحيض.

وبين أن الدلالة الثانية على ذلك هي قول الله -تبارك وتعالى- ﴿ان ارتبتم﴾ فالربية هنا حاصلة ولما كانت الربية حاصلة كانت الدعوة إلى دفع هذه الربية بما تدفع به عندما تكون المرأة آيسا أو قد تكون المرأة دون سن الحيض غير انه قال: ان هذا القول ينبغي ان يعلم انه ليس هو القول الاوحد في هذه المسألة فالخلاف مشهور بين العلماء فيها وذكر نحواً من عشرين قولاً منها، انها تجعل مكان كل حيضة وطهر خمسة واربعين يوماً نظراً إلى أن أقصى مدة للحيض فيما قيل: خمسة عشر يوماً والشهر تتركه للطهر وعلى هذا تعتد مائة يوم وخمسة وثلاثين يوماً وقيل بانها تعتد مائة يوم وخمسة أيام وقيل: انها تعتد خمسة وثمانين يوماً وقيل: تعتد خمسة وسبعين يوماً وقيل تعتد سبعين يوماً وقيل: تعتد ستين يوماً.

وذكر بعد ذلك أقوال المتشددین التي منها انها تعتد عاما كاملاً، ثلاثة اشهر لاجل براءتها من الحيض، وتسعة اشهر لاجل براءتها من الحمل وقال: ان هذا لا يبعد أن يكون من باب الاحتياط وكذلك القول الآخر بانها تعتد عامين كاملين لأن أقصى مدة الحمل عامان عند بعض العلماء وقيل: تعتد ثلاثة أعوام وقيل: تعتد أربعة أعوام وقيل: أقصى مدة الحمل أربعة أعوام وقيل: تعتد سبعة أعوام عند من يقول بأن أقصى مدة الحمل سبعة أعوام وهكذا.

(١) الآية (٤) من سورة الطلاق.

ومن المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الشيخين عدة المفقود أو المفقودة فلاربط أن عدة المرأة عندما تفقد زوجها أن تتربص أربعة أعوام ثم بعد ذلك تطلق طلاقاً شرعياً بحيث يطلقها ولي الرجل وينظر القاضي الشرعي ذلك الطلاق وتعد بعد ذلك -كما قيل- عدتين، عدة وفاة، وعدة طلاق، بعد أن يحكم القاضي الشرعي بأنه في عداد الموتى وهذه المدة وهي أربع سنوات هي التي وقع عليها الاتفاق في عهد عمر -رضي الله عنه- عندما فقد من فقد حيث أمر أن تتربص المرأة التي فقد زوجها أربع سنوات ولكن أن فقدت المرأة متى يباح للرجل أن يتزوج باختها أو عمتها أو خالتها أو يتزوج المرأة التي يحرم عليه أن يجمع بينها وبينه فصاحب الضياء قال: يتربص عاماً واستبعد ذلك الشيخ أبو نيهان وقال... أما أن يكون تربصها عاماً واحداً يجعلها في عداد الموتى ويحكم عليها بسبب ذلك بأحكام الموتى وفي هذا تفرقة ما بين حكمها وحكم الرجل ولا دليل على هذه التفرقة وأما أن يقال بأنه يطلقها وعندما يطلقها تكون في حكم المطلقات فإذا مضت عدتها تكون اختها حلالاً له وتكون عمتها حلالاً له وخالتها وكذلك تكون ابنة أختها وبنت أخيها.

وعلى هذا الاحتمال الأخير لا بد من مراعاة احتمال أن تكون حاملاً ولئن كانت في حكم الحوامل فإن الخلاف موجود في ذلك هل تتربص عاماً نظراً إلى ما هو مألوف أن النساء عادة لا يتجاوز حملهن تسعة أشهر إلا قليلاً، فتجعل ثلاثة أشهر لحيضها فيما لو كانت غير حامل، وتسعة أشهر لحملها احتياطاً لئلا تكون حاملاً أو تكون مدة عدتها سنتين أو ثلاث سنوات أو أربع أو سبع وبعد ذلك يحل له أن يتزوج بمن يحرم عليه أن يجمع بينها وبينه.

وكذلك كان صاحب الضياء من المتشددين في المرأة التي بلغت الحلم بغير الحيض التي عدت شرعاً بأنها في حكم البوالغ ولكنها لم تحض فيما إذا طلقت، وقال: بأنها تعتد عاماً كاملاً، ثلاثة أشهر من أجل اعتبارها حائلاً «أي غير حامل» وتسعة أشهر لئلا تكون حاملاً.

والشيخ أبو نيهان ذكر خلاف هذه المسألة وقال: بأن هذا القول لا يعدو أن يكون من باب الاحتياط وإلا فإن لم تكن عليها أمارات الحمل فحسبنا ظاهر النص وهو قول الله -تبارك وتعالى- ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ فقلوه: ﴿واللائي لم يحضن﴾ يصدق على التي لم تحض لصغرها وعلى التي لم تحض لسبب آخر.

كذلك شدد صاحب الضياء أيضاً حين قال: بأن المرأة تعتبر خارجة عن عدتها حتى تحيض ثلاث حيضات كل حيضة من هذه الحيض الثلاث كسائر الحيضتين الأخريين

بحيث لا يكون هناك تفاوت، وإن لم يكن كذلك، فعليها أن تنتظر حتى تحيض ثلاث حيض على وتيرة واحدة لئلا يكون بعض الدم الذي خرج منها مجرد استحاضة والامام أبونبهان لم ير رآيه في هذه المسألة وقال: لأن الأصل في الدم الحيض وخصوصا عندما يأتي في فترة الحيض ولا بد من اشتراط أن تمر الفترة التي يمكن أن تتخذها المرأة طهرا بين الحيضتين فإذا ما اعقب هذا الطهر دم اعطته للحيض ولو كانت المدة متفاوتة سواء نقصت المدة أو زادت إذا كانت المدة الناقصة كافية لان تعد حيضة كاملة.

وفرق صاحب الضياء ما بين حكمي الحيض والنفاس في حرمة المرأة على الرجل اذا بارشها في أثناء دمها وهذه التفرقة لم تسع للشيخ ابي نيهان نظرا إلى ان النفاس حيض زادت ايامه وبما انه حيض زادت ايامه فان تلك الفترة (فترة النفاس) لا تختلف عن فترة الحيض فاما ان يقال ان المرأة لا تخرج عن عصمتها لو واقعها بجانب كونه أتما في هذه الواقعة سواء واقعها بدم الحيض أو في دم النفاس واما ان يقال بأنها تخرج عن عصمتها ولكن الامام السالمي -رحمة الله- مع كونه من المؤيدين لمدرسة ابي سعيد كان في هذه المسألة مع صاحب الضياء فبعد ان ذكر بأن حكم الحيض وحكم النفاس واحد من حيث حرمة الوطء فلا يجوز الوطء في دم الحيض ولايجوز في دم النفاس وإن النفاس حيض زادت ايامه وقال: بان قوله الذي ذهب اليه في التفرقة كان هو قول الاكثرين.

يقول السالمي:

وذا المقال في القديم اكثر و المتأخرون منه استنكروا

بالغ الشيخ ابونبهانانا أنكره على الضيا اعلانا

وانما المصيب في ذاك الضيا وان يكن اكثرهم ما رضيا

رجح رأي صاحب الضياء وبني هذا على أن النص القرآني ذكر أن حكم الحيض والنفاس حكمه محمول على حكم الحيض بالسنة وبالإجماع ولكن بما ان النص جاء في الحيض فان التشديد ينبغي ان يكون في المحيض اكثر منه في النفاس.

وخلاصة هذه المسألة أن العلماء اختلفوا فيما اذا اجترأ رجل فواقع امراته في أثناء حيضها هل تحرم عليه بذلك أولا تحرم عليه وانما تجب عليه التوبة أو تجب عليه التوبة والكفارة؟ والكفارة هي ما يعبر عنه بدينار الفراش وقد جاءت بذلك رواية عن النبي ﷺ الا ان فيها شيئا من الاختلاف ولذلك عد كثير من العلماء هذا الاختلاف تضاربا بين هذه الروايات فاسقطها بسبب ذلك الذين قالوا بحرمة المرأة عليه قالوا: بان هذا من باب سند الذرائع فعوام الناس لا يخشون عقوبة الله -سبحانه وتعالى- كما يخشون الحيولة بينهم وبين المرأة وجعلوا هذا من باب من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه وحملوه عما إذا

تعجل انسان الارث من موروثة فقتله او تعجل وصية يستحقها ممن أوصى له فقتله فاذ لا يستحق الوصية ولا يستحق الارث.

والطائفة الأخرى من العلماء قالت: انه لم يأت نص يدل على التفريق بين المرأة وزوجها بسبب مواعته اياها في الحيض وانما النص جاء دالا على حرمة هذا الوقاع فليس لنا أن نأتي بحكم لم يأت به النص من تلقاء انفسنا، على أن تلك المرأة حلت لذلك الرجل بحجة شرعية وحرمتها عليه تتوقف على حكم شرعي واضح لا يقل قوة عن الحكم الذي اباحها له.

وبما أن التفرقة بينه وبينها تؤدي إلى أن يستحل الرجال خطبتها والاستمتاع بها بعدما يتزوجها من يتزوجها منهم فإن هذه جراحة تؤدي إلى استباحة فرج بطريقة لم يأت بها دليل على هذه الاستباحة فالأصل أن تكون هذه المرأة فراشا للزوج الأول وخروجها عن الزوج الأول يتوقف على الدليل أولئك المتشددون منهم من فرق بين الحيض والنفاس والامام أبو نيهان لم يستسغ هذا التفريق ما بين الحيض والنفاس فلذلك انكر الذي انكره على صاحب الضياء وهو يشير في مقدمة كتابه هذا الذي تعقب فيه كلام صاحب الضياء مشيرا إلى أن الخلاف في هذه المسائل وقع بين الشيخين اللذين هما قطبا المدرستين المختلفتين فقد ذكر بأن هذا الخلاف صورة مما اختلف فيه فقال: هكذا الصورة التي اختلف فيها أبو محمد واقليد اقفال مغاليق أبواب العلوم أبوسعيد -رحمه الله- فهو يرى أن هذا الخلاف صورة من الخلاف الواقع بين رائدي المدرستين المختلفتين.

ومع هذا كله فإن أبا نيهان -رحمه الله- نفسه مقر لصاحب الضياء وعندما يكون القول الذي قاله معترضاً بالدليل نجده يتعقب ايراده ببيان حجته وبيان مأخذه وبيان قوته وأنه تجاه الأقوال الأخرى هو أقوى منها بكثير.

انفراده ببعض الآراء

وتبين لنا أن لصاحب الضياء آراء انفرد بها دون غيره فهو وإن كان من تلامذة أبي محمد لربما قال قولاً لم يسبقه اليه أبومحمد وهو من تلامذة أبي محمد بالواسطة لا مباشرة ولكنه قد يأتي بقول لم يسبق اليه ولما يقوله وجه، لو رجعنا إلى مقاصد الشريعة وإلى النظر في أصول الشريعة فمن المسائل التي قيل بأنه لم يسبق لها تشدده تجاه بيع الارقاء بحيث لم يسغ لأحد أن يبتاع رقيقاً أي ابتياع أحد إلا بعد اعترافه أنه مملوك لبائعه وبدون ذلك يقول بأنه لا يسوغ لأحد أن يشتري الرقيق بدون هذه الطريقة وهذا نص عليه في باب المالك في الجزء الرابع من الضياء ونقله عنه أيضاً المحقق الخليلي -رحمه الله- في فتاواه وذكر بأنه انفرد بهذا القول دون سائر العلماء ولهذا القول مساغ في النظر فتوجيهه وجيه ذلك لأن الأصل في الإنسان الحرية وبما أن الأصل في الإنسان الحرية فإن هذه

الحرية يجب أن تحترم ويجب أن تراعى ونجد أن الإسلام الحنيف جاء مجففا لمنايع الرق ولم يبق منها أي منبع الا واحدا فقط وهذا المنبع الواحد الذي استبقاه الإسلام إنما هو في حكم المعاملة بالمثل، فالمشركون الذين كانوا يفعلون ما يفعلون في المسلمين ويحرصون على ايذائهم وعلى استرقاقهم واستعبادهم فعندما تكون دعوة إلى الإسلام ومن أجل هذه الدعوة يكون الجهاد بين المسلمين والكفار الذين يريدون أن يوقفوا في سبيل هذه الدعوة مباح للمسلمين أن يسترقوا الكفار وفي ذلك معاملة بالمثل وبجانب هذه المعاملة بالمثل أيضا في ذلك وسيلة لاقتناع هؤلاء بالإسلام وتربية أطفالهم على الإسلام وصقل عقولهم بنوره.

ولكن بجانب ذلك حرص الإسلام على القضاء على ظاهرة العبودية فشرع عتق الرقاب في شتى المناسبات ونجد أن العتق مقدم على غيره فالعتق مقدم على الصيام، ومقدم على الاطعام في الكفارات الا كفارة اليمين فان العتق فيها ذكر بجانب الطعام وبجانب الكسوة ﴿فكفارتها اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾^(١). وأما بقية الكفارات فذكر العتق قبل غيره سواء كان ذلك في مقام التخيير أو كان ذلك في مقام ذكر الابدال اذا يستوضح من هذا أن العتق هو أكثر قربة إلى الله -تبارك وتعالى- من الصيام ومن الاطعام ولئن كان هو القربة الأولى إلى الله -تبارك وتعالى- في مجال التكفير فإن ذلك يدل دلالة واضحة على أن كرامة الانسان هي التي تراعى فلاجل ذلك نظر صاحب الضياء إلى الذين يساقون سوقا في أسواق النخاسة من أجل بيعهم انهم قد يكونون غير قادرين على التعبير بأنهم ليسوا من الارقاء فسكوتهم لم يعتبره حجة وأن كان السكوت حجة في مجالات أخرى، وسائر العلماء يعتبرون، السكوت حجة كما هو في سائر المقامات وسائر المواضع.

ونجد أن العلامة العوتبي في كتابه الضياء يحرص على تتبع ما ذكره العلماء السابقون من العتق فهو عندما يورد كلامهم يورد ما احتجوا به من أدلة، فكثيرا ما يورد عن ابن بركة واستدلالاته ويورد عن أبي الحسن واستدلالاته ويورد عن ابن محبوب واستدلالاته ولايبعد أن يكون كتاب ابن محبوب الذي يشير اليه في ضيائه هو الكتاب الذي يذكر ولا يوصل في وقتنا هذا هو جامع ابن محبوب الشهير الذي يقال بأنه كان في سبعين سفرا ولكنه فقد، ذكر البدر الشـبـاخـي انه اطلع على جزء واحد منه في أحكام الحيض وإن أحد العلماء في بلاد المغرب كان يقرأ له من هذا الجزء وكلما جاءت مسألة قال: هذا هو العالم الفقيه.

فإن صاحب الضياء كثيرا ما يورد عن كتاب ابن محبوب فلا يزيد على قوله: (ومن كتاب محمد بن محبوب) أو من كتاب أبي عبدالله ويورد مسائل فيها استدلال وفيها

(١) جزء الآية (٨٩) من سورة المائدة.

مناقشة فلا يبعد أن يكون هذا الكتاب هو الكتاب الشهير الذي هو سفر ابن محبوب الشهير الذي كما قيل يتكون من سبعين جزءا.

مكانة الكتاب

وبالجملة فان كتاب العوتبي (الضياء) جامع لأبواب الفقه بحيث يجد فيه الفقيه بغيته وما ذكر من ملاحظات عليه من قبل العلماء لا ينقص شيئا قط من قيمته فان كل عالم مأخوذ من قوله ومردود عليه الا رسول الله ﷺ ، وليس اختيار بعض أهل العلم كتاب الضياء لأجل المناقشة لما فيه من المسائل الا من أجل أن هذا الكتاب ذو أهمية ومكانته مكانة مرموقة ما بين كتب الفقه الإسلامي ثم بجانب كونه كتاباً جامعاً لأبواب الفقه هو كتاب جامع لأقوال كثير من العلماء الذين يسوق أقوالهم.

وقد جاء سبكه سبكاً أدبياً رصينا -وكما قلت- فهو يتميز بما تتميز به مؤلفات المدرسة الرستاقية في قوة السبك وبحسن العبارة وبتأخي المسائل وترباطها وكما يقال فنية التأليف التي كانت موجودة في المدرسة الرستاقية أكثر مما هي موجودة في المدرسة النزوانية فالكتاب رصين وهو جدير بان يحقق واضم صوتي إلى أصوات الذين قالوا بانه ينبغي ان تحقق مؤلفات العلامة العوتبي ككتاب الابانة وكتاب الانساب وان يستفاد من النسخ العديدة الموجودة وأكد أنه لابد أن تقدم خدمة للأمة الإسلامية من خلال تحقيق هذه الموسوعة الفقهية الأدبية الواسعة وهذا يتطلب جمع ما يمكن جمعه من نسخ هذا الكتاب وهو كما قيل في أربعة وعشرين جزءا الا ان العلامة البرادي -رحمه الله تعالى- ذكر في كتابه الجواهر المنتقاة بان النسخة الكبيرة منه هي في خمسين سفراً فهل تلك النسخة الكبيرة تختلف عن النسخة الموجودة المتداولة والتي تتكون من ٢٤ جزءا أو هي نفس هذه الاجزاء ولكنها وزعت إلى ٥٠ جزءا؟ الله أعلم بذلك ولكن البرادي عندما ذكر انه يتكون من خمسين سفراً قال: اطلعت على ثلاثة اسفار وكل واحد منها ضخيم كبير فلعل هناك نسخة هي أوسع من تلك النسخة التي بقيت عندنا في عُمان ولعل التي اشار اليها انتقلت إلى بلاد المغرب واطلع البرادي على هذه الاسفار ولربما توهم انه يتكون من (٥٠) مجلدا أو كان ذلك من طريقة التحري لانه نظرا إلى المسائل الموجودة في الاجزاء الموجودة منه ونظرا إلى أنه موسوعة مشتملة على أبواب الفقه المختلفة قدر ما لم يطلع عليه إلى ما اطلع عليه ،محتمل ذلك، على ان المشهور عندنا ان هذا الكتاب هو في (٢٤) جزءا وقد اعتنى الشبخ أبوالمالك عامر بن خميس المالكي -رحمه الله- في السنين الأخيرة بجمعه واحضر ثلاثة أو أربعة من النساخ من أجل نسخه وقيل بانه اجتمع عنده من اجزائه ثلاثة وعشرون جزءا والله سبحانه نسال أن يوفقنا للخير وان يحفظ هذه البلاد وقائدها وان يأخذ بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير. واشكركم مرة أخرى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القراءة الثالثة

العوتبي نسابه

أحمد بن سعود السيابي
مدير عام مكتب سماحة مفتي عام السلطنة

تمهيد :

العوتبي من هو ؟

هو أبوالمنذر سلمة بن مسلم بن ابراهيم الأزدي العوتبي الصحاري. والعوتبي نسبة إلى عوتب منطقة في صحار كانت تسمى في القديم «عوتب الخيام» والآن يطلق عليها «عوتب» أما كونه من الأزدي، فيرى الشيخ سيف بن حمود البطاشي في كتابه «اتحاف الاعيان في تاريخ بعض علماء عُمان» الجزء الأول ص ٢٧٢-٢٧٥. انه من طاحية، وتابعة على ذلك الدكتور/ عصام بن علي السرواس في كتابه «نظرة على المصادر التاريخية العُمانية». وقبيلة طاحية التي بشيران إليها هي من طاحية بن سود بن الحجر بن عمران بن عمرو مزيقيا من الأرذ. والذي عندي ويظهر لي انه من العتيك. وهم بنو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا الخ النسب. من قوم المهلب بن أبي صفرة، وبنو العتيك هم الذين كانوا منتشرين في الباطنة إلى دبا، ومعهم بنو سليمه وفراheid، بنو مالك بن فهم الأزدي فقد جاء في الانساب للعوتبي، ونقله عنه المؤرخون من بعده. حول أسباب وقعة الروضة بتتوف بين راشد بن النضر والناقمين عليه. قال «وذلك ان جماعة من الیحمد ارادوا عزل راشد بن النضر إلى أن قال «وكتبوا مسلماً وأحمد بن عيسى بن سلمة العوتبي وسألوهما أن يبايعالهما في الباطنة من العتيك من بني عمران ومن كان على رأيهم من ولد مالك بن فهم» إلى آخر القصة. ولم يات ذكر لقبيلة طاحية، ولا لاحد من أفرادها. ولعل قبيلة طاحية لم تك واسعة الانتشار. واكثر قبائل الأزدي انتشاراً في عُمان تلك القبائل المنحدرة من العتيك ومن الیحمد ومن بني مالك بن فهم.

وقد عاش العلامة العوتبي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. وذلك لأن من مصادره في كتاب الانساب كتاب جمهرة نسب العرب» لابن حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ فقد نقل عنه نسب بني لقيط بن الحارث فقد جاء في كتاب «الانساب» للعوتبي الجزء الثاني من المطبوع ص ٢٢٤، «قال الاندلسي. فمن بني الحارث بن مالك بن فهم، بنو لقيط بن الحارث منهم كعب بن سور بن بكر» وللمقارنة يمكن الرجوع إلى جمهرة نسب العرب» ص ٢٨٠. وابن حزم توفي ٤٥٦هـ. ولاشك ان كتابه وصل إلى العلامة العوتبي بعد ذلك الوقت نظراً لبعد المسافة بين عُمان والاندلس. وقد ذكر ابن حزم قصته بوقت اشيأه حيال الرجل الذي توفي سنة ٤٢٢هـ.

يقول الشيخ سيف بن حمود البطاشي في كتابه اتحاف الاعيان بأنه حمل العلم عن الشيخ أبي علي الحسن بن سعيد بن قريش العقري النزوي الذي توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

مؤلفاته :

- ١- الضياء وهو موسوعة فقهية يقع في أربع وعشرين مجلداً.
- ٢- الانساب في الانساب والتاريخ.
- ٣- الابانة في اللغة والأدب.
- ٤- رسالة وجهها إلى علي بن علي وأخيه الحسين بن علي في كلوه بشرق أفريقيا. بين لهم فيها أصول المذهب الاباضي.
- ٥- رسالة إلى ولديه .. لحثهم على التمسك بالدين ولعرفة أحكام الإسلام.

أهمية علم الانساب :

اهتمت العرب بالانساب كعلم من علومهم وروايات من رواياتهم منذ الزمان، فقد وجد علم الانساب بوجود العرب على شكل أخبار وروايات يأخذونها كابراً عن كابر، ويتداولونها آخراً عن أول، معتمدين في نقل وتداول تلك الروايات الشفهية على قوة الذاكرة وصفاء الذهن والاستعداد الفطري لضبط هذا العلم واحكامه تحملاً واداءً.

والظاهر انه لم تهتم أمة من الأمم بانسابها كاهتمام العرب بانسابها ولا نستبعد أن يكون للتفاخر الذي انتهجه العرب لاسيما في جاهليتهم دور في تنمية هذا الاهتمام، وباعت لهم على الاعتناء بحفظ انسابهم ومعرفتها.

بيد أن ذلك الاهتمام بالانساب من العلوم أخباراً وروايات وتدويناً كان في الإسلام أكثر بروزاً وأوضح ظهوراً، لأسباب ثلاثة:

١- ورود آيات في كتاب الله العزيز وأحاديث نبوية تحث على التمسك بالنسب وعلى أن يعرف الانسان نسبه وأصوله منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، أن اكرمكم عند الله اتقاكم، ان الله عليم خبير^(١)، وقوله تعالى: «ادعوهم لأبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم»^(٢)، ففي هاتين الآيتين دليل على أهمية أن يرتبط الانسان بأصوله نسباً.

ويقول الرسول ﷺ «تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم»^(٣)، ويقول في حديث آخر «من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل»^(٤)، ولقد فهم المسلمون من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وجوب الانتساب إلى الآباء والاجداد وان يعرف الناس أصولهم.

٢- ترتب كثير من الاحكام الشرعية على النسب كالموارث والوصايا ومعرفة نبينا محمد ﷺ وغير ذلك.

وهذه الأمور لا بد فيها من معرفة الانساب لوضع كل شيء في موضعه وحتى لا يختلط الحابل بالنابل في اعطاء كل ذي حق حقه من الميراث والوصايا.

وقد ذكر ابن حزم في كتابه (جمهرة انساب العرب)، قصة تدل على فضل معرفة النسب وأمكن بذلك اعطاء الارث لمستحقه فقد حكى قائلاً «ومات بقرطبة سنة ٤٢٢ هجرية محمد ابن عبيد الله بن عبدالله بن مروان بن عبدالله بن مسلمة بن عبد البرخمن بن معاوية

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) سورة الاحزاب آية ٥.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) الجامع الصحيح، مراسيل الامام جابر بن زيد.

ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الكاتب، وهو آخر من بقي من ولد مسلمة بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بكليب واليه تنسب ارحي كليب التي على النهر بقبلي قرطبة، فورثت انا ماله محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد الخير بن عبد الرحمن بن معاوية بالقعد، ودفعته اليه وقضيت له به، وما كان عند محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن هذا علم بأنه مستحق هذا المال، ولا كان له طمع في اخذه، فلولا علمي بالنسب لضاع هذا المال وأخذه غير أهله بغير حق، ومثل هذا كثير»^(١).

٣- تدوين العلوم :

بدأ في العهد الإسلامي الاهتمام بالكتابة والقراءة والتأليف، فقد حث القرآن على تعليم القراءة والكتابة، وبدأ المسلمون في كتابة الأحاديث عن النبي ﷺ في بعض الصحف، ثم أخذ التدوين في التوسع وشمل علوماً كثيرة كان من بينها علم الانساب.

على أن أول عمل لتدوين الانساب يرجع إلى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حينما أمر بتدوين أسماء قبائل العرب في سجل وعرف ذلك السجل بالديوان، وذلك لمعرفة الجند ولضبط توزيع العطاء.

وبعد ذلك عندما كان التوسع في التأليف وتدوين العلوم نال هذا العلم قسطاً لا بأس به من الاهتمام وظهرت كتب عديدة في علم الانساب.

واعتبر علم الانساب عاملاً مساعداً لغيره من العلوم فالعوتبي يرى في علم الانساب «أكثر معونة وفائدة لطالب الأدب والعلم والفقه من غيرها لأن طالب العلم والحديث إذا لم يكن يدري علم النسب وسمع حديثاً قد صحف فيه اسم واحد على غيره جهته، أو نقل من قبيلة إلى غيرها جاز ذلك عليه، وإذا كان بالانساب عالماً، وبالأخبار عارفاً انكر ذلك ورده إلى نسبة واسمه، وأتى بالصواب في موضعه وحقيقة أصله»^(٢).

اهتمام العُمانيين بالانساب :

يأتي اهتمام العُمانيين بالانساب والتمسك بها امتداداً لاهتمام العرب بذلك، فالعرب -كما اسلفت- من أكثر الشعوب تمسكاً بانسابها، وقد برز عُُمانيون لهم اهتمام قوي وتعمق في معرفة الانساب وضبطها، ويذكر العوتبي قصة ذلك الرجل العُماني الصحاري الذي وقف بسوق عكاظ وقد ازدحم عليه الناس يسألونه عن انسابهم وهو يبين لهم أصولهم وانسابهم ويرجعهم اليها، حتى مر به عطار بن حاجب بن زرارة التميمي الذي ينتمي إلى واحد من اشرف البيوتات نسباً في العرب، فحاوره حول نسبه المتسلسل في بطون

(١) ابن حزم الاندلسي - جمهرة انساب العرب ص ٥.

(٢) العوتبي / الانساب ج ١ ص ٨.

تميم بطناً بطناً حتى وقف به على اسمه شخصياً، الأمر الذي حمل عطار بن حاجب بن زرار بن عدس التميمي على التعجب من ذلك النسابة العُماني الصحاري قائلاً له «ما رأيت أحداً قط أعلم منك» فرد عليه العُماني النسابة «وأنا لم أر قط أحداً أعلم منك».

ومن أراد الوقوف على تلك المحاور اللطيفة فعليه بالرجوع إلى كتاب الانساب للعوتبي^(١) غير ان بها اخطاء مطبعية كسائر الكتاب.

ومع هذا الاهتمام من العُمانيين بالانساب وتمسكهم بانسابهم إلى يومنا هذا حيث تجد القبائل العُمانية متمسكة بانتماؤها القبلية بشكل جيد، فأننا لايمكننا أن نخفي اسفنا على النقص الذي حصل في عدم العناية بالتأليف في هذا المجال مما ترك المكتبة العُمانية يعترها النقص في هذا العلم.

فمنذ أن الف العوتبي كتابه في القرن الخامس الهجري -مع انه لم يكن شاملاً لجميع القبائل العُمانية- لم يصدر كتاب آخر عن الانساب في عُمان سوى بعض المعلومات المتناثرة -وهي قليلة- في ثنايا كتب التاريخ والفقه أثناء حديثها عن بعض الأشخاص أو بعض القبائل، وهي معلومات لاتسمن ولاتغني من جوع لطالب هذا الفن، بل لاتسد له رمقاً ولاتقيم له أوداً.

وفي هذا العصر قام الشيخ / سالم بن حمود السيابي بتأليف كتاب في انساب القبائل العُمانية سماه «اسعاف الاعيان في انساب أهل عُمان» وهو كتاب مختصر جداً أيضاً، اشتمل على ذكر بعض القبائل العُمانية، الا أنه جهد مشكور، كما صدر عن وزارة الداخلية في السلطنة كتاب يشتمل على ذكر كثير من القبائل العُمانية وأماكنها تحت اسم «المرشد العام للولايات والقبائل» الا أنه لايتعرض إلى نسب تلك القبائل ولا إلى بيان أصولها.

وعسى أن تكون هناك محاولات جادة وجهود طيبة في هذا المجال من قبل وزارة التراث القومي والثقافة أو غيرها من الجهات.

العوتبي وكتابه «الانساب» :

هو أبوالمندر سلمة بن مسلم بن ابراهيم الازدي العوتبي الصحاري من عوتب بصحار، ويرى الباحث الشيخ سيف بن حمود البطاشي^(٢) والدكتور / عصام بن علي الرواس^(٣) انه من طاحية من الازد، فاذا كان كما قال فهو من طاحية بن سود بن الحجر بن عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء.

(١) نفس المصدر ص ٩.

(٢) اتحاف الاعيان ج ٥ ص ٢٧٥.

(٣) نظرة على المصادر التاريخية العُمانية.

فهم وازد العتيك بنوعم، حيث ان ازد العتيك هم بنو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا.. الخ.

ولاستطيع تحديد الزمن الذي عاش فيه مضبوطاً بالسنين بيد أنه من خلال القرائن التاريخية وبمعرفة العلماء الذين عاصروهم ونقل عنهم وأخذ عنهم، نستطيع القول تقريباً بأن حياته كانت في آخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حيث انه ينقل عن جمهرة نسب العرب لابن حزم الاندلسي والذي توفي سنة ٤٥٦هـ والعوتبي علامة فقيه ولغوي بارع ومؤرخ ونسابة، وهو ينتمي إلى مدرسة أبي محمد ابن بركة امام الفرقة الرستاقية.

أما كتابه الانساب فهو يشتمل على مادتين علميتين :

مادة تاريخية ومادة في الانساب.

وقد أفصح عن السبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب قائلاً «فاني رأيت من ذوي الاحساب من لايعرف سلفه، ورأيت من رغب عن نسب دق وانتمى إلى رجل لم يعقب»^(١)، كما نقل عن ابن قتيبة انه رأي رجلاً ينسب نفسه إلى أبي ذر رحمة الله^(٢).

وفي موضوع الانساب، فقد ذكر العوتبي في كتابه انساب القبائل القحطانية والعذنانية، حيث أورد العديد من القبائل القحطانية أو اليمنية بفرعها الكبيرين حمير وكهلان، والقبائل التي تفرعت وتشعبت من هذين الفرعين الكبيرين حمير وكهلان، لأن القبائل القحطانية أو اليمنية ترجع اليهما.

أما عن القبائل العذنانية أو النزارية فلم يورد إلا عن بعض قبائل ربيعة بن نزار، كقبائل عبدالقيس وأخوانهم من قبائل وائل ومن تشعب وتفرع عن هذين القسمين أو الحيين من ربيعة، وذكر عرضاً بصورة موجزة عن اياد بن ربيعة.

وقد كان تركيزه في إيراد نسب القبائل على القبائل العُمانية بيد أنه يستطرد أحياناً كثيرة إلى ذكر وإيراد نسب القبائل العربية بصورة عامة، وربما يضطره السياق إلى ذلك.

ولعل تركيزه على ذكر نسب القبائل القحطانية راجع إلى انتمائه اليهم وبالتالي اطلاعه على أصولهم، أو لأن المادة العلمية عن انساب القبائل القحطانية كانت أكثر وفرة لديه في ذلك الوقت عن القبائل النزارية.

(١) العوتبي ، الانساب ، ج ١.
(٢) نفس المصدر ، نفس الصفحة.

وأيضاً حول حديثه عن القبائل القحطانية كان حديثه عن القسم الكهلاني أكثر اسهاباً عن القسم الحميري.

فقد اسهب في الحديث عن القبائل المتفرعة عن مالك بن زيد بن كهلان والمتفرعة من أد بن زيد بن كهلان.

لاسيما عن قبائل الأزد وقبائل طيء وقبائل كندة، كما كان لقبائل الأزد النصيب الأوفر من الحديث ولعل ذلك راجع إلى أدوارهم التاريخية في عُمان وغيرها.

فساعدت شهرتهم التاريخية على اشتهار انسابهم بالنسبة إلى غيرهم من القبائل العُمانية.

على أنه توجد في كتاب الانساب للعوتبي عدة بدايات ونهايات تتخلل الكتاب، فهل معنى ذلك أن الكتاب في أصله مكون من عدة كتب أم انه كتاب واحد من أصله، وانما حدث ذلك لأمر من الأمور.

يرى الدكتور / محمد عبد الحميد الرفاعي في دراسة وتلخيص له لكتاب الانساب «إلى احتمال ان يكون الكتاب تجميعاً لعدة كتب لنفس المؤلف جمعها الناسخ في موضع واحد»^(١)، وذلك لانه لاحظ للكتاب أكثر من اسم ذكرها المؤلف في ثناياه مثل «الانساب» و «موضح النسب» و «الشجرة في الانساب»، والذي يظهر لي حول تعدد عناوين الكتاب بداخله ووجود بدايات ونهايات لذلك، ان المؤلف قام بتأليف كتابه على شكل اجزاء على فترات متفاوتة يشتمل كل جزء على ذكر قبائل ترجع إلى أصل واحد، حسب اطلاعه وتجميعه للمادة المتعلقة بذلك ولعل قيامه بتأليفه كان في آخر عمره، وقد حالت الوفاة دون ترتيبه وتنظيمه وتنسيقه.

ومما يؤخذ على المؤلف دمج بين الانساب في الكتاب، الأمر الذي كان يضطره إلى الاستطراد في ذكر بعض الأحداث التاريخية حتى أصبح من الصعوبة بمكان الرجوع اليه لأخذ المعلومة النسبية بل وحتى التاريخية.

بيد انه اشتهر في موضوعه شهرة واسعة وانتشرت مخطوطاته في كثير من المكتبات ودور الكتب في العالم، وصار أماماً وحجة لمن جاء بعده من المؤرخين العُمانيين، فما من مؤلف في التاريخ العُمانى الا واصل مادته في الأدوار الأولى من التاريخ العُمانى من كتاب العوتبي، وما من مؤلف في الانساب العُمانية أو مهتم بالانساب الا والعوتبي أمام له.

(١) دراسة وتلخيص ص ١٢ ، ضمن الموسوعة الميسرة للتراث العُمانى.

وعلى العموم فقد اعتمد عليه كل من جاء بعده وكانوا عالة عليه في موضوعه واستقى العوتبي معلوماته حول الانساب من مصادر متعددة أهمها :

١- كتاب الملوك وأخبار الماضين لعبيد بن شرية الجهمي الذي طبع بعنوان «أخبار عبيد بن شرية الجهمي في أخبار اليمن وأشعارهم وانسابهم»، وكان عبيد بن شرية الجهمي استدعاه معاوية بن أبي سفيان من صنعاء إلى دمشق ليحدثه عن ملوك اليمن وغيرهم من ملوك العرب والعجم وأخبار الماضين، وكانت أحاديثه اقصيص وأسمارا في مجلس معاوية أن يدون عنه ذلك وينسب اليه، وعاش عبيد حتى أيام عبد الملك بن مروان^(١).

٢- جمهرة النسب لابن الكلبي، وجمهرة النسب أو النسب الكبير هو لابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ.

٣- جمهرة أنساب العرب لابن حزم، وهو أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي المتوفى ٤٥٦هـ.

٤- الاشتقاق لابن دريد، وهو أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى ٣٢١هـ.

٥- المشافهة :

وهي المعلومات التي أخذها مشافهة وسماعا عن النسابين المعاصرين له وعن القبائل نفسها، حيث جرت العادة على احتفاظ القبائل بانسابها ومعرفتها بأصولها.

هذه هي أهم المصادر التي أخذ منها العوتبي علم الانساب ولا شك أن هناك مصادر غيرها إلا أن هذه المصادر المذكورة يتردد ذكرها كثيراً في ثنايا كتابه، وفي نظري، أن معلومات عن القبائل العُمانية، انما اخذها بالمشافهة والسماع من أهل الخبرة بالانساب في زمانه ومن الحافظين للانساب من رجال القبائل نفسها، وهذا الذي يفسر لنا تركيزه على أنساب القبائل العُمانية بصورة أوسع واشمل لأن المصادر الأخرى لم تورد عن انساب القبائل العُمانية الا النزر اليسير، وكل قوم أولى بأنسابهم وأحق بمعرفة أصولهم وجذورهم، والناس -كما يقال- مؤتمنون على انسابهم.

(١) ابن النديم ، الفهرست ص ١٢٢.

الخاتمة

مما مر من حديث عن العوتبي وكتابه «الانساب» من عرض وتحليل تبينت لنا أهمية كتاب «الانساب» للعلامة الجليل المؤرخ والنسابة ابي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الازدي العوتبي الصحاري بكونه الكتاب الوحيد الذي عني بانساب القبائل العُمانية، فهو وان لم يكن قد اشتمل على جميع القبائل العُمانية إلا أنه اشتمل على كثير منها مما يعتبر مرجعاً مهماً ومصدراً أصيلاً للانساب العُمانية، على أنه مما ينبغي الا يغيب عن البال، أن الفجوة التي نراها نحن في وقتنا الحاضر حول وجود القبائل العمانية وواقعها وبين ما دونه العوتبي من قبائل، انما يرجع ذلك إلى المسافة الزمنية التي تتكون من ألف عام، أي عشرة قرون من السنين.

فمنذ أن ألف العوتبي كتابه في القرن الخامس الهجري وحتى الآن لاشك انه اختفت قبائل وظهرت قبائل أخرى عديدة، وتفرعت قبائل كثيرة عن قبائل سابقة.

اقتراحات :

نظراً للأهمية الكبرى التي يحتلها كتاب «الانساب» للعوتبي أقترح ما يلي :

- ١- تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً مع وضع الفهارس والكشافات وما يستلزم التحقيق من أعمال مناسبة.
- ٢- وضع عمل على الكتاب، بحيث تفصل مادته في الانساب عن المادة التاريخية ليجعل منه قسمين:
- الأول في الانساب، والثاني في التاريخ لكي يسهل الرجوع إلى الكتاب لأخذ المعلومات المتعلقة بالانساب أو المتعلقة بالتاريخ.
- ٣- السعي في جمع النسخ المتعددة للكتاب في مكتبات ودور الكتب في العالم أو صور منها ووضعها في مكتبة المخطوطات بوزارة التراث القومي والثقافة، خدمة وحافزاً وتشجيعاً للباحثين والمحققين.

والله ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

القراءة الرابعة

العوتبي مؤرخا

أ. د. جاد محمد طه

عميد كلية الآداب — جامعة السلطان قابوس

لم يتيسر العثور على ترجمة للمؤرخ سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، وبالتالي من الصعب تحديد تاريخ مولده أو وفاته^(١) إلا أنه من الممكن أن نرجح أنه عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والسنوات الأولى من القرن الخامس^(٢)، بسبب أن معظم رواته ومعاصريه الذين أخذ منهم كانوا من هذه الفترة^(٣).

وهناك خمس مخطوطات لكتاب الأنساب، وأقدم هذه المخطوطات هي نسخة جامعة درهام بإنجلترا، ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١٠٨٩هـ/١٦٦٨م وتعرف باسم نسخة جولستون. أما النسخة الثانية فهي نسخة باريس وتوجد بالمكتبة الوطنية، ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١١١٥هـ/١٧٠٣م. والمخطوطة الثالثة هي نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١٧١٨م، وتعد هذه النسخة أكثر هذه النسخة أكثر تلك النسخ سلامة ودقة. أما المخطوطة الرابعة فهي نسخة وزارة التراث القومي والثقافة العمانية، وتعود إلى سنة ١٢٢٧هـ/١٩٠٩م. كما أن هناك مخطوطة خامسة في إحدى مكتبات بولندا^(٤).

وإذا رجعنا إلى أسلوب العوتبي، فأنتنا نجد أنه اعتمد على رواية موثوق بهم في جمع مادة كتاب الأنساب، وهم يزيدون عن الأربعين راويًا، ونخص منهم ابن جرير الطبري المؤرخ والمحدث والفقيه الذي توفي سنة ٣١٠هـ، وأبا عبيدة وهشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى عام ٢٤٠هـ والواقدي صاحب كتاب المغازي، والذي توفي سنة ٢٠٧هـ^(٥).

ولابد هنا أن نؤكد أن العوتبي باعتماده على ماكتبه السابقون في جمع مادة كتابه، فإنه سلك سلوك مؤرخي العصور الوسطى... ونستعير نصا عن ابن خلدون لنؤكد هذه المقولة.. «وقد دون الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطروا، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، واستفروا دواوين من قبلهم في صنفهم المتأخرة وهم قليلون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل مثل ابن اسحق والطبري وابن الكلبى ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي، والمسعودي وغيرهم من

(١) سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري - الأنساب ج ١ ط ٤ سلطنة عُمان - وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٩٤م ص ٤.

(٢) د. عصام بن علي الرواس - نظرة على المصادر التاريخية - سلطنة عُمان - وزارة التراث القومي والثقافة - سلسلة دراسات - العدد الثاني ١٩٩٣م ص ١٧.

(٣) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٤.

(٤) د. عصام بن علي الرواس - المصدر السابق ص ٢٠، ٢١.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٧.

المشاهير المتميزين عن الجماهير» ويستمر ابن خلدون موضحاً وجهة نظره التي تتفق مع وجهة نظرنا.. «وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق إلى التقييد، ووقف في العموم والاحاطة عن الشأو البعيد، فقيد شوارد عصره، واستوعب أخبار افقه وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره»^(١).

ونعتقد أن ابن خلدون كان دون أن يذكر يخص بكلامه العوتبي وأمثاله، لأن كتاب الأنساب ولو أنه يبدأ بداية عامة، فإن مؤلفه يخصص كلامه، وخاصة في الجزء الثاني للكلام عن تطور التاريخ العُماني وخاصة تاريخ الازد، بحيث أن بعض الكتاب لاحظ ذلك وعلق بأن ما خصصه العوتبي من أجزاء لأخبار الازد بعمان لا تتناسب مع ما يخصصه لباقي الأحداث^(٢) وإن كنا نرى أن العوتبي عندما خصص فإنه كان موضوعياً، لأنه ليس في الامكان التأريخ لكل الاقطار والمناطق تاريخاً مفصلاً على يد مؤلف واحد، وأن العوتبي كان محقاً في هذا التخصيص، لأن التخصيص مدعاة إلى التغلغل في أعماق الأحداث في موضوع واحد والعوتبي في هذا يشبه- في رأينا- ابن حيان مؤرخ الاندلس والدول الاموية بها، وابن الرقيق مؤرخ أفريقية والدول التي كانت بالقيروان وغيرهما^(٣).

ومن الملاحظ أن العوتبي قام بسرد وقائع الكتاب دون أن ينظم مادته التاريخية في أجزاء مستقلة، فنجدته يتحدث مثلاً عن يوم ذى قار بين العرب والفرس ثم يدخل بينها الاحباش في اليمن، ولذلك كثرت بالكتاب كلمة «عودة إلى» «أو رجع إلى»^(٤).

وسوف نحاول أن نلقي بعض الأضواء على الجوانب التاريخية الواردة في هذا الكتاب.. بطبيعة الحال فإن الأنساب- طبقاً لعنوان الكتاب- تحتل نصيب الأسد بالنسبة للمحتوى العام ولكن العروض التاريخية تحتل نصيباً يجعلنا نطلق باقتناع كامل لقب المؤرخ على العوتبي.. فما هي المعالم التاريخية الرئيسية في كتاب الأنساب بجزأيه؟

بدأ العوتبي الجزء الأول من كتابه على طريقة المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى، فذكر شيئاً عن «مبتدأ الخلق والملائكة عليهم السلام.. ومكان الأرض وعمارها قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام..» ويوضح العوتبي أن الغرض في جميع ماكتب هو الايجاز والاختصار.. «ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب ولاختلط الخفي بالجلي فمجته. الأذان وملته النفوس»^(٥).

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون - مقدمة ابن خلدون - تحقيق الدكتور علي عبدالواحد والي - ج ١ نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧م ص ٢٨٢ ، ٢٨٤.

(٢) كشف الغمة الجامع لأخبار الامة لمصنف مجهول - تحقيق ودراسة وتعليق احمد عبيد - سلسلة الجزيرة العربية (١) دبلن للنشر - نيقوسيا - قبرص ١٩٨٥ ص ٣٠.

(٣) ابن خلدون - المصدر السابق ص ٢٨٤.

(٤) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٧.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٨.

ويذكر مؤرخنا أن أسواق العرب في الجاهلية عشرة «فأولها سوق دومة ثم المشقر بهجر ثم صحار ثم دبا ثم الشحر ثم عدن ثم الرابية بحضرموت ثم عكاظ ثم ذو المجاز»^(١).

والواقع أن العوتبي كان مؤرخاً مطبوعاً.. ففي كلامه عن مبتدأ الخلق مثلاً، فإنه لا يتكلم من فراغ، بل إنه جمع المادة العلمية ونظمها وأسند إلى من سبقوه، فهو يسند إلى محمد بن اسحق بإسناده عن ابن عباس، وكذلك يعرض لرواية الأموي بإسناده عن مجاهد.

وكما يعرض لرواية عمرو بن دينار وعطاء، ويعتمد كذلك على كتابات بشير عن الضحاك وعن صالح بن محمد الترمذي وعن الحسن بن علي بل عن الرسول نفسه ﷺ^(٢).

ومع اختلافنا مع العوتبي في بعض النقاط، كاعتماده الكبير على الرواية الشفهية، فلا بد أن نكون موضوعيين.. لانحكم على كتابات مؤرخ عاش منذ أكثر من ألف عام بآراء المدارس التاريخية المعاصرة، والتي تحتم أن يعتمد المؤرخ على الوثائق والمخطوطات، إلى غير ذلك من أدوات البحث التاريخي المعاصرة فيكفي أن العوتبي اعتمد على كتابات السابقين، وقدم مختلف الآراء بالنسبة للقضية الواحدة، وأنه أسند كتاباته لهؤلاء المؤرخين السابقين، وجمع مادة علمية كبيرة وصاغها بأسلوبه حتى يكون مؤرخاً يعبر عن العصر الذي عاش فيه^(٣).

وعلى أية حال، فقد سار العوتبي في كتاباته التاريخية على نفس المنوال، أي الاسناد إلى من سبقوه من المؤرخين، وإن كان -كما سبق أن ذكرنا- قد اعتمد كثيراً على الطبري ويتضح ذلك مثلاً عند ذكره لخلق آدم عليه السلام، يعتمد كذلك على الكلبي وعبدالله بن سلام وابن عباس وابن قتيبة وابن اسحق وغيرهم^(٤). ثم يتعرض بالتفصيل لأخبار أبناء آدم عليه السلام وكذلك سير بعض الأنبياء^(٥). ثم يتكلم عن قضية قوم عاد والقحطانيين^(٦) ثم يعود إلى الكلام عن سير النبيين وأبنائهم^(٧).

والواقع أن الكتاب واسمه الأنساب، يتعرض بالتفصيل المطول لأنساب العرب، وليس هذا موضوع هذه الورقة، ولذلك تركنا هذا الجانب عمداً وركزنا على الكتابات التي تمت بصلة إلى الكتابات التاريخية طبقاً لتصور المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى، وإن كنا لآبد أن نثبت أن مؤرخنا قد حدد اتصال نسب الرسول محمد عليه الصلاة والسلام^(٨).

ويبدأ العوتبي في الانتقال من التعميم إلى التخصص، أي يبدأ في تركيز كتاباته على جنوب الجزيرة العربية.. فيذكر كثيراً من الحقب التاريخية التي مرت بها اليمن، فيتكلم عن

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ١ - ص ٨٠.

(٢) الدكتور جاد طه - منهج البحث في التاريخ - الفكر الرائد - فارس - المغرب - ١٩٧٩.

(٣) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٢٠، ٢٥.

(٤) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٨٠ - ٩٠.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٩١ - ١٣١.

(٦) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ١٦٩.

(٧) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ١٦٩.

سبأ وحمير^(١) وبلقيس^(٢) وذي نواس صاحب الاخدود^(٣) وما كان من خروج الاحباش إلى ارض اليمن لنصرة المسيحية^(٤) وكذلك محاولة الاحباش هدم الكعبة^(٥).

وينتقل المؤلف أحياناً في سهولة ويسر من الكلام عن الأنساب -الهدف الأصلي من الكتاب- ليذكر بعض الوقائع التاريخية، فهو عندما يذكر أنساب مذحج^(٦) يتحدث عن وقعة القادسية ويعتمد أيضاً في كتابته على الطبري مع الاستناد إليه، ثم يتحدث عن وقعة جالوت ونهاوند ومقتل الملك يزيدجرد، ويعتمد هنا كثيراً على الاخبار الطوال لابن قتيبة وكذلك على معجم البلدان لياقوت^(٧).

ومن الملاحظ على الكاتب أنه لا يذكر تواريخ الأحداث التي يكتب عنها، ولا بد أن نؤكد على أهمية التدقيق في ذكر تاريخ الحدث، ولكن يبدو أن هذه الطريقة كانت غالبة في ذلك الوقت على كتابات بعض المؤرخين، إما لعدم التيقن من تاريخ الحدث فيكتفي بالسكوت، أو لأن التواريخ كانت معروفة عند البعض فلم يهتموا بذكرها. ولكن الكتابات التاريخية المعاصرة تتمسك بكتابة تواريخ الأحداث حتى يتحقق المنظور التاريخي للكتابة. وقد يكون كاتبنا قد اهتم أكثر بالأنساب فأهمل ذكر تواريخ الأحداث التي تكلم عنها مع أهميتها. وعلى أية حال فهذه التواريخ أغلبها معروف ويهنا هنا قدرة المؤرخ الذي نحن بصدد الكلام عنه على جمع المادة العلمية والاعتماد على عدد كبير من الرواة والمصادر وحفظ كل ذلك في كتاب واحد.

وعلى أية حال ينهي المؤلف الجزء الأول من كتابه بالحديث عن أخبار كندة وامرئ القيس بن حجر الكندي، وقد رصد في هذا الجزء من الكتاب العديد من القصائد الشعرية وذلك لطبيعة الشخصيات التي تكلم عنها^(٨).

وفي الجزء الثاني من الكتاب، تبرز واضحة مقدرة العوتبي على الكتابات التاريخية، فرغم أن عنوان الكتاب هو الأنساب، فإن المؤرخ يخصص صفحات كثيرة لعملية التاريخ مما يجعلنا نؤكد أن العوتبي يعتبر من كبار المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى.

ويبدو أن المؤرخ العوتبي قد اهتم في هذه المرحلة بالملحلية أي بتاريخ المنطقة التي عاش فيها أو حولها، فخصص الباب الثاني من الجزء الثاني من الكتاب للكلام عن الأزدي والأسدي حسب قول العوتبي. ويبدأ المؤلف كلامه على طريقته في الاعتماد على الرواية والاستناد فيقول: «حدثنا زيد بن الزرقا بإسناد عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «نعم

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ١٩١.

(٤) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٧.

(٦) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٤.

(٨) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٧ - ٣٩٢.

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ١٧٦.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٢١٧ - ٢٢٠.

(٧) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٠ - ٣١٢.

القوم الأزدي، يحسنون ولا يغفلون، هم مني وأنا منهم، من لم يكن له أصل في العرب فيلحق بالأزد أنهم أصل العرب» وعن وكيع بن مسعود التميمي قال: حضرت معاوية بن أبي سفيان قسمته يقول: قال رسول الله ﷺ «الأمانة في الأزدي وحضرموت»^(١).

ونلاحظ أن الكاتب يكرر مما كان قد كتبه في صفحات تالية من كتابه، فهو يكرر كلامه عن الأزدي مرة أخرى^(٢)، مما جعل القارئ في حيرة من أمره، وقد يكون المؤلف قد نسي أو لم يراجع فكره أو يكون الناسخ نفسه هو الذي وقع في هذا التكرار.

وفي الباب الثاني من الجزء الثاني من الكتاب والذي خصصه المؤلف للكلام عن الأزدي يخصص الفصل الثالث من هذا الباب للكلام عن الأوس والخزرج، فيقرر أن الأوس والخزرج اسما طائرين من سباع الطير^(٣). وذلك تشبيها لقوة البأس والضراوة. وقد أشار المؤلف إلى قصة سعد بن معاذ في حكمه على بني قريظة، وكما هو معروف فإن بني قريظة كانوا قد نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ، فبعث عليه الصلاة والسلام إلى سعد بن معاذ أن يأتيه، فأتى سعد ومعه المهاجرون والأنصار. وقال الرسول عليه الصلاة والسلام «ياسعد إن قريظة قد حكمتك في نفسها وأموالها وأنت حكم فاحكم فقال سعد يارسول الله إني قد حكمت فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وإباحة الأموال ونظائرهما فينا للمهاجرين والأنصار فقال عليه الصلاة والسلام «والذي بعثني بالحق لقد وافق حكمك»^(٤) حكم الله»^(٥).

والواقع أن ما خصصه العوتبي في كلامه عن الأزدي لا يتناسب مع ما كتبه في باقي الموضوعات، فهو كما ذكرنا يسهب في التفاصيل بحيث يمكن القول بأن غالبية صفحات الجزء الثاني من الكتاب تتناول أخبار الأزدي^(٥).

وعلى أية حال يبدو العوتبي تماماً في عالم التاريخ كما كان سائداً في العصور الوسطى فيتحدث عن فروع الأزدي.. ويفصل الكلام عن خزاعة.. ويذكر أن اشتقاق خزاعة من قولهم خزع القوم عن القوم أي انقطعوا عنهم وفارقوهم. قال أبو بكر بن دريد: «..انهم انخزعوا عن جماعة الأزدي أيام سيل العرم لما أن صاروا إلى الحجاز، فارتفعوا بالحجاز، فصار قوم إلى عُمان وآخرون إلى الشام». ويستمر العوتبي في تحليله لكلمة خزاعة، فيقول: «قال غيره إنما سمي حارثة خزاعة لأنه عندما مر علي قومه وإخوته بعد خروجهم من جنتي مأرب وتفرقهم في البلاد، قامت الأزدي بمكة ما قامت حتى جاءهم روادهم من الأماكن، فافترقوا من مكة فرقا، فرقة توجهت إلى عُمان وفرقة توجهت إلى الشام، وفرقة نحو العراق نزلت

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣. (٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٤٤.

(٣) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٦١. (٤) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٦٩.

(٥) كشف الغم - تعليق أحمد عبيد - المصدر السابق ص ٣٠.

يثرب وهما الأوس والخزرج، وانخزع عنهم حارثة وأقام بمكة فسمى خزاعة وولي أمر مكة وحجابه الكعبة» وإنما كان افتراق خزاعة عن قومه فيما حكى أولو العلم بأخبارهم من بطن مرو، يدل على ذلك قول حسان بن ثابت الأنصاري:

فلما هبطنا بطن مرو تخزعت

خزاعة عنا في حلول الدار^(١)

ويخصص المؤلف الباب الثالث من الجزء الثاني من كتاب الانساب للكلام عن مالك بن فهم وأبنائه، ولكنه لا يتكلم عن مالك مباشرة، فيعد أن يذكر أن مالك بن فهم كان أول من قدم من الأزد إلى عُمان، وذلك حين خرج في جملة الأزد بعد عمرو بن عامر من أرض مارب حين فرقه سبل العرم وخراب الجنتين، فإنه يتحدث عن جنتي مارب وعن سد مارب وهو هنا يتكلم برواية أبي عبدالله بن الموصلي بإسناد عن ابن اسحق وهب بن منبه عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى^(٢)، فيتكلم عن الأزد السابقين الذين كانوا قد بنوا سداً يحبسون به الامطار ... وجعلوا فيه أبواباً مبوبة وقناطر معقودة، وركبوا عليها أوصادا من حديد» ويستمر العوتبي موضحاً «وكانت جنتاهم من وراء السور وقصورهم داخل الجنتين^(٣)، وكان أحدهم إذا أراد الماء، رفع تلك الأبواب التي تلي جنته باباً، فخرج الماء إلى جداول تخترق قصورهم وجناتهم وحدائقهم، وإذا استغنى أرسل الباب».

ويخلط العوتبي الكتابة التاريخية بالقصص الديني فيقول «وكانوا قد غرسوا على ذلك الماء الجنتين اللتين ذكرهما الله -تعالى- في القرآن الكريم عن يمين وشمال وظلوهما حتى كان لا يدخلهما الشمس ولا الريح وكان من أمرهم كما ذكر الله تعالى^(٤)». ويسير الكاتب بنا إلى قصة انهيار السد وتفرق الأزد في البلاد^(٥). «فكانت أزْد عُمان، وكان أول من قدمها منهم مالك بن فهم وولده». والعوتبي هنا يميل كعادته إلى تكرار سرد الحادثة. التاريخية بنفس الكلمات والأسلوب.. ولانجد تفسيراً لذلك سوى أنه قد يكون- كما سبق ان ذكرنا- قد نسى ما كتب فكرر أو ان يكون الناسخ هو الذى كرر، أو أنه كان قد كتب هذا الكتاب على فترات متباعدة، ولم يراجع ماكتب، فعلى سبيل المثال يكرر قصة مالك ابن فهم وأزْد عُمان بنفس الكلمات في صفحات ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، من الجزء الثانى من الكتاب^(٦).

وعلى أية حال «سار مالك من فوره يريد عُمان، فجعل لايمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من اليمن إلا سالموه ووادعوه لمنعته وكثرة عساكره، فأخذ على برهوت وهي واد بحضرموت فلبث فيها حتى استراح، وبلغه أن بُعْمان يومئذ الفرس وهم ساكنوها فعبأ

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ١٨١.

(٤) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٣.

(٦) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥.

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٩١.

(٣) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٢.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٤.

أصحابه وعساكره، ويقال إنهم بلغوا ستة آلاف فارس وراجل ثم إنهم أعدوا العدة واستعدوا وأقبلوا يريدون عُمان^(١).

ويستمر العلامة العوتبي في تصوير تقدم مالك بن فهم وقواته، فيقول أن مالكا في برهوت «جنب الخيل وامطى الأبل، وجعل على مقدمته ابنه هناة بن مالك في ألفي فارس من صناديد الأزد وفرسانهم، وجعل يجد السير حتى انصب على عُمان عن طريق الشحر، وقد تخلفت مهرة فنزلت أرض الشحر»^(٢) ويستخلص أحد الباحثين أن الأزد قدموا برا وبحرا، أي أن جزءاً من قوم مالك بن فهم أكمل الرحلة بحرا حتى هبطوا في النهاية عند قلعات، وتقدمهم الفان من أشجع المقاتلين بقيادة أصغر أبناء مالك كما سبق أن ذكر^(٣).

ويمكن أن يكون هذا التصور سليماً لأن الرحلة من الشحر إلى قلعات برا شاقة وطويلة، لذا يمكن أن يكون بعض قوم مالك قد استخدموا طريق البحر لأنه أقل عناء من الطريق البري، وواضح أنه لولا قول العوتبي أن مالكا «جنب الخيل وامطى الأبل»^(٤) لما حلل المؤرخون المعاصرون هذه التحليلات المعقولة.

على أية حال يقرر العوتبي عندما جاء مالك بن فهم إلى عُمان سميت عُمان بهذا الاسم، لأن منازل الأزد كانت -قبل انهيار السد- على واد لهم بمأرب يقال له عُمان، فسموها به، وتسمى بالفارسية مزون، وفيها يقول بعض العرب.

إن كسرى سمي عُمان مزوناً ومزون يا صاح خير بلاد
بلدة ذات مزارع ونخيل ومراع ومشرب غير صااد

ولم تنزل قبائل الأزد تنتقل إلى عُمان حتى كثروا بها وقويت أيديهم واشتدت شوكتهم^(٥). ويحكي العوتبي قصة مقتل مالك بن فهم بطريقة مأساوية، فيقول أن مالكا قد «جعل على أولاده الحرس بالنوبة في كل ليلة على رجل منهم مع جماعة من خواصه وأمنائه من قومه الأزد» ويسترسل العوتبي موضحاً أن أحظى ولد مالك عليه وأقربهم إلى قلبه ابنه سليمة، وكان أصغر ولده في ذلك الوقت. وكان مالك قد علم سليمة في صغره الرمي بالسهم إلى أن كبر، فكان يحرس كاخوته بالنوبة. فحسد إخوته مكانته عند أبيه، فنسبوا إليه -أي إلى سليمة- العجز والتقصير. فلما كانت الليلة التي كانت فيها نوبة

(١) سعيد بن محمد بن سعيد الغيلاني - أزد عُمان في القرنين الأول والثاني للهجرة - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩٠ ص ١٦ - انظر السالمي تحفة الأعيان - المجلد الأول ص ٢٢.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) سعيد بن محمد بن سعيد الغيلاني - المصدر السابق ص ١٧ انظر ويندل فيليس - تاريخ عُمان ص ١٧.

(٤) سعيد الغيلاني - المصدر السابق ص ١٧ - انظر السليبي - عُمان عبر التاريخ ج ١ ص ٧٧.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٠.

(٦) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

سليمة وقد خرج في نفر من فرسان قومه، إلى أن جنهم الليل، ثم اعتزل عنهم المكان الذي يمكن فيه بقرب دار أبيه وبينما هو كذلك، أقبل مالك بن فهم من قصره في جوف الليل متخفياً قاصداً ابنه سليمة لينظر إن كان قائماً بالحراسة بالفعل أم لا، وكان سليمة في ذلك الوقت قد لحقته سنة من النوم، وعندما أحسست فرسه باقتراب مالك صهلت، فانتبه سليمة فالتقى بسهمه إلى شخص مالك، وهو لا يعلم أنه أبوه. فسمع مالك صوت السهم، فهتف به يا بني، لا ترم أنا أبوك فقال سليمة يا أبت لقد ملك السهم قصده، فأرسلها مثلاً. فأصاب السهم مالكا في قلبه فقتله.. فقال مالك قصيدة نعى فيها نفسه^(١).

وفي هذا الباب الثالث من الجزء الثاني كتاب الأنساب والذي يحكي قصة الأزدي ولجوء بعض قبائلهم إلى عُمان، فأننا نجد في النقطة الخامسة عنواناً مفاجئاً.. عُمان في العصر الإسلامي، وكان يجدر بالمؤلف أن يخصص باباً أو فصلاً منفصلاً لهذا الموضوع لأهمية وجلال المناسبة.

والواقع فإن القارئ يصاب مرة أخرى ببعض الإحباط لعدم وجود التواريخ المختلفة التي تدقق الأحداث التاريخية، ومع ذلك فإنه يمكن أن نستخلص أن الإسلام انتشر في عُمان في عهد خلفاء مالك بن فهم إلى صحار حكم عُمان إلى آل الجلندي بن المستنير المعولي، وصار ملك فارس إلى الدولة الساسانية. وكانت المهادنة بين الفرس والجلندي بعُمان، فكان الفرس على السواحل، والأزد ملوكاً في الجبال والبادية وغير ذلك من أطراف عُمان. فلم يزالوا كذلك إلى أن أظهر الله الإسلام بعُمان، وشاع ذكر النبي ﷺ في البلدان، وأنه أرسل إلى كسرى الملك أبرويز يدعوهُ إلى الإسلام فمزق كسرى كتاب النبي ﷺ، فقال النبي حين بلغه ذلك منه «اللهم مزق ملكه شر ممزق» ولم يفلح كسرى بعد دعوة النبي ﷺ، فسلط الله عليه ابنه شيرويه فقتله^(٢).

ونلاحظ أن العوتبي يسرد الروايات المختلفة، بل والمتناقضة أحياناً دون تفضيل أو ترجيح، فمثلاً في موضوع انتشار الإسلام في عُمان، يقول مرة أن الرسول ﷺ كتب إلى أهل عُمان «وكان الملك في ذلك العهد بعُمان الجلندي بن المستنير، وأرسل إليه يدعوهُ ومن معه إلى الإسلام، فأجاب، وأرسل إلى الفرس الذين بعُمان -وكانوا مجوساً- يدعوهم إلى التدين بهذا الدين والجابة إلى دعوة محمد ﷺ فأبوا فاخرجهم الجلندي قهراً من عُمان».

ثم يعود العوتبي كعادته في سرد الروايات المختلفة والمتعارضة أحياناً عن الواقعة الواحدة دون أن يرجح أحدها، فيقول انه قال آخرون «ان النبي ﷺ كتب إلى أهل عُمان

(١) العوتبي - ج ٢، ص ٢٠٥، ٢٠٦.
(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢، ص ٢٥٩، ٢٦٠ - انظر ايضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لآخبار الامة - سلطنة عمان - وزارة التراث القومي والثقافة - سرحان بن سعيد الزكوي ج ٢/١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ ص ٢٧.

يدعوهم إلى الإسلام وعلى أهل الريف منهم عبد وجيفر ابنا الجلندي، وكان أبوهما قد مات في ذلك العصر. وهكذا نجد أن العوتبي يقول في الرواية الأولى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أرسل إلى أهل عُمان يدعوهم إلى الإسلام وأن الجلندي كان على قيد الحياة، وفي الرواية الثانية يقول. ان الجلندي كان قد مات وان ولديه عبد وجيفر هما اللذان كانا يحكمان عُمان في ذلك العصر. وكما سبق ان ذكرنا يسوق العوتبي الروایتين دون تفضيل أو ترجيح بينهما.

ويعود مؤرخنا مرة أخرى ونقلنا عن الواقدي بإسناد إلى النبي ﷺ انه كتب إلى عبد وجيفر ابني الجلندي بعُمان، وبعث يعمر بن العاص بن وائل السهمي اليهما، وكان كتابه أقل من الشبر فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله إلى عبد وجيفر ابني الجلندي، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فاني أدعوكما بدعاية الإسلام. اسلما تسلما، فإنني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتمكما، وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما وائل عنكما. وضيلي تطأ ساحتكما ويظهر نبوتي على ملككما» وكان الكاتب بهذا أبا كعب، وهو عليه الصلاة والسلام الملقب عليه^(١). وطوى الصحيفة وختمها بخاتمه المبارك، وكان نقش الخاتم: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال: «فقد عمرو بن العاص يكتب النبي ﷺ إلى عبد وجيفر ابني الجلندي بعُمان.. وقد أجابا إلى الإسلام في ساعة واحدة، ثم بعث إلى وجوه عشائره فبايعهم لمحمد وأدخلهم في دينه، والزهم تسليم الصدقة التي امره بها النبي ﷺ، ثم بعث جيفر إلى مهرة والشحر ونواحيها، فدعاهم إلى الإسلام وأعلمهم بالإسلام، فاسلموا معه، ثم بعث إلى دبا ومايلها إلى آخر عُمان».

فما ورد رسول جيفر إلى أحد وأسلم إلا الفرس التي تعبت لحرب الأزدي^(٢). فلما طال بينهما القتال، دعوا أهل عُمان إلى الصلح «فاستنزلهم على أن يعطوا أهل عُمان كل صفراء وبيضاء وحلقة وكراع، ويحملوهم بأهليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس، فاجابوهم إلى ذلك، واخرجوا الفرس من عُمان إلى فارس»^(٣).

ونلاحظ أن صاحب كشف الغمة قد نقل حرفيا عن العوتبي موضوع انتشار الإسلام في عُمان، ولكنه يقتصر في هذا النقل على رواية أن هذا الانتشار كان في عصر عبد وجيفر ابني

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٠ - انظر ايضا المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لخبار الامة - المصدر السابق ص ٣٧.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦١.

(٣) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٢ - انظر ايضا المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لخبار الامة - المصدر السابق ص ٣٨.

الجلندى وليس في عصر الجلندى. ويبدو أن هذا النقل الحرفي من صاحب كشف الغمة لأنه رجح هذه الرواية على رواية أن الرسول ﷺ كتب إلى أهل عُمان، وإن الملك في ذلك العهد الجلندى بن المستكبر وأنه أرسل يدعو ومن معه إلى الإسلام، ويستمر صاحب كشف الغمة في هذا النقل الحرفي حتى قصة اخراج الفرس من عُمان (١).

وفي الباب الرابع والأخير من الجزء الثاني من كتاب الأنساب يخصص العلامة العوتبي الكلام عن أيام العرب وأخبارهم، ووقائعهم، والواقع أن مؤرخنا ينحو في هذا الباب منحى تاريخياً واضحاً، فهو يؤرخ لهذه الأيام والوقائع مبتعداً عن خط الأنساب ابتعاداً كاملاً، فهو من عنوان هذا الباب يؤرخ ويؤكد براعته في التاريخ طبقاً لكتابات المؤرخين في العصور الوسطى.

وأول هذه الأيام أو الوقائع يوم سلوت.. وواضح أن هذه الواقعة تتصل اتصالاً مباشراً بتاريخ عُمان مثل غالبية هذه الأيام أو الوقائع التي أرخ لها العلامة العوتبي.

وفي سياق الحديث عن يوم سلوت يعود العوتبي ليذكرنا بأسباب خروج مالك بن فهم إلى عُمان (٢). وكان قد بلغه أن الفرس بعُمان، فأرسل إليهم يطلب موافقتهم على نزوله بجزء من عُمان. ولكن المرزبان عامل الملك الفارسي رفض ذلك (٣). وهكذا تصاعدت الأمور إلى حافة الحرب، فتنجم الفرس في صحراء بالقرب من نزوى في نحو ٣٠ أو ٤٠ ألفاً، ووصل مالك بن فهم في نحو ستة آلاف من أتباعه إلى سلوت (٤). وهكذا اندلعت معركة عنيفة بين الطرفين.

وقد نقل صاحب كشف الغمة نقلاً حُرْفياً عن العوتبي في كلامه عن هذه الواقعة «... فلما أصبحوا في اليوم الثالث، زحف الفريقان بعضهم إلى بعض، فوقفوا موافقهم تحت راياتهم، وأقبل أربعة من المرازبة ممن كان يعد الرجل منهم بألف رجل حتى دنوا من مالك، وقالوا: هلم إلينا لننصفك من أنفسنا، وبيارزك منا واحد بعد واحد» (٥). ولكن مالكا قضى عليهم الواحد تلو الآخر، إلا الرابع الذي انسحب من القتال.

ويستمر النقل الحرفي من طرف صاحب كشف الغمة «... فلما رأى المرزبان ما صنع مالك بقواده الثلاثة دخلته الحمية والغضب فخرج من بين أصحابه وقال: لاخير في الحياة بعدهم، ونادى مالكا وقال له: أيها العربي أخرج إلى أن كنت تحاول ملكاً فأينا يظفر بصاحبه كان له ما يحاول ولا تعرض أصحابنا للهلاك» (٦).

(١) المقتبس من كتاب كشف الغمة - المصدر السابق ص ٣٧ - ٣٨.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٥ - انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة - المصدر السابق ص ١٩.

(٣) المقتبس من كتاب كشف الغمة - المصدر السابق ص ٢٠.

(٤) المصدر السابق ص ٢١.

(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٠ - انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٢٢.

(٦) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧١ - انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٢٢.

ويستمر الكتابان (الأنساب وكشف الغمة) في تصوير هذا اللقاء، وإن كان صاحب كشف الغمة لم يهتم بنقل القصائد والأشعار التي أوردها العوتبي في هذا المقام.

وعلى أية حال، فقد حمل المزربان على مالك بالسيف، فراغ منه مالك، وضربه بسيفه ققتله، وهكذا بدأت معركة حامية بين الأزد والفرس انتهت بهزيمة الفرس، وعندئذ أرسل الفرس إلى مالك يطلبون الصلح، وأن يكف عنهم الحرب، وأن يؤجلهم سنة ليخرجوا من عُمان، وأعطوه على ذلك عهداً وجزية، فأجابهم مالك إلى ذلك، وأعطاهم عهداً لا يعارضهم حتى يبدأوه بحرب. وعاد الفرس إلى صحار وما حولها من الشطوط وكانوا هناك والأزد في باقي عُمان.

ويضيف صاحب كشف الغمة أن الفرس في مهادنتهم تلك طمسوا في عُمان أنهاراً كثيرة، ولكن صاحب كشف الغمة ينحو في هذه الإضافة منحنى أسطوريا فيضيف إلى ما نقله نقلاً حرفياً هذه الإضافة الأسطورية.. وهي أن سليمان بن داود عليه السلام أقام بعُمان عشرة أيام، وقد حفر فيها عشرة آلاف فلج.. وأن الفرس طمسوا أكثرها في فترة الصلح التي طلبوها من مالك بن فهم^(١) ولم يذكر العوتبي ذلك^(٢). وهذه النقطة هامة جداً لأن من عادة المؤرخين في العصور الوسطى ربط الأحداث التاريخية أحياناً ببعض الأساطير، والعوتبي نفسه فعل هذا في بعض المواقع، ولكنه لم يذكر ما ذكره صاحب كشف الغمة بالنسبة لما وقع للأفلاج.. وبالتالي فإن هذه النقطة تحسب للعوتبي لأنه تاريخياً أقدم من صاحب كشف الغمة، بل إن الأخير نقل عنه حرفياً بنفس الكلمات والألفاظ، ولكنه يضيف إلى ما نقله هذه القصة الأسطورية. فالواقع أن الأفلاج هي معجزة بشرية شيدها العُمانيون القدماء بأيديهم على فترات طويلة، وهي شاهد على عظمة الأجيال الماضية، ولا يمكن أن نوافق على إقحام هذه الأمور الأسطورية على كفاح الشعب العُماني في الماضي. وواضح أن العوتبي لا يرجع موضوع بناء الأفلاج إلى الأساطير. وواضح هنا الموضوعية التي يتحل بها العوتبي في هذه النقطة إذا عرفنا أنه عاش في الغالب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في حين أن صاحب كشف الغمة عاش في القرن الثاني عشر الهجري أي بعد العوتبي بنحو ثمانية قرون.

وعلى أية حال، يستمر الكتابان في توضيح مراحل الحرب بين الفرس والعُمانيين بقيادة مالك بن فهم، وأنه لما وصلت أخبار هزيمة الفرس إلى الملك دارا الأول، غضب غضباً شديداً، وأرسل مدداً إلى قواته في عُمان.

(١) المقتبس من كتاب كشف الغمة - المصدر السابق ص ٢٢.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٢.

فلما انقضى أجل الهدنة، أرسل مالك إليهم «...إني قد وفيت بما كان بيني وبينكم من عهد وأكيد صلح. وقد انقضى الأجل الذي كان بيني وبينكم، وأنتم بعد حلول بعمان، وبلغني أن قد أتاكم من عند الملك مدد عظيم، وأنكم تستعدون لحربي وقتالي، فلما أن تخرجوا من عمان طوعاً، وإلا زخفت عليكم ورجالي وكافة عساكرى وجيوشي ووطات ساحتكم وقتلت مقاتلتكم وسييت الذراري، وغنمت الأموال وأقمت على كرهكم»^(١).

وهكذا استعرت الحرب بين الطرفين، وهزم الفرس هزيمة ساحقة، وتم جلاؤهم عن عمان^(٢).

ويستمر العوتبي في هذا الباب الرابع من الجزء الثاني من كتاب الأنساب والذي خصصه للحديث عن أيام العرب وأخبارهم ووقائعهم، فيتكلم عن وفاة النعمان بن المنذر، وكيف أنه عندما ساءت الأمور بين النعمان وكسرى، فإن كسرى دعاه ودس له السم في بعض شرايه فمات^(٣).

ثم ينتقل العوتبي للحديث عن يوم ذي قار، فيوضح أن النعمان بن المنذر لما قدم إلى الحيرة من زيارة لكسرى، فإنه أرسل رسالة إلى فرسان العرب وأهل الحكمة والعقل فيهم وطلب منهم الاستعداد للقتال، وجهزوا خمسمائة من أبطالهم لمقاتلة الفرس وانتهى الأمر بانتصار العرب. ويعتبر العوتبي أن يوم ذي قار يوم فضيلة للقحطانية والعذانية لاشتراكهم فيه.

ويستطرد العوتبي موضحاً بأنه قيل: أن هذه الحرب وصفت لرسول الله ﷺ وهو بالمدينة فقال لأصحابه ومن حضر منهم «يوم ذي قار أول يوم انتصفت العرب من العجم وبني نصر» حين جعلوا شعارهم يا محمد يا محمد^(٤).

كما ذكر العوتبي في هذا الباب شيئاً عن يوم شعب جيلة بين بني عبس وبني فزارة^(٥).

كما يذكر أيضاً خبر يوم حضورة (حضة) وهو من الأيام المذكورة في الجاهلية، وكان بين دوس وبين بني الحارث. والرواية هنا مليئة بالقصائد والأشعار^(٦).

ثم ينتقل العوتبي إلى الكلام عن وقعة الروضة من تنوف.. فعندما ولي راشد بن النظر الفجحي وتقدم على إمامة الصلت بن مالك وهو يومئذ إمام، وأراد عزله، وكان من وجههم

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٢.
(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٢ ، ٢٧٤ انظر أيضاً المقتبس من كتاب كشف الغمة ص ٢٤-٢٥ لمزيد التفاصيل - انظر سعيد بن محمد بن سعيد الغيلاني - المصدر السابق ص ٢٠ - ٢٤.
(٣) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٧.
(٤) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٨ - ٢٩١.
(٥) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٣ - ٣٠٠.
(٦) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٦.

عدد منهم أبناء سليمان الكلبان. وكان سليمان شيخاً مطاعاً في الباطنة، وخرج نصر بن المنهال فبايع العتيك في الباطنة، وخرج معه سليمان بن عبدالمك بن بلال السليمي، فبايع من بالباطنة من قومه من سليمة وفراheid وغيرهم من سائر أولاد مالك بن فهم، وساروا جميعاً إلى شاذان بن الصلت والفهم بن وارث ووجه اليمد بالريستاق، فأكدوا البيعة لهم، وخرجوا جميعاً إلى نزوى، واتخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النظر. وكان الخبر قد وصله، فلما صاروا بالروضة من تنوف من حدود الجوف، وجه اليهم راشد بن النظر السرايا والجيوش خيلاً ورجالاً، ووقعت معركة عنيفة هزم فيها اليمد والعتيك، وبنو مالك ابن فهم ومن معهم.

ويستخلص العوتبي أن الفتنة وقعت بين أهل عُمان بسبب هذه الواقعة. ويضيف بعد ذلك أنهم أنكروا على راشد بن النظر وضلوه لتقدمه على إمارة الصلت بن مالك، وهو يومئذ إمام لم يغير ولم يبدل، كل ذلك والصلت حي لم يموت ومعتزل في بيته، وإنما مات بعد هذه الواقعة بزمان. هذا هو ملخص وقعة الروضة من تنوف، إلى أن ثار اليمد وبنو مالك بن فهم والعتيك وعزلوا راشد بن النظر بعد أن هزموه. ووقع اختيار الجميع على عزان بن تميم الخروصي ليكون إماماً في ٢ صفر ٢٧٧هـ وذلك بعد موت الصلت بن مالك^(١).

ونلاحظ أن العوتبي بدأ في رصد تواريخ الأحداث التي يكتب عنها، وهذه ملاحظة هامة جداً لأن الكتابات التاريخية يستلزم معها رصد تواريخ الأحداث، وبالتالي نستطيع أن نقول باطمئنان أن مؤرخنا ملك باقتدار ناصية الكتابات التاريخية المدققة.

ويستمر العوتبي في هذا الباب في كلامه عن أيام العرب ووقائعهم، فيتكلم عن وقعة القاع في إمارة عزان بن تميم الخروصي. ويوضح المؤلف أن سليمان بن عبدالمك بن بلال السليمي لم يزل بعُمان في أيام تلك الفتنة ومقاساة حروبها إلى أن شهدوا وقعة القاع بالخييام وأنه تم اختيار الاهيف بن حمحام الهنائي لقيادة الجيوش لحرب الحواري بن عبداش الحواري ومن معه من جماعة النزارية. ولكن الحواريين جمعوا قواتهم واستولوا على صحار.

فلما بلغ الامام عزان بن تميم الخبر، تقدم بقواته، والتقى بالخييام بموضع يسمى القاع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهزم أصحاب الحواري بن عبداش. وهذه هي وقعة القاع من ظهر عوتب بالخييام، وهي من الوقائع المشهورة في تاريخ عُمان. ومرة أخرى يثبت العوتبي تاريخ هذه الواقعة فيقول انها قد وقعت في ٢٦ شوال سنة ٢٧٨هـ^(٢).

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٩.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٢.

ثم ينتقل العوتبي للكلام عن مساهمة أهل عُمان في الفتوحات الإسلامية، فيذكر أن أهل عُمان «يعبرون البحر لقتال الفرس» فهنا لا يقاتل العُمانيون الفرس في عُمان، ولكن في العراق.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد استعمل على عُمان عثمان بن أبي العاص سنة ١٥هـ، فسار إلى عُمان، وكان فيها حتى كتب إليه عمر بعد وقعة جلولاء حتى يعبر البحر إلى ابن كسرى بفارس. فجمع عثمان ثلاثة آلاف من الأزد وغيرهم، وأكثرهم من الأزد وعبر بهم من جرفان إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم، فسالم عثمان ولم يقاتله. والتقى عثمان بقواته مع القوات الفارسية في جزيرة القسم واسمها جاش. وتم النصر للعُمانيين على الفرس، ثم تقدمت القوات العُمانية المنتصرة حتى قدمت أرض العراق فنزلت بوح وذلك بعد افتتاح الكوفة والمدائن بزمان يسير. «وأمر الخليفة عمر بعد ذلك أن يضرب بموضع البصرة خططا لمن هناك من العرب، ويجعل كل قبيلة في محلة، وأمرهم أن يبنوا لأنفسهم المنازل».

وكان أول من قدم البصرة من أهل عُمان ثمانية عشر رجلاً، وهم وقد كعب بن سور من بنى لقيط بن الحارث بن فهم، إلى عمر بن الخطاب من بوح، فاستقضاه على البصرة. ثم «أن جماعة الأزد الذين قدموا من عُمان مع أبي جعفر ظالم بن سراق بن شريح بن أبي العاص، كانوا جند عثمان بن أبي العاص لما كان أيام خلافة عثمان، واستعمل على البصرة عبد الله بن عامر وضمهم إليه بالبصرة -اعني جماعة الأزد الذين من عُمان- فقدم بهم من بوح إلى البصرة»^(١).

(١) العوتبي - المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦.

الخاتمة :

وبعد هذه الرحلة الطويلة في كتاب الأنساب، والتقاط الكتابات التاريخية المتناثرة في هذا الكتاب الخاص بالأنساب، نستطيع أن نقرر باطمئنان أن العوتبي مؤرخ مطبوع، وله وزنه الكبير وسط المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى. وهذا الحكم ليس حكماً عاطفياً، ولكنه حكم موضوعي.. إذا ما تذكرنا أن المؤرخين يتفقون على أن معنى التاريخ هو بحث واستقصاء حوادث الماضي. وعلى هذا فإن التاريخ يتخذ مجراه على يد الأنساب بطريق مباشر، وفي ظروف معينة، والإنسان ابن الماضي. ويذهب بعض المفكرين إلى أن الإنسان يعيش في الحاضر دائماً، فالماضي حاضر فات، والمستقبل حاضر آت، أي أن التاريخ كله - في عرفهم - هو تاريخ معاصر، ولا يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم الماضي^(١).

والعوتبي ربط التاريخ العُماني في حقبة طويلة من تاريخه، بحيث اشعرنا أننا نعيش هذا الماضي.

ونستطيع أن نقرر أيضاً أن اتفاق المصادر العُمانية بالنسبة للروايات التاريخية سببه أنها نقلت جميعاً من مصدر واحد متقدم عليها، وهو كتاب الأنساب للعوتبي الصحاري.. وهنا تبرز واضحة أهمية الأنساب باعتباره من أقدم المصادر التاريخية العُمانية، وهو بالفعل الأصل الذي استمد منه المؤرخون التالون كتاباتهم.

وإذا كانت وزارة التراث القومي والثقافة قد طبعت كتاب الأنساب في جزئين فهذا عمل مشكور بطبيعة الحال. إن تقديم هذا الكنز التاريخي للباحثين عمل لا يمكن أن يقدر.. ولكن تبقى مع هذا أن هذا الكتاب المطبوع اعتمد على نسختي عُمان ودار الكتب المصرية^(٢). ومن هنا نطالب بالحاح بأن تتم عملية التحقيق العلمي للكتاب بالاعتماد على كل النسخ الموجودة، حتى تعم الفائدة.

والله وليّ التوفيق ..

(١) د. حسن عثمان - منهج البحث في التاريخ - دار المعارف، القاهرة ص ٤ - ١٩٧٦ ص ١٩.

(٢) العوتبي - المصدر السابق ج ١ ص ٥.

القراءة الخامسة

كتاب الضياء
(منهجاً ، وأسلوباً ، ولغة)

د. عبدالحفيظ محمد حسن
كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس

كتاب «الضياء» موسوعة في الفقه، في أربعة وعشرين جزءاً، قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان في إطار حرصها على احياء التراث العُماني بطبع أحد عشر جزءاً منها.

ومؤلف الكتاب هو أبوالمنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الأزدي العوتبي الصحاري، وهو منسوب إلى «عوتب» من أعمال صحار. وقد اختلف الباحثون حول الفترة التي عاش فيها، فليس هناك خبر يقين عن تاريخ مولده أو وفاته، ويرى معظم العلماء أنه عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والعقود الأولى من القرن الخامس^(١) ويرى الشيخ أحمد بن سعود السيابي أنه عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري معتمداً على أنه في كتابه «الأنساب» نقل عن كتاب «جمهرة نسب العرب» لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ^(٢).

اشتمل البحث على ثلاثة فصول :

تناول الفصل الأول المنهج الذي اتبعه العوتبي في تأليف كتابه، وطريقته في تقسيم فصوله وأبوابه.

وتناول الفصل الثاني أسلوبه في التأليف، وطريقته في معالجة الموضوعات والقضايا التي يطرقها والمسائل التي يتناولها.

أما الفصل الثالث فتناول لغة الكتاب بالتحليل، فأوضح خصائصها ومميزاتها.

وإنى لأعلم أن الموضوع متشعب وشاق ويحتاج إلى جهد أكبر ومجال أوسع، ولكني أرجو أن أوفق في إلقاء بعض الضوء على منهج الكتاب ولغته وأسلوبه.

(١) انظر في ذلك الشيخ سيف بن حمود البطاشي، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، الجزء الأول من ٢٧٢-٢٧٥، و د. عصام بن علي الرواس، نظرة على المصادر التاريخية العُمانية.

(٢) الشيخ أحمد بن سعود السيابي، رسالة بخطه.

أولاً : المنهج

قسم العوتبي كتابه «الضياء» تقسيماً منهجياً، فبدأ بالعقيدة وأصولها، ثم العبادات، ثم المعاملات، ورتب الموضوعات داخل كل جزء ترتيباً متسلسلاً في أبواب وفصول يسلم بعضها إلى بعض، واتسم منهجه بعدة سمات، أهمها :-

١- البدء بالأصول ثم الانتقال إلى الفروع :

فقد بدأ بالأساسيات التي تنبنى عليها الأحكام، والمقدمات التي تترتب عليها النتائج، والأصول التي يقوم عليها الدين فجعل الجزء الأول في العلم والمعرفة والتوحيد، وجاء في ثلاثة وعشرين باباً، أولها في «بسم الله الرحمن الرحيم» وفضلها وما ورد في شأنها^(١)، فكانت بداية منهجية موفقة.

وبعد ذلك خص العلم والمعرفة والحكمة بثمانية عشر باباً، لأنها أصل ينبني عليه التوحيد. ولذا ناسب أن يفرد له هذه الأبواب العديدة، وهي على الترتيب كما يلي :

في العلم، في الحكمة، في مدح العلم وتفضيله، في ذم الجهل وتضليله وكثرة أهل جيله، وفيه عرف الجهل بأنه نقيض العلم، وتطرق للحديث عن الحق، فمهد بذلك الباب الذي يليه، وهو «في العقل»، حيث أوضح قيمته وفضله، ثم جاء الباب السابع في تفضيل العلماء وإعظامهم وتبجيلهم وإكرامهم. والباب الثامن^(٢) في مراتب العلماء وأحوالهم، وما جاء في أقوالهم وأفعالهم ومكانتهم وفضلهم عند الله، ودورهم في الدنيا، وربط بين العلم والهدى، والعلم والعمل والتقوى، فكان ذلك بمثابة تمهيد للباب العاشر وهو في الحث على العلم وتعليمه.

وبعد أن اطمأن الشيخ إلى أن قارئه قد وثق في صدق مايقول، واقتنع بالعلم قيمة عظيمة، وتحمس له، انتقل إلى الحديث عن العملية التعليمية، بأطرافها الثلاثة: المعلم والمتعلم والوسيلة، فَعَقَدَ للمعلم بابين لأهميته، الأول «في آداب العلماء» في ذاتهم، ربط فيه بين الأدب والعلم، وذكر فيه أن من آداب العلماء أن يؤدبوا أقوالهم ويهذبوا أفعالهم، والباب الآخر: ما يجب على العلماء في التعليم من مجانية العجب وعدم كتمان العلم، وتوسم المتعلم بفراسته ليعلم بها استحقاق حالته، ومبلغ طاقتها، فيعطيه ما يحتمله، ولايزيده فيذهب.

(١) انظر : سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، الضياء، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م، الجزء الأول، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) وردت الأبواب في الكتاب دون أرقام، وهذه الأرقام من عمل الباحث.

وبعد أن أوضح ما يجب على المعلم والمتعلم، كلا على حدة، انتقل للحديث عن العلاقة التي تربطهما وهي العملية التعليمية فنظمها، وأوضح وسائلها المختلفة، وهي:

السؤال والدرس والمذاكرة والاقتداء، فأفرد لكل واحدة منها باباً، فباب في أدب المسؤول والمسائل والفتيا والجواب عن المسائل، أوضح فيه وجوه السؤال وأدواته، وما ينبغي للعالم، من عدم الضرر من إعادة السائل لسؤاله، ومن لين للسائل، وعدم الكذب، وأن يجيب وهو جالس غير مشغول ولا حاقن، وأن يشاور في الجواب من يحضره ممن يصلح لذلك، وغير ذلك من الواجبات التي تضمن أن يأتي الجواب على حقه^(١).

ولا يغفل العوتبي عن أن يوضح -على الجانب الآخر- ما يجب على السائل. وبعد ذلك عقد باباً في صفة المستحق للسؤال عن الحلال والحرام، لئلا يسأل أحد غير أهل العلم، ثم عقد باباً في الدرس والمذاكرة، وباباً في التقليد، أوضح فيه ما يجوز من التقليد وما لا يجوز، ثم عقد باباً في وجوب التكليف وأقسامه، (اعتقاد وفعل وكف) والتبليغ كمهمة أساسية للعلماء (بلوغ الدعوة وقيام الحجة).

تناول العوتبي في أبوابه السابقة العملية التعليمية من جميع جوانبها، ففصل القول فيها، وليس أدق المسائل بطريقة منهجية منظمة، مستعيناً في ذلك بخبرته، مستشهداً بالمأثور من كلام العرب شعراً ونثراً وبالقرآن والحديث، فظهر كعالم من علماء التربية يتبع المناهج الحديثة والطرق التربوية الصحيحة في التدريس.

وبعد هذه المقدمات والأسس جاء الباب العشرون في التوحيد نتيجة وثمرة للأبواب السابقة في العلم والمعرفة:

عرف العوتبي التوحيد وبين نقيضه، فتحدث عن الإلحاد، وهو الانحراف عن الشيء والعدول عنه إلى ناحية، والذين يلحدون في أسمائه، أي يميلون عن أحسنها إلى أن يقولوا له شريك وله ولد^(٢).

والملاحظ أنه أفرد هذا الباب فلم يقسمه إلى فصول أو مسائل كما هو، في سائر الأبواب، كأنما أراد أن يتناسب ذلك مع ما يتحدث عنه من التوحيد.

واتبع العوتبي هذا الباب ثلاثة أبواب تتعلق بالتوحيد، فالباب الحادي والعشرون في الأسماء، أوضح فيه أن الاسم مأخوذ من السمو والرفعة، وتحدث عن «بسم الله الرحمن الرحيم» مفتاح كل كلام. وتطرق إلى قضية لغوية ولكنها تخدم الموضوع الذي

(١) انظر: الضياء ج ١ ص ١٧٤-٢٠١.

(٢) انظر الضياء ج ١ ص ٢٠٢-٢١٢.

(٣) انظر الضياء ج ١ ص ٢٩٣.

يتناوله، فتحدث عن علة حذف الألف منها، وعن البدء بالباء وهي حرف جر، وعلل ذلك بانها متعلقة بفعل محذوف هو «أبتدىء» بسم الله الرحمن الرحيم^(١).

ثم أورد الآراء المختلفة في اسم الله الأعظم^(٢)، وقولنا في الدعاء «يارب» بإسقاط الألف واللام، ويقال كذلك «رب» واستدل على ذلك بقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾^(٣).

الباب الثاني والعشرون «في أسماء الذات وأسماء الصفات»، والباب الثالث والعشرون «في التوحيد»، أوضح فيه أصل التوحيد ودليل الوجدانية، فكل ما في العالم دليل على الواحد الذي لا يشبهه شيء، وبين أن «أصل التوحيد ثلاث خصال: الواحد، القدير، الرحيم»^(٤).

وجاء الجزء الثاني من كتاب الضياء مرتبطاً بالجزء الأول، فقد ختم الجزء الأول بأصل التوحيد ودليل الوجدانية، وفي الجزء الثاني تناول بعض القضايا المتعلقة بتلك القضية الكبرى، ففصل الكلام في التوحيد وحقيقته وما يتعلق به، فجاء هذا الجزء في خمسة عشر باباً.

الباب الأول: ما يجوز من الصفات حقيقة ومجازاً، قسمه إلى أربعة عشر فصلاً. تناول فيه كثيراً من المسائل التي تتعلق بالعقيدة وتصحيح ما انحرف منها.

الباب الثاني: جاء مقابلاً للباب الأول فأوضح ما لا يجوز من الصفات.

الباب الثالث: في القول في آيات تتعلق بالموضوع الذي يعالجه، مثل قوله عز وجل «يخادعون الله وهو خادعهم»، فأوضح أن ذلك توسع ومجاز في لغة العرب.

وناقش كثيراً من المسائل ورد عليها في أسلوب حوارى، يقول مثلاً: فإن قال قائل كذا.. قيل كذا، وإن قال... قيل...

الباب الرابع: في القول في أحاديث لرسول الله ﷺ متعلقة بذلك.

الباب الخامس: في التوحيد قولاً، وهو قول «لا إله إلا الله».

وبعد الحديث عن حقيقة التوحيد فيما يتصل بالوحد سبحانه وتعالى، والتوحيد قولاً، ناسب أن يكون الحديث عن نتيجة عقيدة التوحيد فيما يتصل بجانب الموحّد متخذاً مما أرساه في الأبواب السابقة منطلقاً في معالجة مختلف القضايا، فجاء الباب السادس في

(١) الضياء: ج ١ ص ٢٩٨.

(٢) انظر المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٥.

(٣) الأعراف / ١٤٣.

(٤) الضياء ج ١ ص ٣٧٣.

القضاء والقدر، رد فيه على القدرية والمعتزلة في مسائل عديدة. **والباب السابع** في الرزق وطلب المعيشة. **والباب الثامن** في القرآن كتاب الله عز وجل، وأنه لا يسمى بذلك غيره من سائر الكتب. ويدعو إلى التمسك به واللجوء إليه «عليكم بالقرآن». ويتناول عدة مسائل مثل إعجازه ونزوله وعدد سورته، والمكي والمدني.

والباب التاسع في أحكام القرآن، والنسخ، وما يقع فيه النسخ وما لا يقع. **والباب العاشر** في المحكم والمتشابه، **والباب الحادي عشر** في الأوامر والنهيات.

ثم جاء **الباب الثاني عشر** في الأصل الثاني من أصول الفقه، في الإخبار عن النبي ﷺ، منطلقاً مما روى عنه ﷺ أنه قال: «رحم الله امرأ سمع منا صفة فأداها كما سمعها». وفي خبر: «رحم الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما سمعها، فرب حامل فقه إلى من لافقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١). وفي ذلك دعوة إلى الصدق في الرواية والتبليغ وعدم التصرف فيها بشكل من الأشكال.

وختم هذا الجزء ببابين: أحدهما: مالا يسع جهله، والآخر مايسع جهله. أوضح فيه أنه «يسع جهل أداء الفرائض مالم يبتل بالعمل بها، فإذا وجب العمل وحضر وقتها لم يسعه ذلك»^(٢).

وإذا كان الفقه نتيجة للعلم والمعرفة، فهو أساس فقه العبادات والمعاملات، فيعد أن حدث عن العلم مدخلا والتوحيد نتيجة له وقول «لا إله إلا الله» للدخول في الدين، جاء **لحديثه في أصول الدين في الجزء الثالث**، فجعل **الباب الأول** منه في شيء من الأصول، فعرفها وأوضح الفرق بينها وبين الفروع، وقيمتها وضرورة العلم بها.

وتحدث بعد ذلك عن الاكتساب في الفعل، والعرض العلة، والإجماع، والأصل المجمل والمفصل.

وجاء **الباب الثاني في القياس**، فعرفه وأورد حجة صحته وبطلان القول بنفيه، عن طريق العقل والنقل. وجعل **الباب الثالث في الدين**، فعرفه بادئاً بأقوال العرب نثراً وشعراً، وذلك لأنه يخاطب العقل بداية، ثم عرفه بعد ذلك من خلال القرآن والحديث.

٢- الانتقال من العام إلى الخاص:

ففي **الجزء الثالث** جعل **الباب الثالث في الدين**، ثم جعل **الباب الرابع في «الإيمان والإسلام»**، ثم ارتقى للحديث عن أهل التقى في **الباب الخامس**، وتطرق إلى مايجب للمسلم على المسلم في **الباب السادس**، ثم جعل **الباب السابع في الصحبة والمعاشرة**، والذي يليه في

(١) تذكرة الموضوعات لابن القيسراني، المطبعة السلفية ص ٤٦٢.

(٢) الضياء، ج ٢ ص ٢٧٩.

الولاية والبراءة، مورداً بعض المسائل في ذلك، ومسائل غيرها في الاطفال: اطفال المؤمنين واطفال الكافرين.

٣- المزوجة بين المعاني والموضوعات :

بعد أن انتهى العوتبي إلى دقائق الأمور وخصائصها فيما يتعلق بالدين، انتقل إلى الحديث عن الجانب المقابل، في تدرج وتسلسل، بادئاً بباب «في الشرك والمشرک»، وآخر «في الكفر والكافر»، ثم «في النفاق والمنافق»، و«في الفسق والفاسق»، و«في الظلم»، و«في الفجور»، إلى أن ينتهي إلى الإثم والوزر.

والعوتبي في ذلك متأثر بأسلوب القرآن الكريم في المزوجة بين الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والحض والزجر، وذكر الجنة والنار، وغير ذلك من المزاوجات، فإذا عقد باباً في الجزء الخاص بالصلاة - لما يجوز للمصلي فعله، عقد باباً تالياً لما لا يجوز للمصلي فعله، وباب ما ينقض الصلاة يقابله باب ما لا ينقض الصلاة، ويتوسطهما باب «ما يكره للمصلي فعله ولا ينقض الصلاة». وباب ما تجوز الصلاة به من الثياب وغيرها، يقابله باب ما لا تجوز به الصلاة من الثياب وغيرها. وباب ما يجوز السجود عليه يقابله باب ما لا يجوز السجود عليه ويكره.

ويقابل العوتبي بين المتناقضات، ويوازن بين المعاني، فيعقد الباب السادس عشر «في الهدى والضلال». وناسب أن يأتي الحديث بعد ذلك فيمن جمع بين الحالين من الناس، فكان الباب السابع عشر «في المرتد»، ثم جاء بعد ذلك باب «في أهل الذمة»، وتطرق إلى ما يتعلق بهم، فجعل الباب التاسع عشر في أطعمة أهل الكتاب وغيرهم من المشركين، وذبائحهم ووطباتهم وأحكام ذلك منهم. ثم جاء الباب العشرون في الجزية وأحكامها.

وجاء الباب الحادي والعشرون في شيء من اختلاف الفرق والمذاهب والأقاويل، والباب الثاني والعشرون في اختلاف الناس في المقالات، وقد أورد مواطن متعددة مما اختلف الناس فيه، وأورد المقالات المختلفة في كل موطن، وتحدث عن الفرق وألقابها، ثم رد على جماعة المغالين من تلك الفرق والرافضة خاصة^(١).

٤- الإجمال بعد التفصيل :

وفيما يمكن أن يسمى عوداً على بدء أو إجمالاً بعد تفصيل ختم العوتبي الجزء الثالث بالحديث عن المعرفة والتوحيد، فعقد لهما الفصلين الأخيرين من موسوعته، محتفظاً بنفس الترتيب بينهما، فالفصل الأول منهما في العلم وطلبه ومعرفة الله سبحانه ونفي

(١) الضياء ج ٣ ص ١٨٤.

الاشباه عنه، ومعرفة الفرق بين صفاته الذاتية وصفاته الفعلية، كأول ما يجب على العبد عند أول أحوال التكليف^(١) وكأنه أراد أن يذكر بالأصل الأول الذي ينبني عليه الدين، وهو ما عقد له ثمانية عشر باباً في الجزء الأول.

والفصل الآخر في التوحيد، ذلك الهدف الاسمي الذي تحدث عنه في ختام الجزء الأول وبدء الجزء الثاني، وما هو يختص به الجزء الثالث في صورة مقابلة لصورة تفرق المسلمين واختلافهم في المقالات. وبدأ هذا الفصل بقوله: «اعلموا وفقكم الله أن الدين واحد وإن اختلفت فيه المقالات، وكثرت فيه الجهالات، ووقع بين الأمم الافتراق، وواقع الشيطان بينهم في الشقاق»^(٢).

وهو في ذلك يدعو الأمة إلى التوحيد وترك التفرق والانتباه إلى مكاييد الشيطان، ومبعث ذلك أن الدين واحد، والحق أيضاً واحد، مستشهداً بآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ قال -عز وجل- «إن الدين عند الله الإسلام»^(٣) وقال -تعالى-: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾^(٥).

الجزء الرابع: في الذنوب والكبائر والحدود، وهو جزء كبير نسبياً، فقد جاء في تسعة وأربعين باباً، كما يلي:

الباب الأول : في الذنوب والكبائر والتوبة منها. والباب الثاني : في المرتد. والباب الثالث : في الزنا، وهو من أكبر الكبائر وأخطرها على الدين والمجتمع، ولذلك جاءت الأبواب الثمانية التالية لهذا الباب متعلقة به، وجاءت متسلسلة في تدرج منطقي، كما يلي: في الملاعة، في اللذف، في الإحصان، في الحدود، في العفو عن الجنايات، فيما لاحد فيه، في الأدب والضرب والتعذير، في إقامة الحدود وصفتها ومعرفتها، في الحدود.

وجاءت الأبواب بعد ذلك في الأشربة، وفي السكران وأحكامه، وفي المجنون والأبله، وفي الأعجم والأبكم والأخرس، وفي الأعمى، وفي الغائب.

وقد ورد في الباب الأخير عدة مسائل دون تسميتها مسألة، ولعل ذلك لأنها حالات فردية وليست مسائل عامة.

وتبعت هذا الباب «في الغائب» عدة أبواب تتعلق به وتترتب عليه، فالباب التاسع عشر في اليتيم، فاليتيم طفل غاب أبوه ولكن بموت. ثم تلت ذلك أبواب تتعلق باليتيم، فباب في مال اليتيم، وباب في الوصاية والوكالة والاحتساب والقرض لليتيم، وباب فيما

(١) الضياء ج ٣ ص ٢٠٩.

(٢) الضياء ج ٣ ص ٢١٠.

(٣) الحج / ٧٨.

(٤) يونس / ٣٢.

(٥) آل عمران / ١٩.

يجوز للوصى والوكيل والمحتسب والحاكم في مال اليتيم، ومالا يجوز. وختم هذه الأبواب بباب في الرشد وبلوغ اليتيم ودفع ماله إليه.

انتقل العوتبي بعد ذلك إلى مشكلة أخرى تتعلق بالأطفال، أو نوع آخر من الأطفال الذين لهم مشاكل وهو اللقيط. ثم جاء باب في الملوك وأحكامه، وهو باب طويل نسبياً، فقد بلغ حوالي خمسين صفحة^(١).

وبعد أن عالج العوتبي قضايا الأسرة والعلاقات الداخلية بينها انتقل إلى العلاقات الخارجية فجاءت الأبواب كما يلي: في الجار، وفي صلة الأرحام، وفي القرابة وصلتهم وهجرهم.

وعاد مرة ثانية لما يتصل بالأسرة فعقد باباً في الوالدين وبرهما، وآخر فيما يستحق الولد من مال الوالد، ويتناول الصورة المقابلة لها فيأتي الباب الحادي والثلاثين فيمن عق والدیه، والباب الثاني والثلاثين فيما يجنب للوالد على ولده وللموئى على عبده، وأوضح في مقابل ذلك ما يجب للولد على والده وللعبد على سيده، وما يجب من الحقوق لبعضهم على بعض.

وجعل الباب الثالث والثلاثين في شيء من النهى وما جاء فيه اللعن. والباب الرابع والثلاثين في الكذب وما جاء فيه، ولم يدخله في باب النهى لأن منه ما يباح، ولذلك جعله باباً مستقلاً، وجاء الباب الذى يليه مقابلاً له، فقد جعله «في الصدق»، ثم توالى الأبواب بعد ذلك في الأخلاق والصفات، في الوفاء، وفي كتمان السر، وفي الحياء، وفي الوعد والعهد، وفي المشورة. وبعد ذلك جاء الباب الحادي والأربعون في طاعة الله عز وجل، ومعصيته، والثواب والعقاب.

وجاء الباب الثاني والأربعون في ترك العجب وكراهة المدح والتواضع لله تعالى والخضوع له. والباب الثالث والأربعون فيما يروى من قول الله عز وجل، من غرائب الحديث من قول الله عز وجل. والباب الرابع والأربعون فيما روى من كلام النبي ﷺ الذى لم يسبقه إليه أحد، وبعض الأقوال التى تشبه الأمثال. الباب الخامس والأربعون في الأيام والليالي والأهلة. والباب السادس والأربعون في الحمد والشكر. والباب السابع والأربعون فيما جاء في السؤال. والباب الثامن والأربعون فيما جاء في الفقر وأهله. والباب التاسع والأربعون في الورع والعفة.

(١) الضياء، ج ٤ ص ٣٠٣ - ٣٥٠.

٥- البدء بالعقيدة ثم الانتقال إلى العبادات :

بعد هذه الأصول من المعرفة والتوحيد انتقل إلى العبادات فجعل الجزء الخامس في الصلاة وما يتعلق بها، وجاء في واحد وثلاثين باباً بدأها بباب القبلة والسترة وما يتعلق بهما ونسخ بيت المقدس، ثم جاءت الأبواب متتابعة كما يلي: في المساجد وقيمتها ومكانتها عند المسلمين، وما يجوز فعله وما لا يجوز، وفي الأذان والمؤذنين والإقامة، وفي الصلاة ووجوبها ومستحبها، وفي معرفة الصلوات وأوقاتها، وفي الفرائض التي لا تتم الصلاة إلا بها ولا تنبئ إلا عليها، وبها يصلح عملها، وأوضح أنها سبع خصال^(١) : النية والطهارة والسترة الطاهرة، وطهارة الموضع الذي يستقر المصلي عليه، والعلم بالوقت، والتوجه إلى الكعبة، والقيام منتصباً عند فعل الصلاة، وأورد حجج وجوب كل خصلة منها من القرآن والحديث. وفي الفرائض من الصلوات والسنن، وفي صلاة الوتر، وفي صفة الصلوات عند القيام إليها، والإقامة، والتوجيه، وفي تكبيرة الإحرام، والاستعاذة، والقراءة في الصلاة، وفي الركوع، وتكبيرة الركوع، والسجود وتسبيحهما، وفي السجود، وما يجوز السجود عليه، وما لا يجوز، والتحيات والتسليم، وفي التسبيح وفي الدعاء وما يجوز منه وما لا يجوز، وفي الصلاة على النبي ﷺ، وفي صلاة المرأة والخنثى، وما يجوز للمصلي فعله، وما لا يجوز، وما ينقض الصلاة، وما يكره للمصلي فعله ولا ينقض عليه، وما لا ينقض الصلاة وما لا يقطعها، وما تجوز الصلاة به من الثياب وما لا يجوز، وعالج في هذا الباب اختلاف صلاة المصلي في صلاته لاختلاف أحواله وأوقاته، مثل صلاة المرض والخوف والحرب، وصلاة الحاجات مثل الكسوف والزلزلة والاستسقاء، وصلاة السنن والنافلة والتطوع مثل صلاة الضحى، وقيام الليل، وصلاة التراويح. والجزء السادس في الزكاة وإخراجها، والصيام وما جاء فيه، والجزء السابع في الحج وأركانها.

٦- بعد الفرائض جاءت المعاملات والعلاقات بين الناس:

وهي على مستويات متعددة مختلفة، فقد تدرج فيها من الخاص إلى العام، فبدأ بأقرب العلاقات وأكثرها خصوصية، وهي العلاقات في مجال الأسرة الصغيرة، ثم الأسرة الأكبر، ثم الجوار، ثم المجتمع، ثم الدولة والحكم بين الناس، فجاء الجزء الثامن في العتق والرضاع والنكاح وأحكامها، والجزء التاسع في الطلاق، والعاشر في الخيار، والخلع، والإيلاء، والظهار، ورد المظلة، والعدة، والحضانة، والحيض وأحكامه. والجزء الحادي عشر في القضاء (الحكم بين الناس).

وهكذا نجد أن كل باب يسلم إلى الباب الذي يليه، فيمهد السابق للاحق، أو يفصل اللاحق ما أجمل في السابق، أو يخصص ما عم.

(١) الضياء ج ٥ ص ١٠٩

٧- الاستدلال العقلي والنقلي :

استعان العوتبي بالعقل والنقل على صحة ما يقول، فاستخدم القياس المنطقي الذي يعتمد على العقل، كما استخدم الأدلة النقلية على حد سواء، ومن أمثلة ذلك استدلاله على بطلان قول من قال (المحرم منه «أى الخمر» الذي أسكر دون ما لا يسكر، وإن الشربة التي تسكر هي الحرام)^(١). يقول العوتبي في إثبات بطلان ذلك : إن كان الاختلاف بين الناس في الخبر على ضربين فسد أحدهما وصح الآخر، والنظر يوجب أن الخبر، إذا كان صحيحاً قول من قال إن الشربة التي حدث معها السكر هي المحرمة دون غيرها، أن ذلك إغفال ممن قال به، إذ محال أن يحرم النبي ﷺ الشيء بعد فعل الفاعل له، ومحال تحريم الشيء بعد فعل الفاعل له، وإنما حرم شرب المسكر قبل شربه، وغير جائز أن يحرم شيئاً ويكون ذلك الشيء المحرم غير معلوم، إذ لو كان ذلك كذلك لما وجد العباد السبيل إلى الطاعة لأن المطوع متى قصد إلى فعل ما أمر بفعله، أو ترك ما أمر بتركه وهو عالم به، فغير جائز أن يحرم الله شيئاً ولا يدل عليه بدليل أمر هو به، فلما استحل ما ذكرنا عندنا وعند من اختار غير اختيارنا علمنا أن الله حرم قليل السكر وكثيره على لسان نبيه ﷺ، وفي صحة ما اخترنا دليل على إبطال من قال إن المحرم الشربة التي تسكر. والله أعلم^(٢).

يبرز العوتبي هنا كعالم من علماء الكلام في استدلاله العقلي عن طريق الفروض الجدلية ليصل إلى صحة ما اختاره في النهاية.

ويورد بعد ذلك الأدلة النقلية على تحريم الخمر من الحديث والأخبار. وفي هذا المجال ومثله يحرص على ذكر سند الحديث ليؤكد صحته ويقطع اللجج، يقول: «والأخبار المتواترة عن النبي ﷺ -مع اختلاف الرواة لها، وتفاوت ما بينهم، واختلاف معانيهم- أنه حرم المسكر، وقال «كل مسكر حرام». وقد قيل ملء الكف حرام، وقال : القطرة حرام. وعن جابر، يرفع عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

وروي عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : «ما أسكر الفرق منه فملء الكف حرام، والقطرة حرام والجرعة منه حرام»^(٣) وهذا الحديث وغيره والأخبار والروايات كلها تقسد قول من أجاز شرب النبيذ المنهي عنه الذي من شرب منه سكر، وإنما أجازت الأحاديث والروايات الشراب من غير الخمر إذا لم يكن مسكراً، مما لم يكن في الأصل مسكراً، أو لم يكن خمراً، ولا من وعائه.

(١) الضياء ج ٤ ص ١٨٨.

(٢) الضياء ج ٤ ص ١٨٩.

(٣) ميزان الاعتدال ٨-٤٠-١٠.

وقد روي أن ابن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، وأبا عبيده بن الجراح أنهم كانوا يحرمون شرب الطلاء على الوصف الذي ذكرناه من الطبخ.

وروي عن النبي ﷺ من طريق جابر بن عبدالله أنه نهى أن ينبذ التمر والزبيب جميعاً، ولا الرطب والبسر جميعاً، وأن ينبذ كل واحد على حدة.

ومن طريق أنس عنه ﷺ أنه «نهى عن نبذ التمر والبسر جميعاً»^(١)

ومن طريق عمر أنه «نهى أن يخلط البلح قبل البسر والتمر»^(٢)

ومن طريق ابن عباس أنه «نهى أن يخلط البسر والتمر جميعاً».

وفي الحديث عن القياس وصحته يضرب أمثله للقياس الغلط فيقول : «ومن شبه الزكاة بالصلاة فغلط لأن الصلاة عمل على البدن ليس لأحد فيه حق، والزكاة دين تقوم في ماله يخرجها هو ويخرجها غيره بأمره، ويخرجها الإمام إلى أهلها إذا غاب عنها أو منعها بغير رأيه لأن الإمام حاكم يحكم بما ثبت عنده من حق على الغائب والحاضر والممتنع. ثم يقول تادباً وتواضعاً «والله أعلم».

ويتابع قائلاً: «وليس شهادة النكاح كشهادة الحقوق لأن الحقوق لا يحكم بها الحاكم إذا عدل إلا بالعدول من البيئة لأن الحاكم يطلب أن يكون عدلاً على الحقوق والأحكام، فشهوده أيضاً عدول مثله، وليس كذلك في النكاح، لأن النكاح لا يطلب العدول فيه من الأولياء والمتزوجين جاز أن يكون البيئة لهم كذلك والله أعلم»^(٣).

٨- ابتعد العوتبي عن نقاط الخلاف :

فإن كان الرأي مخالفاً أوردته بالبناء للمجهول لمجرد العلم به فيقول مثلاً، ويرى بعضهم، أو قال بعضهم، أو وقال من قال، أو روى بعضهم، أو قيل، أو روي،..... إلى غير ذلك من الأفعال المبنية للمجهول أو التي لم يذكر فاعلها، مكتفياً بكلمة بعضهم. ولم يغير أو يبدل في مقالاتهم، ويقول في مقدمته لكتابه (الضياء) موضعاً منهجه في ذلك: «وقد ذكرت شيئاً من أقاويل قومنا الموافقة لنا، والمخالفة لأقاويلنا في مواضعها من الكتاب، إذ العلم بذلك خير من الجهل به»^(٤).

(١) مسند أبي حنيفة ١٥٣.

(٢) مسند أبي حنيفة ١٥٣.

(٣) الضياء ج ٢ ص ٢٢.

(٤) الضياء ج ١ المقدمة ص ١٨.

(٥) المرجع السابق ص ٢٠.

ومن الأصول التي اعتمد عليها منهجه في الضياء أن «السكوت خير من الكلام العاري من البرهان، والخرس أفضل من قول بغير بيان»^(٥).

ومن هذا المنطلق لم يهتم بالرد فيما اختلفت فيه الأقوال بحسب التأول، وإنما اكتفى بتأكيد رأيه بالدليل والحجة من نقل وعقل، أما عندما يكون الاختلاف في مسألة تمس العقيدة فإنه يرد بقوة وعنف، ومن ذلك رده على جماعة غالبية الشيعة والرافضة.

ثانياً : الأسلوب

كلمة «الأسلوب» في العربية مجاز مأخوذ من معنى الطريق الممتد، أو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أى أفانين منه^(١).

وتناول الزمخشري مادة «سلب» فقال: «سلبه ثوبه، وهو سلب، وأخذ سلب القتل وأساليب القتل، وليست الثكل السلاب، وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتها فهي مسلب، والإحداد على الزوج والتسليب عام. وسلكت أسلوب فلان: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة. ومن مستلب العقل، وشجرة سلب: أخذ ورقها وثمرها، وشجر سلب. وناقاة سلوب: أخذ ولدها، ونوق سلاب. ويقال للمتكبر: أنفه في أسلوب، إذا لم يلتفت يمنة ولايسرة^(٢).

وبالنظر إلى التحديد اللغوي لكلمة «الأسلوب» يمكن تبين أمرين: الأول: البعد المادى الذى يمكن أن نلمسه في تحديد مفهوم الكلمة من حيث ارتبطت في مدلولها بمعنى الطريق الممتد، أو السطر من النخيل، ومن حيث ارتباطها أحياناً بالنواحي الشكلية كعدم الالتفات يمنة أو يسرة. الثانى: البعد الفنى الذى يتمثل في ربطها بأساليب القول وأفانينه، كما نقول: سلكت أسلوب فلان: طريقته. وكلامه على أساليب حسنة. ولعل المعنى الاصطلاحي لم يبعد كثيراً عن هذا المفهوم اللغوي إن لم يطابقه^(٣).

والحديث عن «الأسلوب» يبدأ بأرسطو وكتابه «فن الخطابة»، حيث أفرد المقالة الثالثة والأخيرة من هذا الكتاب للأسلوب، وفي هذه المقالة استخدم الأسلوب بمعنى اللغة التي يستعملها المتكلم إذ يقول في بدايتها: «إن المرء يراعى في قوله ثلاثة أشياء: أولها وسائل الإقناع، وثانيها الأسلوب أو اللغة التى يستعملها، وثالثها ترتيب أجزاء القول»^(٤) ولعله كان أكثر وضوحاً في تحديد معنى الأسلوب حين أشار في موضع آخر إلى أهمية الطريقة التى يعبر بها المرء عما يريد، فلا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغي، فيستخدم في أسلوبه الوسائل الكفيلة بخلق التأثير الذى يريده

(١) انظر : مادة (سلب) لسان العرب - ابن منظور، دار المعارف : ٢٠٥٩.

(٢) أساس البلاغة - كتاب الشعب ١٩٦٠ : ٤٥٢.

(٣) د. محمد عبدالمطلب ، البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية ١٩٨٤م ص ١٣.

(٤) د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث ، القاهرة ١٩٦٢م ص ١٢٩.

والوصول إلى غايته التى ينشدها. ومن هذه الوسائل مايتصل بمعجم الالفاظ، ومنها مايرجع إلى أنماط التراكيب، ومنها مايرجع إلى ألوان المجاز، مع صحة الأسلوب ووضوحه ودقة التعبير^(١).

وإن كنا لانجد كلمة «الأسلوب» مستخدمة فى نقدنا العربى القديم فقد استخدمت كلمات وعبارات أخرى فى مجال وصف النصوص الأدبية وتحليلها وتقييمها، مثل «فصاحة اللفظ» و «جزالة العبارة» و «حسن السبك» و «براعة التأليف» وما إليها من العبارات.

أما الذى أفاض فيه نقادنا العرب القدماء فهو «اللفظ» و «المعنى» باعتبارهما العنصرين اللذين يتألف منهما «القول» أو «الكلام»^(٢).

وتأثر الجاحظ^(٣) بفكرة الفصل بين اللفظ والمعنى التى انطوت عليها صحيفة (بشر بن المعتمر ت ٢١٠هـ).

أما عبدالقاهر الجرجاني فقد انفرد من بين النقاد العرب القدماء باستخدام مصطلح «الأسلوب» بمعنى النظم فيما يعرف باسم «نظرية النظم» فى سياق حديثه عن معنى «الاحتذاء».

وقد أفاد عبدالقاهر بما فى النحو من إمكانات تركيبية ووظفها بشكل مباشر فى محاولة خلق نظرية لغوية فى فهم الأسلوب، من حيث كان النحو خالقا للنسق التعبيري الذى يحقق (المزية والفصيلة) بجانب الصحة والسلامة.

ففى مجال أبنية الكلمات قدم النحاة لمحات كاشفة عن دلالة بعض الأبنية وتمايز كل بنية عن الأخرى، وما تنفرد به كل بنية من حيث دلالتها، فبنية المصدر -على تنوعها- غير بنية الاسم، وغير بنية الفعل، وصيغ المبالغة، وأسماء الفاعلين، والمفعولين وغيرها، يقول سيبويه -وهو يسمي النسب إضافة- فى التفريق بين صيغة «فعال» وصيغة «فاعل» فى النسب: «هذا باب الإضافة تحذف فيه ياء الإضافة وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله، أو ذا شيء. أما ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون «فعالا» وذلك قولك لصاحب الثياب: (ثواب)، ولصاحب العاج: (عواج)، ولصاحب الجمال التى ينقل عليها: (جمال)، ولصاحب الحمر التى يحمل عليها: (حمار)، وللذى يعالج الصرف: (صراف). وذا أكثر من أن يحصى.

(١) انظر د. شفيق السيد، الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦م ص ٩ وانظر أيضا: د. أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مدخل فى المصطلح وحقول البحث ومناهجه، مجلة فصول، المجلد الخامس، سنة ١٩٨٤م ص ٦١.

(٢) انظر: الصناعتين، لأبى هلال العسكري، تحقيق على محمد الجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة والحلبى ص ٧٥.

(٣) انظر كتابه «الحيوان» تحقيق عبدالسلام مارون، ج ٢ ص ٨١٣٢.

وأما ما يكون ذا شيء وليس بصاحب صنعة يعالجها فإنه مما يكون «فاعلاً»، وذلك قولك لدى الدرع: (دارع)، ولدى النبل: (نابل)، ولدى النشاب: (ناشب)، ولدى التمر: (تامر)، ولدى اللبن: (لابن).

والمعنى النحوي ليس منعزلاً بطبيعة الحال عن النص، ولا يمكن أن يكون كذلك. ولذلك ينبغي النظر دائماً إلى المعنى النحوي بوصفه الجذيلة المزدوجة المفتولة بإحكام من المفردات والنظام النحوي معاً، المنصهرة في بوتقة «الاختيار» بينهما، بحيث تكون دلالة الكلمة الحقيقية في سياق بعينه جزءاً من دلالة الجملة كلها، ومن هنا تكون دلالة الكلمة حصيلة لاجتماع المعنى النحوي والمعنى المعجمي في سياق مخصوص^(١).

ويقول عبدالقاهر الجرجاني في الجمع بين المعنى النحوي والسياق: «فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ، إلى «النظم»، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو من معاني النحو قد أصيب به موضعه»^(٢).

ويقول في موضع آخر «وإن قد عرفت أن مدار أمر «النظم» على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لاتجد لها ازدياداً بعدها. ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض»^(٣).

ويتخذ الدكتور محمد حماسة هذه المقولة، «وهي تكون دلالة الكلمة من المعنى المعجمي والوظيفي والسياق معاً، منطلقاً إلى القول أن «الأسلوبية التطبيقية» التي تتعامل مع جانب واحد من جوانب النص - والإحصائية منها على وجه الخصوص - أسلوبية جافة»^(٤).

واستطاع عبدالقاهر من خلال مفهومه للنحو أن يستكشف جوانب خصبة في التراكيب، فربط نظامها بالفكر اللطيفة، وكان مدخله لمناقشة قضية الإعجاز القرآني، وأطلق على نظريته كلمة دقيقة هي «النظم».

والأسلوب أو النظم عند عبدالقاهر هو ترتيب مفردات اللغة ترتيباً مبنياً على العلاقات النحوية، أو معاني النحو كما يسميها، واعتبر الألفاظ رموزاً للمعاني، «فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق»^(٥) فالفكر لا يتعلق

(١) انظر: د. محمد حماسة عبداللطيف، النحو والدلالة، مطبعة المدينة، مصر ١٩٨٢م ص ١٧٢.

(٢) دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٨٤م ص ٨٢، ٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ٨٧.

(٤) د. محمد حماسة، النحو والدلالة ص ١٧٢.

(٥) دلائل الإعجاز ص ٥٢.

باللفظة المفردة، وإنما يتعلق بما بين المعاني من علاقات، والنحو بإمكاناته الواسعة هو الذي يقدم للمبدع كل الاحتمالات الممكنة في تكوين الجملة بحيث يكون النظم عملية تسلسل تركيبى للإمكانات الاستبدالية والقدرة التوزيعية، وفي مقولتهم عن انتهاك اللغة وانحرافها عن النمط المألوف، وذلك باخضاعه المجاز لسيطرة النحو وعلاقاته التركيبية. إن لم نقل إنه جاوزهم بمقولته عن تجدد المواضع تبعاً لتجدد الاستعمال.

وقدم عبد القاهر كثيراً من النماذج، محللاً لها، كاشفاً عن نظامها النحوي، موضحاً للعلاقات التركيبية في هذا النظام، وما لكل ذلك من أثر في الدلالة، وصولاً إلى فردية الاستعمال وما يترتب عليه من وجود مناطق نحوية أثيرة يتحرك فيها كل مبدع. ويكاد يكون المجاز ممثلاً لأكبر قيمة في انتهاك النظام اللغوي والخروج على مألوفه، والعدول فيه يبدو وبشكل بارز في تحديد مفهومه على المستوى اللغوي أو المستوى الاصطلاحي، مما جعل له دوراً بارزاً في الدلالة ومباحثها، ودوراً بارزاً في خلق الصورة الفنية من خلال مباحث الاستعارة والكناية والتمثيل.

وهكذا اقترب النقد العربي القديم في حركته، أو بمعنى آخر، اتصل بحركة الدرس الأسلوبى، يتمثل ذلك في عملية التمازج بين النقد والبلاغة والنحو، حيث أصبحت بحوث النحويين المنهجية وسيلة لتقييم الأسلوب ورصد خواصه، مثلما نجد في الحديث عن التعجب والاستفهام -مثلاً- وخروجهما عن الغرض الأصلي إلى أغراض إضافية تمثل قيماً جمالية تعبيرية في النص الأدبى^(١).

والأسلوب عند ابن خلدون هو المنوال الذى ينسج فيه التركيب أو القالب الذى فرغ فيه^(٢).

وهو عند حازم القرطاجنى «هيئة تحصل عن التاليفات المعنوية والنظم، وهيئة تحصل عن التاليفات اللفظية. ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد، والتناسب، والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد، مما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض، ومراعاة المناسبة ولطف النقلة»^(٣).

فالأسلوب -إن- معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظاً منسقة، وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم. ولا يزال هذا هو تعريف الأسلوب إلى اليوم، فهو

(١) أنظر ص ١١٦، ١١٧ وانظر أيضاً د. شكرى عياد، الأسلوب في التراث القديم، مجلة فصول، عدد أكتوبر سنة ١٩٨٠م.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧.

(٣) منهاج البلاغة وسراج الأدباء، تحقيق الدكتور محمد الحبيب خوجه، تونس ١٩٦٦م ص ٢٦٤.

طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه^(١).

فالأسلوب يمثل أداة فنية لها أهميتها وخطورتها حين يريد المؤلف أن ينقل فكرته وآراءه وعاطفته ومعانيه إلى الناس. ومن هنا يتدخل الجمهور أو المتلقى عنصراً ضمن عناصر الحكم على الأسلوب أو له، لبيان تأثيره وما نقله من التجربة، وكيفية الانتقال بما يتطلبه من موسيقى وتصوير لخلق المزيد من التأثير في النفوس^(٢).

وهكذا نجد أن كلمة «الأسلوب» قد ظهرت في تراثنا القديم على نحو ربطت فيه بين مدلول اللفظ وطرق العرب في أداء المعنى، أو بينه وبين النوع الأدبي وطرق صياغته، كما ربطت أحياناً بينه وبين شخصية المبدع ومقدرته الفنية، كما أنها ربطت -أيضاً- بينه وبين الغرض الذي يتضمنه النص الأدبي، وقد يتساوى مفهوم الكلمة مع مفهوم «النظم» الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام، لكن ذلك كله لم يقدم نظرية مكتملة يمكن اعتبارها بحثاً أسلوبياً عربياً في المجال التنظيري أو التطبيقي.

أما كلمة «الأسلوب» فقد ظهرت خلال القرن التاسع عشر عند الغربيين، لكنها لم تصل إلى معنى محدد إلا في أوائل هذا القرن، وكان هذا التحديد مرتبطاً بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة، فحين ظهرت بؤادر النهضة اللغوية في الغرب فيما عرف بالفيلوجيا Philalagy أكدت الصلة بين المباحث اللغوية والأدب. لأنها لم تنظر إلى الدراسة اللغوية باعتبارها جهود علماء الغرب في إرساء معالم الأسلوبية^(٣).

وحظيت دراسة الأسلوب Style-Study منذ مطلع هذا القرن بعناية الباحثين في أوروبا، واتجه اهتمامهم إلى تقديم بعض المبادئ والأسس النظرية العامة المتعلقة به، أو دراسة بعض الظواهر الأسلوبية في عمل أدبي معين أو عند كاتب بذاته.

وانصب الاهتمام على النسيج اللغوي للعمل الفني، على الصنعة الأدبية نفسها، والبعد عما هو خارج النص، كبعض الحقائق التي تتصل بحياة المؤلف، وسيرته الذاتية، والأحكام الأدبية التقليدية التي تسبق العمل الأدبي^(٤).

يقول «فاليري» إن الأسلوبية إنما تبحث التأثيرات الأدبية، وتفحص الوسائل التعبيرية والإيحائية التي يبتكرها الكاتب أو الشاعر لترفع من طاقة الكلام وقدرته على النفاذ

(١) انظر : أحمد الشايب، الأسلوب ، النهضة المصرية، القاهرة ، الطبعة الثامنة ١٩٨٨م ص ٤٠، ٤٤.

(٢) انظر : د. عبدالله الخطاوي، قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨١م ص ٤٥٤.

(٣) انظر : د. محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية ص ١١٧ - ١١٩.

(٤) انظر : G. Haugh, Styleand Stylistics, Landa, 1969, 14-15.

والتأثير، أو على حد تعبير أحد النقاد الأمريكيين إنها «دراسة ما يتجاوز منطق اللغة في التعبير»^(١).

وإذا كان «علم اللغة» ينصب على دراسة ما يقال، فإن «الأسلوبية» تنصب على كيفية ما يقال، بحيث تتحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية في الأداء الإبداعي دون وقوع في شرك الفصل بين الشكل والمضمون.

وذكر «بوهلر» أن للغة ثلاث وظائف في عملية الإبداع الدلالي، هي الوظيفة الوصفية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الاقتصادية، وقال إنها عادة ما تجتمع في المنطوق اللغوي الواحد.

ثم جاء «جاكبسون»، وعدل في تصنيف «بوهلر» واصطنع فكرة «الأداء» بدلا من «الاقتضاء»، وفكرة «المرجعية أو الإحالة» بدلا من «التمثيل أو الوصف» وصنف للغة ست وظائف هي:

١- الوظيفة المرجعية: وتتعلق بموضوع الرسالة.. وهذه الوظيفة تحدد العلاقات بين الرسالة والموضوع الذي تدل عليه، ويقال لها الوظيفة الإحالية أو الدلالية.

ويمكن أن نسميها عملية تحديد المشكلة أو الموضوع بحيث ينحصر ويتضح لدى المتلقي ولا يكون ذلك إلا بقدرة المرسل على توضيحه وتجليته وتنقيته من الغموض.

٢- الوظيفة الندائية: وتتعلق بالمخاطب وموقفه النفسي، وتعود إلى العلاقات التي بين الرسالة والمتلقي في مهمة لموضوعها، ويقال لها الوظيفة الإفهامية (مراعاة مقتضى الحال في البلاغة العربية).

٣- الوظيفة الانفعالية: وتتعلق بالمتكلم وقدرته على إبلاغ رسالته، وتحدد العلاقات التي بين المتكلم أو المرسل والرسالة أو المنطوق اللغوي.

٤- الوظيفة الاتصالية: وتتعلق بما يستخدمه المتكلم من وسائل لتأمين عملية الاتصال، إذ تحرص على إبقاء التواصل بين المرسل والمتلقي (عملية تشويق المتلقي وجذب انتباهه للرسالة).

٥- الوظيفة الشعرية: وتشير إلى قيمة الرسالة نفسها، وقد عرفها «جاكبسون» بأنها «علاقة ذاتية، هي العلاقة بين الرسالة وبين ذاتها إذ تكون الرسالة غاية في ذاتها..» وكأنه يقصد ما يقصده أصحاب نظرية الفن للفن^(٢).

(١) انظر : S. Ulmann, Meaning and Style, Oxford, 1973, P.41 وانظر أيضا د. شفيع السيد، الأسلوبية ص ٧٠ وما بعدها.

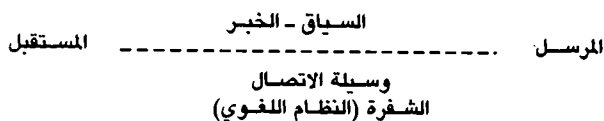
(٢) د. عبدالرؤوف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، دار الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨١م ص ١١١.

٦- الوظيفة «الماوراء لغوية»: وتعود إلى العلاقات اللغوية نفسها، وهي تتعلق بقابلية المضمون الكلامي للصياغة وأن يصبح مدونة ذات مفروضات.

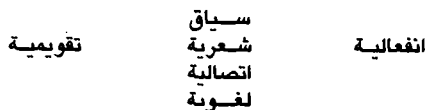
ويرى «جاكبسون» أن كل حدث لغوي يتضمن رسالة وأربعة عناصر مرتبطة بها، هي: المرسل، والمتلقي، ومحتوى الرسالة، والكود أو الشفرة المستعملة فيها، أما علاقة هذه العناصر بعضها ببعض فمتنوعة متغيرة، فقد يحدث أن تعمل الوظائف المختلفة لها بشكل منعزل، لكن المؤلف أن نجد مجموعة من الوظائف متماسكة، مترابطة، لا تتكدس مع بعضها البعض ولكنها تنتظم في مراتب^(١).

واقترح «جاكبسون» نموذجاً شاملاً للاتصال اللغوي، قدم فيه ستة عناصر، شرحها كما يلي:

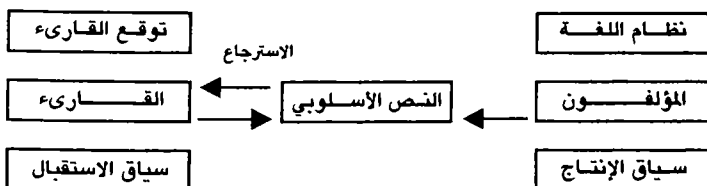
يوصل المرسل خبراً إلى المستقبل، وينبغي أن يعتمد ذلك على سياق (ويقصد به المحيط غير اللغوي)، ويتطلب الأمر نظاماً لغوياً مشتركاً بين المرسل والمستقبل، ووسيلة اتصال. والمقصود بوسيلة الاتصال قناة بالمفهوم النظري الإعلامي، والتي من خلالها يتصل المرسل والمستقبل أحدهما بالآخر.



ويمكن عرض تلك الوظائف، التي يرتبط بعضها ببعض (بالنظر إلى العوامل الأساسية في مسألة الاتصال)، كما يلي :



وقد وضعت العناصر الهامة هناك والصلات بينها في نموذج يمكن تمثيله في الشكل التالي:^(٢)



(١) للتعريف على الوظائف الأساسية والوظائف الثانوية انظر : د. صلاح فضل، نظرية في النقد الأدبي، الانجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٨٠م ص ٢٨٢ وما بعدها - د. محمد عبدالملوك، البلاغة والأسلوبية ص ١٥٧ - ١٧٩.

(٢) برنذ شيلتز، علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة د. محمود جاد الرب، الدار الفنية، القاهرة ص ١٩٨٧ من ١٠٧ - ١٠٩.

وعرض «ألمان» صورة وافية لعلم الأسلوب كما استقر -حوالي منتصف هذا القرن- لدى المدرسة الفرنسية من تلاميذ «بالي» وهو «علم الأسلوب الوصفي» كما يسمونه، وموضوعه، كما يعنون «ألمان»، دراسة «الإمكانات الأسلوبية في لغة ما». وقدم مثالا من عنده لهذا النوع من الدراسة حين عدد «القيم الخاصة» لتركيب فرنسي خارج عن المألوف، وهو تقديم الفعل على فاعله في الجملة غير الموصولة والمبدوءة بظرف. على أنه أضاف إلى هذا النوع عرضاً موجزاً لما أسماه «الجمال الإيحائية»، وهذه لا تستمد قيمتها من التشكيل اللغوي ذاته كالنوع السابق، بل من «الأعراف اللغوية الاجتماعية» التي Rigirsters التي عني بها الباحثون اللغويون والأسلوبيون الإنجليز بصفة خاصة^(١).

فاللغة في تركيباتها تنطوى على جانب يتصل بالفكر، وجانب آخر يتصل بالوجدان، وقد يطغى أحدهما على الآخر بحسب الحالة التي يكون عليها المتكلم، وحسب الظروف التي تحيط به.

وتأتي الأسلوبية لتتبع ملامح الشحن العاطفي في الخطاب بوجه العموم من حيث استخدام اللغة بشكل متجدد، يختلف إلى حد بعيد عن ذلك النمط التركيبي الذي نلمسه في الخطاب النفعي العادي، فالأسلوبية تعني بالجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية -أو ما يسميه «ج. كوهين» بالانتهاك^(٢). خروجاً على النمط اللغوي العقلاني الخالص. وتحاول قدر جهدها استكشاف الكثافة الشعورية التي يتلون بها الخطاب.

لذلك حدد «بالي» حقل الأسلوبية بظواهر تعبير الكلام، وفعل ظواهر الكلام المليئة بالإحساس.

فمعدن الأسلوبية ما نجده في اللغة من وسائل تعبيرية تبرز الملامح العاطفية والجمالية، بل إنها تكشف أيضاً عن النواحي الاجتماعية والنفسية من خلال النص الأدبي، فهي إذن تنكشف أولاً بالذات في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرز في الأثر الفني^(٣).

وكما يقول «تشوسكي» إن النقطة الأساسية التي تركزت حولها الدراسات الأسلوبية هو المظهر الإبداعي للغة، حتى على مستوى الاستعمال العادي، إن كل المظاهر لتوحى بأن الذات المبدعة تخترع لغتها -بوجه من الوجوه- كلما عمدت إلى التعبير عن نفسها، أو هي تعاود اكتشاف تلك اللغة كلما سمعت الآخرين -من حولها- يتكلمون بها، وكأنما هي قد تمثلت في صميم جوهرها المفكر نظاماً متسقاً من القواعد. وبعبارة أخرى، يمكن القول بأن كل الظواهر توحى بأن الذات المتكلمة تملك ضرباً من النحو الذي يسمح لها بابتكار لغتها الخاصة^(٤).

(١) انظر : د. شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية ١٩٨٥م ص ١٤، ١٥.

(٢) Stucture du Language Paetique - P. 100. نقلاً عن د. محمد عبدالمطلب، المرجع السابق ص ١٤٤.

(٣) عبدالسلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس ص ٢٧.

(٤) د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة ص ٧٢.

ولاشك أن كل مبدع يصل إلى مرحلة النضج يستطيع أن يفهم ثم ينتج تركيبات لانتهى، فاللغة بوسعها أن تستعين بعدد محدد من الوسائل لتنتج عدداً لايتناهى من الاستعمالات، وهذه الاستعمالات هي التي تركز عليها الأسلوبية في مظهرها الحسي، باعتبار أن الكلام الأدبي مجموعة من الجمل لها وحدتها المميزة، ولها قواعدها ونحوها، ودلالاتها، ولأسلوبيون يتعاملون مع الجملة كتعاملهم مع النص بأكمله، لأنها قابلة للوصف على مستوياتها المتعددة، من صوتية، وتركيبية، ودلالية^(١).

فالأسلوب هو طريقة المرسل في توظيف اللغة للإبانة عن الموضوع، بدءاً من الإبانة البسيطة وانتهاء الإبانة التي لا يبلغ شأوها إلا الأقلون، ومروراً بإبانات الملايين من الذين يستخدمون اللغة وسيلة إبانة.

وتحت كلمة «الطريقة» أو «الشكل» أو «النمط» أو «الصورة» تأتي دراسات لاحصر لها، منها ما يتصل بالدلالة، ومنها ما يتصل بالبنية، ومنها ما يتصل بالنبرة، ومنها ما يتصل بالجرس الموسيقي، ومنها ما يتصل بالتركيب والنحو، ومنها ما يتصل بالعلّة الباعثة، ومنها ما يتصل بالغاية.. تلك في جملتها أدوات لا بد للناقد من الإلمام بها كيما يستطيع الحكم على النتائج اللغوي أو الأسلوب^(٢).

إن الأسلوب يمكن أن نعتبره طبيعة بيانية للكتابة ذات حدود شكلية. وليست البيانية هنا بالمعنى الموروث عن البلاغة القديمة، ولكن بمعنى أن لغة الكتابة تختار لنفسها أشكالاً تتعدد بتعدد الأنواع.

فالأسلوب يرتبط بوسائل تعبيرية معينة نتجت من استعمال معجم الكلام الذي خلقت له اللغة نظاماً مرتباً، ويأتى الاستعمال ليحدث خلا في هذا النظام، بدءاً من اللغة المشتركة، ووصولاً للوظيفة المزدوجة لفن اللغة وفن الأدب.

إنه النمط الذي يتبعه المنشئ في استخدام اللغة على نحو خاص لأداء ما يقصد إليه من تصوير وإحساس. ونعني بالنمط اختيار الألفاظ بأعيانها، وطريقة تركيبها بعضها مع بعض، على النحو الذي يشاؤه، بحيث تجيء العبارة في آخر الأمر ولها هيئة خاصة، وتركيب خاص، ونمطية خاصة، يستتبع ذلك كله تصويراً وتأثيراً خاصين، بحيث نجد أن شخصين لا يمكن أن يتفقا في الأسلوب تمام الاتفاق في نقل فكرة ما. ومن ثم يمكن أن نقول إن أسلوب الرجل هو الرجل ذاته، وحيث لا تتطابق صورة رجلين ولو كانا توأماً، فإن أسلوبيين لن يتطابقا أبداً، فلا المفردات هي المفردات، ولا رصف الكلمات وترتيبها هو

(١) د. محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، ص ١٤٥.

(٢) انظر : د. عبدالرؤوف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ص ١١٥، ١١٦.

الرصيف والترتيب، ولا الشكل العام هو الشكل، وإنما هذا قصيد، وهذا مقال، وهذه رواية وتلك قصة.

إن كل واحد يصدر في لغته عن شخصيته، تلك التي تختلف من فرد إلى فرد تبعاً لاعتبارات لا يأتى الحصر عليها، فخلقة الفرد وشكله من طول وقصر وقماعة وفراغة، وما عليه حواسه من عمى أو بصر، وما يحيط به من بيئة، وما يدور فيه من نوع العيش، ورخائه وبؤسه، ونعيمه أو شقائه، وما عليه مجتمعه بحضارته وثقافته، جميع ذلك يوجه أسلوبه، تماماً كما يوجه تفكيره.

وخلاصة ذلك أن الأسلوب أثر لعوامل لايسهل عددها، بل لايمكن عددها، ففرض الكاتب حين يكتب، ومذهبه الدينى والسياسى والاقتصادى، وثقافته، وحدة طباعه، أورقة شمائله، ورضاه عن مجتمعه أو سخطه عليه، ومزاجه الخاص.. كل ذلك يتدخل في تشكيل أسلوبه^(١).

واللغة العربية من اللغات التي تتميز بعدم حتمية الترتيب في أجزاء الجملة، لكن المؤلف فيها أن نجد بعض الرتب المحفوظة - وخاصة في مجال الأسلوب الإخبارى - كتقدم المبتدأ على الخبر، والفعل على فاعله، والفاعل على مفعوله، وهى أمور تحدث فيها النحاة كثيراً في مجال التعبير المؤلف، وبالمثل أيضاً تحدثوا عن الرتب المحفوظة في التأخير، كتأخير الصلة عن الموصول، والصفة على الموصوف، والمضاف إليه عن المضاف، ومع كل هذا تتأتى مقدرة المؤلف في قلب هذه الأحوال متخبطاً لها بغية الانحراف عن النمط المؤلف، وقد يصبح هذا الانحراف يوماً نمطاً مألوفاً هو الآخر - في مثل ما أطلقوا عليه المجازات الميتة - فمستعمل اللغة يتصرف بحرية في تنظيم تراكيبه دون استسلام لاستخدام معين، ويصبح هذا التصرف الجديد خاصة أسلوبية قد تأخذ شكلاً عاماً في عصر من العصور نتيجة لجهود مبدعين متعددين، أو يكون نتيجة جهد فردى لشخصية أدبية فذة تفرض باستعمالها نمطاً في الأداء يؤثر فيمن حولها مكاناً وزماناً، كالجاحظ أو بديع الزمان وغيرهما من أصحاب الكتابة في العصور القديمة والحديثة^(٢).

إن من أهم مباحث الأسلوبية رصد انحراف الكلام عن نسقه المؤلف، أو «الانتهاك» - بحسب تعبير «ج. كوهين» - الذى يحدث في الصياغة، والذى يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب، بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته، وما ذلك إلا لأن الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين: الأول: مستواها المثالى في الأداء العادى. والثانى: مستواها الإبداعى الذى يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها.

(١) د. عبدالرؤف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) انظر: د. محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية ص ١٢٢.

والمستوى العادى هو الذى يعتمد النحو -التقديدي في تشكيل عناصره، كما يعتمد اللغة- في تنسيق هذه العناصر، وثمرة الترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استخدامهما المألوف، وهى مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية.

ورغم إدراك البلاغيين أن اللغة العربية تتميز بعدم حتمية ترتيب أجزاء الجملة تبعاً لوجود حركة الإعراب التى تحدد المعنى، فإننا نجدهم يفترضون أصلاً في التركيب يقاس إليه العدول عنه، ففى الحديث عن المسند إليه يرون أن أصله التقديم، ولامقتضى للعدول عنه إلا لأغراض حدودها ووصفوها^(١).

ويجب أن نوجه اهتماماً خاصاً إلى أن دراسة الأسلوب الفردى يجب ألا تتركز حول الأنماط المنحرفة عن الأصل فحسب، باعتبار إبداعات براقاة واضحة، بل إن دراسة الأسلوب الجارى على النسق المألوف قد يبهنا أكثر مما يبهنا النوع الأول، ولذا يجب أن نتحرى في الصياغة ما فيها من منبهات تعبيرية، لها طبيعة جمالية من ناحية، ولها طبيعة استمرارية من ناحية أخرى، كما يجب أن نتحرك وراء التكراريات التى تأخذ شكل ظاهرة أسلوبية في بعض ألوان الأداء، مما يكسب المضمون حيوية تؤثر في الشكل اللغوى، فتصبح عملية الأخذ والعطاء بينها قطب النظام الجمالى للكلام.

فمثلاً قول النابغة: (فإنك كالليل) الذى هو مدركى. يحقق مستويين دلاليين في آن واحد: لأول : قدرة الملك على الوصول إلى أى مكان بنفسه أو بعماله. الآخر: حالة الغضب والسخط التى تسيطر على هذا الملك، والتى يعيشها الشاعر.

ووجود أداة التشبيه في (فإنك كالليل) يقتضى المغايرة بين المشبه والمشبه به، أما قوله (أنت نهار) بحذف أداة التشبيه جرد النهار لوصف الملك بالخير والحياة.

الأسلوب في كتاب الضياء :

إذا انتقلنا إلى البحث في أسلوب كتاب «الضياء» وجدنا أن للعوتبي مناطق نحوية أثيرة يتحرك فيها، من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإيجاز والإطناب، والإيضاح والإبهام، ومن حيث التصريح والتضمن، وغير ذلك مما يكون له أثر في الدلالة.

١- فهو في بعض الأحيان ينتهك النظام اللغوي ويخرج على مألوفه، أو يكرر ألفاظاً بعينها من المنبهات الفنية، بما يجعل لذلك دوراً بارزاً في الدلالة.

أما من ناحية بناء العبارة فإن أسلوبه محكم البناء، تأخذ فيه الألفاظ بعضها بعجز بعض، وتتألف وتلتحم التحاماً قوياً حتى لا يوجد بين أجزاء الكلام تنافر.

(١) انظر في ذلك وغيره من أنواع العدول - مفتاح العلوم ، للسكاكي ص ٨٤ وما بعدها - المثل السائر، لابن الأثير ١٨٤/٢.

يقول مثلاً في تعريف الإسلام والكفر :

«وإجمالاً الإسلام في كلمة واحدة، طاعة الله عز وجل، وفي كلمتين طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ، وفي ثلاث، القول والعمل والمعرفة، فالقول الإقرار باللسان، والمعرفة بالقلب، والعمل بالأبدان».

ثم أوضح العوتبي الجانب المقابل لهذه الصورة، ليحدث ذلك التوازن الذي يتميز به أسلوبه، فعرف الكفر بقوله: «وإجمالاً الكفر في كلمة واحدة معصية الله، وفي كلمتين معصية الله ومعصية رسوله. والذي دعا الله إليه الخلق ثلاثة أشياء، أن يشهدوا له بالربوبية، ويخضعوا له بالعبودية، ويدينوا له بالطاعة والتوحيد. وحجة الله في الأرض العقل والاستطاعة والكتاب والسنة والرسول. والدليل على الحق الهدى والرسول والميثاق والإجماع. وأربع لولاهن لهلك الناس جميعاً، هن الوقوف والرخصة والتوبة والتقية»^(١).

تعريف الكفر يقابل تعريف الإسلام، ويتوازن مع جملة، ويتضمن كل تعريف على حدة إجمالاً ثم تفصيلاً، وقد برزت عند العوتبي ظاهرة المزج بين الفقه واللغة حيث جاء تفصيله لما أجمل على مراحل بدقة وإحكام، وتعريفه الإسلام بأنه «طاعة الله عز وجل» فيه إيجاز وقصر، حيث طاعة الله عز وجل تتضمن طاعة رسوله ﷺ، وتتضمن كذلك الإيمان والعمل، فالإيمان بالقلب، والعمل قول باللسان وعمل بالأبدان.

وفي مجال تعريف الإسلام أردف لفظ الجلالة بجملة «عز وجل»، وقد ناسب ذلك الحديث عن موقف الطاعة إذ يكون الله هكذا في قلوب المطيعين. وكذلك أورد جملة «ﷺ» بعد كلمة «رسوله»، أما في مجال الحديث عن الكفر والكافرين فلم يورد هذه الجملة، وقد ناسب ذلك موقف الكافرين من معصية وجحود.

وفي تعريفه للكفر توازنت الجملة مع تعريف الإسلام في المرحلتين الأولى والثانية، ولكنه في المرحلة الثالثة انحرف عن الخط الذي سار عليه وخرج على ذلك التوازن فناسب ذلك ما في الكفر من انحراف. ومن ناحية أخرى جاء أسلوبه طبيعياً غير متكلف، فلم يعتسف ذلك التوازن، فأثار القارئ ونبهه بكسر تلك الرتابة.

ولكنه أبقى على الرقم «ثلاثة» في هذه المرحلة الثالثة ليحتفظ بذلك الخيط الذي يربط بين الجانبين، فقال: والذي دعا إليه الخلق ثلاثة أشياء، أن يشهدوا له بالربوبية، ويخضعوا له بالعبودية، ويدينوا له بالطاعة والتوحيد».

(١) العوتبي، الضياء ج ٢ ص ٨٤.

وكانما أراد العوتبي أن تتضمن المرحلة الثالثة من تفصيل تعريفه للكفر ما يبين وجود الكافرين وضلالهم وعصيانهم.

وفي عبارة العوتبي إطناب عن طريق الإيضاح بعد الإيهام، فقد جاء المعنى مجملاً مبهماً في الجملة الأولى، فتشوقت نفس المتلقى إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فإذا جاء المعنى مفصلاً بعد ذلك «تمكن في النفس فضل تمكن وكان شعورها به أتم شعور، ولذتها بالعلم به أكمل»^(١).

ومن ذلك أيضاً قوله: «وأربع لولاهن لهلك الناس جميعاً، هن الوقوف، والرخصة، والتوبة، والتقية».

تقديم الخبر في الجملتين، وذلك للاهتمام به، وهو الأولى «حجة الله في الأرض»، وفي الثانية «الدليل على الحق»، وناسب تأخير المبتدأ أن تتوالى المعطوفات بعدة في الحالين.

ومن الإطناب أو الإجمال والتفصيل قوله «قال أصحابنا الكفر كفران، كفر وجود، وكفر نعمة، وكفر الجود هو الكفر بالتنزيل. وكفر النعمة هو الخطأ في التأويل مما تصيبه الناس ديناً وادعوا أنه الحق في مخالفتهم، فهم عندنا بذلك ضلال هالكون إلا أن يتوبوا ويراجعوا الحق»^(٢).

جاء الكلام مجملاً مبهماً في قوله «الكفر كفران»، ثم فصل ذلك وأوضحه. بالكلام الذي جاء بعده. وهذا اللون هو ما دعاه البلاغيون بـ «التوشيع»^(٣)، وهو أن يؤتى في عجز الكلام - غالباً - بمثنى، مفسر باسمين، أحدهما معطوف على الآخر.

ثم أورد العوتبي القول المخالف لقول أصحابه في أدب وتواضع، ودون طعن أو تجريح أو تشهير وتسفيه، وإنما اكتفى بإيراد الأدلة النقلية والعقلية على صحة قول أصحابه، يقول: «وأنكر مخالفونا قول أصحابنا في كفر النعمة، وقولهم إن الكفر كفر واحد وهو كفر الجود، والله يوفقنا للصواب. عن النبي (ﷺ) أنه قال: «من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد كفر أحدهما أو كلاهما». وتناول ذلك كفر نعمة لا كفر شرك. وقال (ﷺ) «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقة فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد (ﷺ)»، يعني كفر نعمة لا كفر شرك الكاهن الذي يخط على الأرض يتكهن في ذلك»^(٤).

(١) انظر: الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق لجنة من علماء الأزهر، مكتبة المتنبى، بغداد ص ١٩٥.

(٢) العوتبي، الضياء ج ٣ ص ٨٥.

(٣) انظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.

(٤) الضياء ج ٣ ص ٨٥.

ويستخدم العوتبي عبارات تفيد التواضع، ومن ذلك قوله «والله أعلم» أو «فيما علمت» وقال في الموقف الذي نحن بصدد «والله يوفقنا للصواب».

واستدل العوتبي على أن كفر الكاهن أو الساحر يختلف عن كفر من يأتيه فيصدقة عن طريق العقل، ومن ذلك أن حد الساحر القتل، وليس كذلك من يأتيه ويصدق.

٢- تصوير المعاني التي يتناولها فيجعلها مشخصة ماثلة أمام الأعين:

ومن أمثلة ذلك تشخيصه العلم على سبيل الاستعارة المكنية، يقول:

العلم ذو مفاضل كثيرة فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وفهمه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله سعة المعرفة، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره سعة الرأي، ومحلّه الإنابة، وسلطانه العدل، ومملكته القناعة، ورئيسيه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلام، وسيفه الرجاء، وقوسه القناعة، وسهمه المحبة، ورمحه التقوى، وفرسه المداراة، وجيشه المشورة، وماله الأدب، وحره المكابدة، وذخيرته التوبة، وزاده المعرفة، ومأواه الموادة، ودليله الهدى، ورفيقه مودة الأخيار^(١).

٣- في الأحكام الفقهية اليقينية فيما يتصل بالحلال والحرام يأتي أسلوبه قاطعاً، في لغة تقريرية، مستخدماً أفعالاً محددة مثل: يجب، أو يجوز، ولا يجوز، ومن ذلك قوله: «والصلاة تجب على من حصل منه الإيمان»^(٢) وقوله «والإقامة سنة، وهي كالأذان، لازيادة فيها إلا قوله: قد قامت الصلاة مرتين، مثني مثني»^(٣) وقوله: «ولا يكون المؤذن إلا ثقة أميناً»^(٤)، وقوله: «ولا يجوز أذان المرأة ولا إقامتها»^(٥)، وقوله: «ولا يجوز أن يغتصب المسجد، وليس لمغتصبه أن يصل فيه»^(٦)، وقوله: «جائز أن تستعمل بئر المسجد لغسل الثياب وسقى الدواب وكذلك دلوها»^(٧).

أما في المسائل الأخرى فإن أسلوبه يأتي منبسطاً فضفاضاً مستقصياً كل رأى، موضعاً الرأى الذي يوافقه. فإذا كان الاتفاق هو الأظهر بدأ بما اتفق عليه سواء كان بين العلماء بصفة عامة أو بين أصحابه، ومن ذلك قوله: «أجمعت العلماء أن النبي (ﷺ) صلى بأصحابه عند الكعبة خلف مقام إبراهيم، وجعل المقام بينه وبين الكعبة، وصف أصحابه خلفه صفوفاً مستديرة كالحلقة»^(٨).

(١) الضياء ج ١ ص ٥٣.
(٢) المرجع السابق ص ١٣٦.
(٣) المرجع نفسه ص ٦٥.
(٤) المرجع نفسه ص ٣٦.
(٥) المرجع نفسه ص ٤٢.
(٦) المرجع نفسه ص ٩.
(٧) المرجع نفسه ص ٦٤.
(٨) المرجع نفسه ص ٩.

ويقول: «اتفق أصحابنا -فيما علمت- أن عدد الأذان الذي جاءت به الرواية خمس عشرة كلمة»^(١).

وإن كان الاختلاف هو الأظهر يبدأ بذكر الخلاف، ثم ينتهي في النهاية إلى القول الذي يوافقه مؤيدا بالأدلة والحجج. يقول مثلاً: «اختلف الناس في معني قول النبي ﷺ: «المؤمنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»^(٢).

(١) الضياء ج ٥ ص ٦٢.

(٢) الضياء ج ٥ ص ٥٧.

ثالثاً : اللغة :

جمع العوتبي بين علوم اللغة والاشتقاق، والتبحر في اللفقه وعلومه، ومزج معرفته اللغوية بالمعرفة الفقهية، فعرف المعانى التى تحدث عنها، وعرف مقابلها، ووظف المعنى اللغوى فى الاستدلال على المعنى الفقهى أو الحكم الشرعى.

بدأ العوتبي باب «فى شىء من الأصول» بتعريف الأصل والفرع، يقول: «الأصل ما عرف به حكم غيره، والفرع ما عرف حكمه بغيره، وقيل الأصل مقدمة العلم، والفرع نتيجة، والواجب على من أراد الفقه أن يعرف أصول الفقه وأمهاته، فيكون بناءه على أصول صحيحة، ليجعل كل حكم فى موضعه، ويجريه على سنته، وليستدل على معرفة ذلك بالأدلة والاحتجاجات الواضحة، لأن لا يسمى العلة دليلاً ولا الدليل علة والحجة علة، وليفرق بين معانى ذلك ليعلم افتراق حكم المقترق واتفاق المتفق»^(١).

ويصل من تعريف «الأصل» ومقابله «الفرع» إلى حكم فقهي وهو وجوب معرفة أصول الفقه على من أراد الفقه.

ويعرف المال فيقول: «والمال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وقيل سمي المال لأنه مياال. ويقال رجل مائل إذا كان ذا مال. وليس فى كثرة المال فضيلة، ولو كان فضيلة لخص الله تعالى بها من اصطفاه لرسالته واجتباها لنبوته، وقد كان أكثر أنبياء الله تعالى عليهم السلام وأوليائه فقراء لا يجدون بلغة حتى صاروا مثلاً فى الفقر... ولعدم الفضيلة فى المال منحه الله الكافر وحرمه المؤمن... والمال لا يفرح به عاقل، ولا ينتفع به جاهل، لأنه يبيد فيما يبيد، ولا يفيد -أيضاً- حمداً عاجلاً، ولا نخرأ أجلاً»^(٢).

اتخذ العوتبي التعريف اللغوى للمال دليلاً على عدم فضيلته، إضافة إلى دليل آخر، عقلى وهو أن الله تعالى لم يخص به من اصطفاه لرسالته، فقد أكثرهم فقراء.

وقد وظف العوتبي المعنى اللغوى فى الاستدلال على المعنى الفقهى، ومن ذلك استدلاله على تحريم الخمرة بكتاب الله تبارك وتعالى فى قوله: «إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق»^(٣)، يقول العوتبي: «فالخمرة تحريمها بكتاب الله تبارك وتعالى فى قوله «والإثم»، فالإثم ضرب من الخمر، ويدل على ذلك قول الشاعر:

(١) الضياء، ج ٣ ص ٧.

(٢) الضياء، ج ١ ص ٦٥.

(٣) الضياء، ج ٤ ص ١٧٩.

شربت الإثم حتى ضل عقلي

كذلك الإثم يذهب بالعقول

ومن ذلك أيضا استدلاله على وجوب دنو المصل من السترة، يقول: «ومن صلى إلى سترة فليدن منها، لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا صلى أحدكم إلى شيء فليرهقه»، وقد فسر العوتبي قول النبي ﷺ «فليرهقه» بمعنى فليغشه وليدن منه ولا يبعد منه، مستدلاً على ذلك بالمعنى اللغوي لكلمة «رهق» واستعمال العرب لها «يقال: رهقت الشيء وأرهقته شراً، إذا غشيته إياه. وقال الله عز وجل ﴿وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرٍ﴾» (١)، أى لاتغشني. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ (٢)، أى لا يغشى. وأرهق فلان الصلاة إذا أخرها حتى يدنو من الأخرى. وقد أرهقتني الصلاة إذا دنا وقتها فخفت أن تفوتك، وأرهقت فلانا، أعجلته. ومثله قد أرهقني بولي، ورجل مرهق، وملحق، ومدرک، ومستلحق، قد لحقته الخيل. وتقول قد أرقناهم الخيل فهم مرهقون، أى الحقناهم الخيل فهم ملحقون. وأرهقتهم أمراً صعباً أى حملتهم عليه» (٣).

وكما استعان العوتبي بالمعنى اللغوي على الوصول إلى المعنى الفقهي، استدل بالمعنى الفقهي على صحة المعنى اللغوي، فقال في تعريفه للصلاة: الصلاة من طريق اللغة الدعاء، قال الله جل ذكره: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلْ عَلَيْهِمْ﴾ (٤) أى ادع لهم. وقوله تعالى: ﴿وَصَلَّاتِ الرَّسُولِ﴾ (٥) أى دعاء الرسول. وأما الصلاة الشرعية فهو ما ضم إلى الدعاء من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك مما وقف الرسول ﷺ وبينه من مراد الله تعالى بقوله «أقيموا الصلاة».

يقول العوتبي بعد ذلك: «ويدل على أن الصلاة دعاء من طريق اللغة أن الصلاة على الميت دعاء ليس فيها ركوع ولا سجود والله أعلم» (٦).

ويورد بعد ذلك كثيراً من الاستشهادات من أقوال العرب (شعرا ونثرا)، ومن القرآن والحديث، مما وردت فيه «الصلاة» بمعنى الدعاء أو بمعان أخرى مثل الرحمة.

وكثيراً ما يتطرق العوتبي إلى شرح معنى كلمات وردت في النص المستشهد به، وذلك خدمة للمعنى الأصلي الذي يكون بصده ومن أمثلة ذلك أنه أثناء تعريفه القبلة وتعليل تسمية الكعبة قبلة، استشهد بقوله تعالى «فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام»، فتطرق إلى شرح كلمة «شطر» في سبيل توضيح معنى القبلة،

(١) التوبة / ١٠٣.

(٢) الكهف / ٧٣.

(٣) التوبة / ٩٩.

(٤) يونس / ٢٦.

(٥) الضياء ج ٥ ص ٧٩.

(٦) الضياء ج ٥ ص ١٧.

يقول: «قيل شطره جهته في كلام العرب. والشطر والجهة والتلقاء والتجاة والوجه لغتان، والقصد والنحو كله بمعنى وإن اختلفت الألفاظ. قال الشاعر حقائق بن بديه :

ألا من مبلغ عمسرا رسولا

وما تغنى الرسالة شطر عمرو

وقال ساعده بن جويه :

أقول لأم زنباع أقيمي

صددور الخيل شطر بني تميم

وقال لقيط الإيادي :

وقد أظلكم من شطر ثغركم

هول له ظلم تغشاكم قطعاً

وقال الهذلي :

إن العشير تهادى في مجامرهما

فشطرهما نظر العينين مسجور

فإذا وجد العوتبي ألفاظاً غامضة شرح معناها لتتضح دلالة الشاهد على المعنى الذى أورده له. ولذلك شرح ألفاظ بيت الهذلي فقال: «ويروى مسحور» فبالحاء «الغائب»، وبالجيم «المنقطع». يريد تلقاءها نظر العين، ونحوها جهتها. «والعشير»: ناقة صعبة لم تركب. قال المفضل: العشير ناقة. «مجامرها»: فخالطها. وشطرها: نحوها. ومسجور: ضعيف. «والشطر أيضا النصف، وشطر كل شيء نصفه، وقولهم رجل شاطر: معناه فى كلامهم الخبيث، أو المباعد من الخير، أخذ من قولهم: نوى شطر أى بعيد»^(١).

ثم يعود إلى الموضوع الأصيل فيربط به الكلام السابق، حيث يقول: «وقال أبوعبيدة الشاطر معناه فى كلامهم الذى شطر نحو الشيء وأراده، من قول الله «قول وجهك شطر المسجد الحرام» معناه نحو المسجد الحرام. وشطر فلان على أهله، أى تركهم مخالفاً أو مرغماً، ويقال شطر فلان شطورا، وعطورة، وشطارة، وهو الذى أعيا أهله، ومن يود به خبثاً»^(٢).

(١) العوتبي ، الضياء ج ٥، ص ٦.

(٢) الضياء ج ٦، ص ٦.

عاد العوتبي فجعل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام شاهداً على معنى كلمة «شطر» في كلام العرب، وكانت في أول كلامه مستشهداً إليه.

وأسلوب العوتبي يعتمد على الحوار والتواصل بينه وبين القارئ فكثيراً ما يخاطب القارئ، ويدعو له، أو يدعو لنفسه، وهو في حوار مع القارئ يعتمد على الجدل وفرض الفروض والرد عليها، يقول مثلاً: فإن قال قائل كذا.. قلنا له كذا، وإن قيل كذا.. قلت كذا.

دقته في عناوين أبوابه، فهي تأتي في الغائب مجرورة بحرف الجر (في)، فتأتي هكذا: «في العلم»، «في الكلمة»، «في آداب العلماء»، «في إخراج الزكاة»، «في العقل»، «في التوحيد»، «في القياس»، «في الدين». وحرف الجر هنا أضاف معنى التبويض، وذلك في المعاني العامة التي يشعر المؤلف أنها أكبر من أن يحيط علمه وتأليفه بها.

أما عندما يتصل الأمر بالأحكام الشرعية من حديث عن الحلال والحرام فإن عناوين أبوابه وفصوله تأتي قاطعة محددة خالية من حرف الجر، ومثال ذلك: باب وجوب التكليف. وبابا ما يجوز من الصفات حقيقة ومجازاً. وباب ما لا يجوز من الصفات. وباب ما لا يسع جهله، وباب ما يسع جهله. وباب ما يجب للمسلم على المسلم. وفصل الواجب على العبد عند أول أحوال التكليف. وباب ما ينقض الصلاة. وباب ما لا ينقض الصلاة. وباب الاثم والوزر، وباب الهدى والضلال. وباب الجزية وأحكامها. وباب ما يحرم من النكاح.. إلى غير ذلك.

ولغته في الأبواب الأخيرة قوية صارمة، فأسلوبه تقريرى، وجمله إخبارية، والقواصل فيها قصيرة، ويستخدم دائماً عبارات: يجوز للمسلم كذا..، ولا يجوز له كذا، ويحرم عليه كذا.. وغير ذلك من العبارات التي تحمل الحل والحرمة، أو الجواز وعدمه، أو الإباحة، أو الكراهة.

وكثيراً ما يبدأ كلامه في الأبواب والفصول المتعلقة بالأحكام الشرعية بآية أو حديث يجعله أساساً ينطلق منه، فباب «ما يعتق به العبد من قول مولاه أو فعله وما لا يعتق به» يبدأ بقوله: «روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة»^(١).

وباب «ما يحرم من النكاح بالرضاع وما لا يحرم منه» يبدأ بقوله: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(٢).

(١) سنن الترمذى، مصطفى الحلبي ص ١١٨٤، وسنن أبي داود ص ٢١٩٤، وسنن ابن ماجه، عيسى الحلبي ٢٠٣٩.

(٢) مستند أحمد بن حنبل ١: ٢٣٩، والسنن الكبرى للبيهقي ٤٥٢: ٧، المعجم الكبير للطبراني ٩٤: ٢.

وباب «في العتق وأحكامه» يبدأ بقوله: قال الله تبارك وتعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة. فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾^(١).

وباب «في المكاتب» يبدأ بقوله: قال الله عز وجل: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾^(٢).

يستخدم كثيراً الألفاظ التي تحمل معنى التوضيح والهداية وأدواتها، فسمى كتابه في الفقه «الضياء»، وعلل ذلك في مقدمته قائلاً: «لأستصبح بضياءه مهتدياً، وأصبح بما فيه مقتدياً»^(٣).

دارت ألفاظه في عبارته حول معنى الضياء ومصدره أو نتيجته، فنجد الأفعال «أستصبح» و«أصبح» والأسماء مثل «ضياءه» و«مهتدياً» و«مقتدياً». ونلمح الربط الرقيق بين الاستصباح والضياء والاهتداء.

وسمى معجمه اللغوي «الإبانة»، وسمى كتابه في الأنساب «موضح الأنساب»، معللاً ذلك بقوله: «ليكون أوضح دلالة وأسهل طلباً لقارئه والناظر فيه»^(٤).

ويتضح من كتاب «الضياء» علم صاحبه بالنحو والصرف اللذين وظفهما العوتبي في الفقه، يقول في باب الاستعاذة: «أعوذ بالله فعل مضارع، علامة مضارعة الهزة في أوله، والمضارع: هو يعوذ، فعل مضارع من «عاذ»، وهو فعل معتل لأن عين الفعل واو، والأصل فيه «أعوذ» فاستقلوا الضمة على الواو، فنقلت إلى الغير، فصارت «أعوذ» فالهمزة في أعوذ إخبار عن النفس: أعوذ أنا، والياء للغائب: يعوذ، والتاء للمؤنثة الغائبة: تعوذ هي. وللمخاطب: تعوذ أنت يارجل، ويعوذ فعل مضارع يصلح لزمانين، للحال والاستقبال، والماضي لا يصلح إلا لزمان منقوض قرب أو بعد، فإذا أدخلت على الفعل المضارع سينا أو سوف أزالته إلى الاستقبال لاغيره، وعوذا مصدر، وإن شئت قلت معاذاً أو عياداً أو عوذة وعياداً، كل ذلك صواب. وعائد اسم الفاعل، واسم المفعول معوذ به، والأمر عذ للمذكر وعوذى للمؤنث، وعوذا للثنتين، وعوذوا للرجال، وعذن للنسوة. وعن الفراء قال: العرب تقول: نعوذ بالله من وطأة الذليل، أي أعوذ بالله من أن يطأني الذليل. ويقول معاذ الله من ذلك، ومعاذ الله من ذلك، وعائد بالله من ذلك، وعن الكسائي أن الحسن قرأ: وقل رب عائد بك من همزات الشياطين، وعائد بك أن يحضرون. معناه: أعوذ بالله من ذلك. وعن الفراء أن العرب تضرب مثلاً أول من قال ذلك سليك بن السليكة: اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة، فالخيبة الفقر، ومعنى هيبة أي أن لا أهاب

(١) البلد / ١١، ١٢، ١٣.

(٢) الضياء، ج ١ ص ١٦.

(٣) موضح الأنساب ص ٧.

(٤) النور / ٣٣.

أحدًا. وقال الخليل: ومعنى معاذ الله أعوذ بالله. وفي الحديث قال: قال النبي ﷺ لرجل يقول: أعوذ بالله «لقد عذت معاذًا»، ومنه الإعانة. والتعوذ والتعوذ والعوذة هي المعانة التي يعوذ بها الإنسان من فرح أو جنون. والعرب تستعيز بالله من شيء تكرهه وتكرهه^(١). واستدل العوتبي على ذلك بالعديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ وأشعار والشعراء.

وقد يتساءل متسائل، وما قيمة كل هذه التصريفات والاشتقاقات للفعل «عاذ» في هذا المجال؟

والحقيقة أنها كبيرة الأهمية لمعرفة ألفاظ الاستعانة واشتقاقاتها ومعانيها، لأن الاستعانة قول، والمتعوذ محتاج لمعرفة كل ذلك حتى يستخدم أيها شاء أو استطاع، ويفهمها على وجهها الصحيح إذا سمعها، فلا ينكرها.

ويلاحظ من النص السابق علم العوتبي بالنحو وبالإعلال والإبدال والإسناد إلى الضمائر والاشتقاق اللغوية، ويلاحظ علمه كذلك بالقراءات، إضافة إلى علوم اللغة وأقوال العلماء في ذلك.

وتطرق بعد ذلك إلى نكتة لغوية، وهي أن «الاستعانة في العدد خمس كلمات على عدد اسم المستعاذ منه وهو الشيطان، لأنه شين وياء وطاء وألف ونون، فهذه خمسة»^(٢). استدل على أن اسم الشيطان خمسة أحرف وليس سبعة بأن الألف واللام تثبتها العرب تحذفها، وأورد الأدلة على ذلك من أقوالهم شعرا ونثرا.

وشرح العوتبي معنى كلمة (أعوذ) وكلمة (شيطان)، ثم تطرق لما تعوذ منه النبي ﷺ. روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يتعوذ من البخل والجبن والهرم وفتنة الرجال وعذاب القبر والكسل.

وعاد إلى الإعلال والإبدال فشرح سبب فتح نون حرف الجر «من» في «من الشيطان» لتلاشي النقاء الساكنين، وقارن بينهما وبين «عن الشيطان» من حيث سبب فتح النون في الأولى وكسرها في الثانية، بأنهم اختاروا الفتح في «من» لانكسار الميم، واختاروا الكسر في «عن» لانفتاح العين^(٣).

ويظهر إلمامه بعلوم البلاغة، وذلك في مناقشته للمسائل وتحليل الآراء فيها، ومن ذلك رده على من الكلام على ظاهره في قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٤). فرأى أن الاستعانة تكون بعد القراءة، معتمداً على أن الفاء للتعقيب.

(١) الضياء ج ٥ ص ١٦١.

(٢) الضياء ج ٥ ص ١٦١.

(٣) انظر: الضياء ج ٥ ص ١٦٦.

(٤) النحل/٩٨.

رد العوتبي على ذلك فقال: «والجواب عن ذلك أن تقدير الأمر إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، وتكون الفاء معناها تباين الحال»^(١) واستدل على ذلك بأقوال البلاغيين في هذا الشأن، وبآيات أخرى من القرآن الكريم وقع فيها هذا التقدير كقوله تعالى: «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم»^(٢).

وفي الآية إيجاز وهو ما يسمى في البلاغة العربية «إيجاز الحذف» وهو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر، من غير أن يختل المعنى، مع وجود قرينة تعين المحذوف^(٣). وقد دل العقل على الحذف وتعيين المحذوف، وفي ذلك اكتفاء بالمسبب (القراءة) عن السبب (الإدارة)، وفي ذلك إشارة إلى أن الاستعاذة تكون قبل القراءة مباشرة وليس لمجرد الإدارة.

مزج العوتبي المعرفة اللغوية بالمعرفة الفقهية، فكانت له وقفات فيما يتصل بعلوم اللغة بما يخدم الموضوع الذي يتناوله، فكان لغويا في فقهه، فهو في كتابه الفقهي «الضياء» لم ينس أنه لغوى، فعرف المعانى ومقابلها واستقصى معانيها، وفسر كل لفظة غريبة وردت في كتابه، يقول العوتبي في ذلك: «وقد فسرت جميع ما ذكر في هذا الكتاب من لفظ غريب ومعنى عجيب ليكون مستغنيا. بتفسيره عن الرجوع فيه إلى غيره، على أن الغرض المقصود به والغرض الموضوع له هو الفقه»^(٤).

وقد تساءلت ألا يمكن أن يكون ما أورده من معان لغوية في هذا الكتاب تكراراً لما هو موجود في معجمه «الإبانة» فعمدت إلى بعض المواد اللغوية التى تناولها في «الضياء» وراجعتها مع المادة نفسها في «الإبانة» فوجدت الفرق كبيرا بينهما، إذ لم يأخذ من اللغة إلى الفقه إلا ما يفيد ولم يأخذ من الفقه إلى اللغة إلا بالقدر المناسب، فهو وإن كان لغويا في الفقه، أو فقيها في علوم اللغة، فإن أحدهما لم يطغ على الآخر في مجاله، فهو يأخذ من كل جانب إلى الآخر بالقدر الذى يخدمه ولا يطغى عليه. ويتضح ذلك من الملحق الذى أثبتته في نهاية البحث لمادتين من كتابه «الضياء» ومعجمه «الإبانة».

ويظهر أثر علمه باللغة في أحكامه الشرعية، وفي معالجته لمختلف المسائل في العقيدة، يقول مثلاً: «ولا يوصف تعالى بأنه «مؤمن» لأن أليقين هو العلم الذى يستدركه العالم بعد الشك والارتياح، أو بعد أن لم يكن يعلم، فيكون قد أثقن بذلك بعد أن كان فيه شاكاً، فلما لم يجز أن يكون الله تعالى يعلم من بعد شك لم يجز أن يقال إنه مؤمن»^(٥).

(٢) المائدة/٦.
(٤) الضياء ج ١ ص ١٧.

(١) الضياء ج ٥ ص ١٥٨.
(٣) انظر: الإشارات والتنبيهات ج ٢ ص ١٤٤.
(٥) الضياء ج ٢ ص ٣١.

ويقول: «ولا يوصف تعالى بأنه «يفهم» الأشياء كما يوصف بأنه يعلمها، لأن الفهم هو العلم بمعنى الكلام الذى يسمعه حتى يكون إذا سمعه لم يخف عليك^(١) معناه... ولا يوصف تعالى بأنه «كامل» لأن الكامل منا هو الذى تمت أبعاضه، والناقص هو الذى نقصت أبعاضه عن أبعاض الكامل منا، وكذلك الكامل فى خصاله منا نحو كمال الرجل فى علمه وعقله ورأيه وقوته وفصاحته وسماحته إنما يصير بهذه الخصا كاملا لتكامل خصاله هذه وتامها، ويكون ناقصا عن حد الكمال بنقصان هذه الحال، فلما كان الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يوصف بالأبعاض لم يجر أن يوصف بالكمال فى ذاته ولا بالنقصان، ولما لم يجر أن يشرف بأفعاله لم يجر أن يوصف بالكمال من جهة الأفعال كما يوصف الإنسان بذلك»^(٢).

وإلى جانب اعتماده على المعنى اللغوي فى نفي هذه الصفات عن الله - سبحانه وتعالى - نجد أنه اعتمد كذلك على العقل، فاستخدم الاستدلال المنطقي فى عدم جواز نسبة هذه الصفات لله تعالى.

ومن ذلك أيضا قوله: «ولا يوصف تعالى بأنه «بليغ»، ولكن يوصف كلامه بأنه بليغ، لأن البلاغة إنما هى للقول على الحقيقة لا للقائل... ولا يوصف تعالى بأنه «نبيل» لأن النبيل عند أهل اللغة إنما هو الحسن والجمال مع صيانة النفس وتكامل الخلال المحمودة، فلما كان الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه الأحوال، ولم يجر أن يفضل وأن ينبيل بأفعاله، ولا يتكامل بالخلال كما ينبيل النبيل منا، لم يجر أن يوصف بأنه نبيل»^(٣).

(١) هنا التفتت لطيف من ضمير الغيبة إلى الخطاب من أجل تنبيه القارئ أن هذه الصفات للبشر فلا يظن أن ضمير الغائب يعود على الله سبحانه وتعالى، وإنما يقصد به الإنسان، والمخاطب منهم.

(٢) الضياء ج ٢ ص ٢٢، ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٣٦، ٣٨.

١- مادة «ق ب ل»

أ) في كتاب «الضياء» :

القبلة مأخوذة من القبالة، وهي المحاذاة والمقابلة، ويقال منازل فلان قبالة كذا وبحدائهما، ويقال أيضا هو قبل له، إذا كان موازيا له متوجها إليه ومقابلا له. قال الشاعر: «إذ لاح سهيل كأنه قبل». واستقبل فلان القبلة، إذا وقف بحدائها. وكان القبلة في كل بقعة سميت بذلك لأنها بحداء الكعبة. ويقال الكعبة نفسها قبلة لأنها قبلة لاهل الأرض، وسميت بذلك لأن من استقبلها فهو متوجه إلى الله عز وجل. قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَنُؤَلِّيكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١) فسميها قبلة. وقال بعضهم سميت قبلة لأن الله عز وجل يتقبل صلاة من يتوجه إليها، فكانها فعلة من قبل، يقبل، قبلة وقبولا، كما تقول جلس، يجلس، جلسة، وجلسوا، وقعد قعدة وقعوداً. ومنه قوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل شطره جهته في كلام العرب. والشرط والجهة والتقاء والتجاء والوجه لغتان، والقصد والنحو كله بمعنى وإن اختلفت الألفاظ^(٢).

واستمر العوتبي بعد ذلك في شرح معنى كلمة «شطر» مستدلا بكلام العرب خدمة للموضوع الأصلي وهو شرح معنى القبلة.

ويعود مرة أخرى إلى مادة «قبل» فيذكر ما وردت فيه من آيات وأحاديث، ولكنه يقتصر على ما كان منها متصلا بمعنى القبلة.

ب) في معجم الإبانة :

تقول هو من قبل أي ومن أمامه، من دبر أي من خلفه، وفي القرآن ﴿وَوَقَدْتُ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أي من خلفه، ومن قبل أي من أمامه ويجمع في هذا الموضع على الإقبال والادبار. وسأل رجل الخليل عن قول العرب كيف أنت لو أقبل قبلك فقال أراه مرفوعاً، لأنه اسم وليس بمصدر كالقصد والنحو وإنما هو كقولك: كيف أنت لو استقبل وجهك بما تكره. والقبل الطاقة، قال الله تعالى: ﴿فَلَنَاتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّاقِبِلٍ لَهُمْ بِهَا﴾ أي لاطاقة لهم بها وقال الكميث:

ومرصد لك بالشحناء ليس له

بالحل منك إذا أوضحت له قبل

(١) البقرة / ١٤٤.

(٢) الضياء ج ٥ ص ٥.

وفي موضع آخر هو التلقاء، تقول رأيته قبلا. أى مواجهة، وأصبت هذا من قبله أى من تلقائه، أى من لدنه، وليس من تلقاء الملاقاة، ولكنه فى معنى من عنده، والقبل أن ترى، الهلال أول ما ترى تقول رأيته الهلال قبلا والقبل: اليسر من الأرض يستقبلك تقول رأيته شخصاً بذلك القبل. والقبل أن يتكلم الرجل بالكلام ولم يستعد له فى الكفالة به فهو يقبل قبالة، ويقال من يقبل بكاء من يكفل بك، قال الشاعر :

إن كفى لك رهن بالرضى

فأقبل يا هند قالت قد وجب

وقوله تعالى ﴿وحشرنا عليهم كل شيء قبلا﴾ أى قبلا قبلا، وفسر بعضهم عيانا يستقبلونك كذلك. وكل جيل من الناس والجن قبيل، وقوله تعالى ﴿هو وقبيلة﴾ أى من كان من نسله، والقبل رأس كل شيء مثل الجبل والأكمة وكثير الرمل وتحوه. وقبالة كل شيء ما كان مستقبل شيء فهو قبالة وهو مقابله، ومن الجيران مقابل ومدابر. قال الشاعر:

حمتك نفسى ومعى جاراتى

مقابلاتى ومدابراتى

والقابلة اللبلة المقبلة، وكذلك اليوم القابل والعام القابل، وهو المقبل ولا يقولون منه فعل فعل، والقابلة المرأة التى تقبل الولد عند الولادة، والجميع القوابل، والقبول من الرياح هي لصبا لأنها تستقبل القبلة، وتستقبل الدبور، وهي تهب مستقبل القبلة من المشرق، وتصير إلى الغرب قال الشاعر:

فإن تمنع سدوس درهميهـ

فإن الريح طيبة قبـول

والقبول أن يقبل العفو والعافية، وهو مصدر تقول يقبلها قبولا بفتح القاف. وتقول تقبل الله منك وعنك عملك قبولا، وتقبلا، قال الله تعالى: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ والقبل فى وعين إقبال السواد على الحجر، وقيل إذا أقبل السواد على الأنف فهو أقبل، وإن أقبل على الصدغين فهو أحرز. والفعل أقبل يقبل قبلا، وامرأة قبلا وعين قبلا. وتقول فعل هذا من ذى قبل أى من استيناف، ورجل مقابل فى الكرم والشرف من قبل أخواله وأعمامه، ورجل مقببل الشباب لم يرفيه أثر من الكبر بعد، قال الشاعر:

ليس بعلى كبير لانساب لهـ

لكن أثيلة صافى الوجه مقبـل

قال الأصمعي: كل كبير السن صغير الجرم على واصل ذلك القرار، والعل القراد الضخم والعل من الرجال الذي يزور النساء. ورفع أثيلة على طلب الهاء على معنى لكنه أثيلة.

وقبيل القوم القيم بأمرهم للسلطان وغيره، ومصدره القبالة وضمائه القبالة وكل كتاب بين قوم بقبالة أو مقاطعة فهو قبالة قبل عقيب بعد، فإذا أفردوا رفعوا فقالوا قبل كقوله -تعالى- ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ رفعاً بغير تنوين، لأنهما غايتان، فإذا أضفتها إلى شيء نصبت تقول جاءنا قبل زيد تادم وبعد خارج إذا وقعتا موضع الصفة، فإذا القيت عليهما من صاراً من حد الأسماء، كقولك من (قبل زيد) (ومن بعد عمرو) قصار من صفة وخفض قبل وبعد لأن (من) حرف خفض، وإنما صار «قبل» منقاداً لمن متحولاً من الوصفية إلى الإسمية، لأنه يجتمع فيه صفتان وعليه من لاى من فى صدر الكلام فقلت جيتك قبل عبدالله وجاءنى قبل زيد أو كان هذا من قبل ذاك، فإذا لم تضيف ولم تستعمل من مع الإضافة فسبيلة الدفع كقوله تعالى: «لله الأمر من قبل ومن بعد» لأنهما غايتان ليس وراءهما شيء. وقبل الأول وبعد الآخر، والآخر ضد الأول والآخر سوى الأول، وتقول جاءنى رجل ورجل آخر، والآخر دون الرجل الأول»^(١).

(١) معجم الإبانة، مخطوط وزارة التراث القومي والثقافة ص ٤٤٦ - ٤٦٩.

٢- مادة «ش ن ع»

(أ) في كتاب «الضياء» :

عندما وردت كلمة (شنع) في كلام العوتبي عن مخالفيه استطرد في شرح معناها ليوضح ما تحمله الكلمة من معنى القبح ليؤكد قبح المخالفة، يقول: «ذكر شيء من شنع مخالفينا والذي جازوا به عن الصواب»

والشنع هو (القيبح)، و(الشنع) و (الشناعة) و (الشنوع) كل ذلك من قبح الشيء الذي يستشنع إذا قبح، يقول شنع الشيء، فهو يشنع إذا قبح، وقال القطامي:

ونحن رعيّة وهم رعاعة

ولولا رعيهم شنع الشنار

ونسخة (شنع) بضم النون، والشنار هو العار. و (شنع) الخلق وأشنع، وقصة شنعا، أي قبيحة، وأمور شنع، وقال وفي الهام منها مطرة وشنوع، أي قبح واختلاف يتعجب منه، وتقول (رايت أمراً شنعت به شنعاً) أي استشنعته. وقال مروان بن الحكم:

فروض إلى الله الأمبور فإننه

سيكفيك لايشنع برأيك شانع

وتقول: (شنعت) على فلان هذا الأمر شنيعاً، وقد استشنع بفلان جهله^(١).

وبعد هذا الشرح لمعنى كلمة «شنع» أورد العوتبي مخالفات مخالفينهم ورد عليها وقدم أدلته.

(ب) في معجم «الإبانة» :

شنع فلان على فلان أي أخبر بأمر قبيح شديد عظيم، وتقول شنعت على فلان هذا الأمر تشنيعاً، وقد استشنع بفلان جهله. وكلام العرب أمر أشنع، وخصلة شنعا، إذا كانت شديدة عظيمة. قال:

أناس إذا ما أنكر الكلب أهلهم

حموا جارههم من كل شنعا مضلع

(١) العوتبي، الضياء ج ٣ ص ١٩٢.

معناه إذا لبسوا السلاح وتقنعوا به فأنكر الكلب صاحبه منعوا جارهم من أن ينزل به أمر شديد عظيم. ويقال ضلعنى الأمر إذا غلبنى واشتد على، والشنع والشناعة والشنوع كله مثل قبح ما يستشنع إذا قبح، قال القطامى:

ونحن رعيّة وهم رعساء

ولولا رعيهم شنع الشنار

الشنار هو العار، وقصة شنعاً أى قبيحة، قال وفى الهام منها نظرة وشنوع أى قبح واختلاف يتعجب منه. وتقول رأيت العام أمراً شنعت به شنعاً أى استشنعته^(١).

ونلاحظ اتفاقاً إلى حد ما بين الكتابين فى المادة الثانية، وذلك لأن المادة لها معنى واحد ووجه واحد فى الاستعمال، أى حقلها الدلالي واحد.

(١) العوتبي، الإبانة ص ١٤٩.

المصادر والمراجع

١- مصادر ومراجع عربية :

- ابن الأثير (نصرالله محمد بن عبدالكريم أبوالفتح ضياء الدين)، المثل السائر، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوى طبانة، نهضة مصر، الطبعة الأولى، الجزء الثالث.
- البطاشى (سيف بن حمود)، إتحاف الأعيان فى تاريخ بعض علماء عُمان، مسقط، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- الترمزى (أبويعسى محمد بن سورة)، سنن الترمزى، تعليق عزت عبيد الدكاس، مطابع الفجر الحديثة، حمص ١٩٦٨م.
- الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، طبعة البابلى الحلبي، القاهرة ١٩٤٥م، الجزء الثالث.
- الجرجاني (عبدالقاهر)، ولائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانكي، مصر ١٩٨٤م.
- حماسة (د. محمد)، النحو والدلالة، مطبعة المدينة، مصر ١٩٨٣م.
- الخطيب القزوينى (جلال الدين أبوعبدالله محمب بن عبدالرحمن)، الإيضاح، تحقيق لجنة من علماء الأزهر، مكتبة المتنبي، بغداد، د.ت.
- الرماني (أبوالحسن على بن عيسى)، النكت فى إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
- زكريا إبراهيم (دكتور)، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة.
- الزمخشري (محمد بن عمر بن محمد)، أساس البلاغة، دار الشعب، القاهرة ١٩٦٠م.
- السكاكى (أبويعقوب يوسف بن أبي بكر) مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية، مصر ١٣١٧هـ.
- الشايب (أحمد)، الأسلوب، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- شكرى عياد (دكتور)، اتجاهات البحث الأسلوبى، دار العلوم للطباعة والنشر، السعودية ١٩٨٥م.

- شفيغ السيد (دكتور)، الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦م.

- صلاح فضل (دكتور)، نظرية فى النقد الأدبى، الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)، الصناعاتين، تحقيق محمد على البجاوى والدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابى الحلبي، القاهرة.

- العوتبي (سلمة بن مسلم)، الضياء، وزارة التراث القومى والثقافة، مسقط ١٩٩١م
الأجزاء ١-١١.

- محمد عبد المطلب (دكتور) البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية ١٩٨٤.

- مخلوف (د. عبد الرؤوف)، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، دار الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

- المسدى (عبد السلام)، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس.

- ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.

- هلال (د. محمد غنيمى)، النقد الأدبى الحديث، القاهرة ١٩٨٢م.

٢- مراجع مترجمة :

- برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة د. محمود جاد الرب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٨٧م.

٣- مراجع أجنبية :

- G. Haugh, Style and Stylistics, Landan, 1969.

- S. Ulmann, Meaning a Style, Oxford, 1973.

٤- مخطوطات :

- العوتبي (سلمة بن مسلم)، الإبانة، مخطوط بوزارة التراث القومى والثقافة، مسقط.

٥- دوريات :

- درويش (د. أحمد)، الأسلوب والأسلوبية (مدخل فى المصطلح وحقول البحث ومناهجه)، مجلة فصول، المجلد الخامس سنة ١٩٨٤م.

- شكرى عياد (دكتور)، الأسلوب فى التراث القديم، مجلة فصول، أكتوبر سنة ١٩٨٠م.

القراءة السادسة

المنهج التاريخي عند العوتبي

د. محمد قرقش

- محتويات البحث -

* المقدمة.

- ١- العوتبي بين مدارس التدوين التاريخي.
- ٢- أهمية كتاب الأنساب التاريخية.
- ٣- البناء الفني / التاريخي لكتاب الأنساب.
- ٤- طبيعة انتقاء المادة التاريخية.
- ٥- مصادر العوتبي التاريخية.
- ٦- طرق النقل والإسناد عند العوتبي.
- ٧- النقد التاريخي عند العوتبي.

* الخاتمة.

* المصادر والمراجع.

أهمية علم الأنساب :

قدمت عُمان للحضارة الإسلامية إنجازات هامة في كافة المجالات: من سياسية وفكرية وثقافية وغير ذلك. ويقف العوتبي على قمة العطاء العُماني للثقافة الإسلامية بصورة عامة معتمداً على ما قدمه لها من مؤلفات متنوعة في الفقه والعقيدة واللغة والأنساب. وكان للدراسات التاريخية التي ظهرت في أخباره في كتاب، «الأنساب» أهمية كبرى من الجانب التاريخي. واعتبر كتاب الأنساب مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ الإسلامي وأهل العوتبي ليكون مؤرخاً قديراً.

ولذلك قمنا بدراسة حول منهج العوتبي التاريخي من خلال استعراضنا لكتابه الأنساب، وقد تمكنا من خلال الاطلاع على أخباره بين سلسلة الأنساب من الحصول على أسس هامة جعلت للعوتبي منهجيته الخاصة بين مؤرخي عصره من القرنين الرابع والخامس الهجريين، وساعده على تمكنه من امتلاك تلك المنهجية التاريخية الخاصة به امتلاكه لمعارف عديدة وعلوم متنوعة، فجاءت امكانياته واضحة في التمكن من السيطرة على الخبر والتعامل بصدق وأمانة مع الرواية.

وقد حددت مكانة العوتبي بين مدارس التدوين التاريخي، وأبرزت أهمية المادة التاريخية المتوافرة في كتاب الأنساب بالنسبة لجوانب التاريخ الإسلامي بصورة عامة والتاريخ العُماني بصورة خاصة، على أساس أنه قام بسد فراغ كبير كانت تعاني منه مكتبة التاريخ العُماني، وأكمل حلقات مفقودة من حلقات التاريخ. كما تعرضنا لطبيعة انتقائه للمادة التاريخية من خلال سلسلة أنسابه. كما عدت أهم المصادر التي استقى منها العوتبي أخباره ورواياته، وأبرزنا أهميتها. وحددت من خلالها طرق النقل والاسناد التي التزم بها العوتبي في التعامل مع النص التاريخي وأسلوبه الذي التزم به في عمليات النقد التاريخي للخبر والرواية.

هذا .. وعلى الله قصد السبيل ،،

(١)

العوتبي بين مدارس التدوين التاريخي

لكتاب الأنساب لسلمة بن مسلم العوتبي أهمية كبرى بين مصادر التاريخ الإسلامي. ذلك أن الدراسات والأخبار التي وردت به قدمته بين صفوف مؤرخي عصره. وكان اهتمام العوتبي بتدوين كتاب للأنساب امتداداً للاهتمامات العربية والإسلامية منذ عصر الخلفاء الراشدين، في الوقت الذي حرص فيه الخليفة عمر بن الخطاب على إنشاء الديوان، مراعيًا بذلك الاعتبارات الدينية والقبلية في آن واحد. واستمرت عناية المسلمين بهذا العلم في العصر الأموي عندما قامت الخصومات ونشأت الشعوبية^(١).

وأصبح علم الأنساب عند المسلمين بمثابة الأعمدة والهيكल العام الذي نسجت معه ومن خلاله الأخبار التاريخية والروايات المتعددة. وارتبط علم التاريخ بهذا الأمر منذ البداية. حيث احتوت كتب الأنساب على العديد من الأخبار، وحيث بدأت كتب الأنساب تقوم بدراسة تاريخ العرب أفقياً ورأسياً. معتمدة على الروايات القديمة لتسجيل تاريخ حركة القبائل ورجالها السابقين، كما بدأت تعتمد على مخرجات النهضة الثقافية في العصر الإسلامي.

وأدرك العوتبي أهمية علم الأنساب والتأليف فيه وحث أهل الأدب والعلم على تعلمه ليحفظوا بذلك أنسابهم ويصلوا أرحامهم ويأتوا ما أمروا به، وينتهوا عما نهوا عنه من سوء الفعّال وتجنب الأراذل والجهال^(٢).

ومع شجرة الأنساب العربية التي رسمها العوتبي في كتابه ولدت مادة تاريخية هامة، وأصبح لعالمنا العوتبي قدرة المؤرخ الواعي. وأصبحت تلك المادة التاريخية مصدراً هاماً من مصادر التاريخ العماني. ووضعت كتاب الأنساب ضمن أرفف المكتبة التاريخية العربية والإسلامية.

وقبل الحديث عن منهج العوتبي في كتابة التاريخ والتعامل مع النص التاريخي، كان لابد من التعرض لتطور عملية التدوين التاريخي وكتابة التاريخ حتى القرن الخامس الهجري، في مختلف نواحي العالم الإسلامي، من أجل تحديد مكانة العوتبي كمؤرخ عماني بين تلك المدارس التاريخية.

(١) سالم، السيد عبدالعزيز، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية ص ٧١، الاسكندرية، بدون تاريخ.
(٢) الأنساب، ص ١، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان سنة ١٩٨١م.

فقد بدأت عملية التدوين للعلوم العربية في الإسلام منذ نهاية القرن الأول الهجري، لكنها ظهرت بشكل واضح في منتصف القرن الثاني الهجري، خاصة سنة ١٤٣هـ، حينما ظهرت مصنفات هامة مثل: موطأ مالك بن أنس في المدينة، ومغازي ابن اسحق ومصنفات الأوزاعي بالشام وسفيان بالكوفة وغير ذلك^(١). وكان علم التاريخ من العلوم الإسلامية التي ظهرت ضمن علوم الثقافة الإسلامية منذ البداية^(٢). وقبل ذلك كانت هناك طرق لحفظ العلم وتبويبه، لكنها ظلت تتطور حتى بلغت أوج ازدهارها في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وبالنسبة للتاريخ فقد مر هو الآخر بمراحل حتى وصل إلى مرحلة متقدمة من التدوين التاريخي في عصر العوتبي. فقد كانت الأخبار والأنساب تروى. وكانت تلك المرحلة المبكرة ذات أهمية في تكوين الجمهور التاريخي وشكلت الحاسة التاريخية عند المسلمين بما تكون لديهم من معارف تاريخية. وكان من رواد ملك المرحلة جبير بن مطعم (ت ٥٩هـ/ ٦٧٩م) وأبو الجهم بن حذيفة العدوي، وأبو بكر بن الحكم. وقد امتدت تلك المرحلة حتى مطلع القرن الثاني الهجري. وظل التاريخ فيها مرتبطاً بالحديث والسير. ثم بدأت مرحلة ثانية في التدوين التاريخي وأهتم الأخباريون خلالها بجمع الأخبار من كافة المصادر والجهات وتبويبها تحت عناوين خاصة معينة. وظهر في تلك المرحلة رواد لها من الناحية التاريخية مثل الهيثم بن عدي (سنة ٢٠٨هـ) والواقدي (ت ٢٠٧هـ) وأبي عبيدة معمر (ت ٢١١هـ) ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) وقد ألف الأخير كتاباً متخصصة في قضايا تاريخية مستقلة مثل: الجمل، صفين، مقتل الحسين، وغير ذلك^(٣).

ومنذ تلك المرحلة بدأت عمليات الاستقلال تظهر بين علم الأنساب وبين علم التاريخ، فآلف محمد بن السائب الكلبى (ت ١٤٦هـ) في أنساب كل قبيلة على حده.

وأكمل من بعده ابنه هشام ليكمل هذا العمل^(٤). كما كتب على هذا السدرب أيضاً أبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠هـ)^(٥).

وجاءت مرحلة النضج للتدوين التاريخي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، على أساس الاهتمام بوحدة التاريخ الإسلامية، ووحدة تاريخ البشرية، على أساس أن الإسلام دين يحمل في ذاته فكرة تاريخية عميقة أوضحتها العقيدة الإسلامية في آيات كريمة عدة منها ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ وكان الهيثم بن عدي أول من قام بوضع كتاب تاريخ مستقل مرتباً أحداثه على أساس السنين محققاً بذلك ثورة في

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٢٦. (٤) سترد ترجمة كاملة لهؤلاء في دراستنا لمصادر العوتبي التاريخية.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص ١، ص ١٥١. (٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٩٨.

(٣) مصطفی، شاکر، التاريخ العربي والمؤرخون، ص ٩٧.

المنهج التاريخي مع بداية القرن الثالث الهجري، كما ألف كتاباً في الطبقات لترجم الرجال.

ومع تطور عمليات وأدوات التدوين التاريخي وتوفرها، ومع تطور منهجية التدوين واستفادتها من المراحل السابقة عرفت البواكير الأولى لظهور مدارس تاريخية إسلامية لكل منها أسلوبها ومنهجها في تدوين التاريخ^(١)، في ظل المؤلفات العديدة التي ظهرت بين المسلمين والمهتمين بالتاريخ. كما أن ديار الإسلام قد امتدت واتسعت واختلفت أقاليمها وشعوبها، واختلفت بالتالي أنواع المعارف التاريخية. كما اهتم الناس بتفسير الإشارات القرآنية العامة، والتي تتصل بالأمم السابقة، كما بدأ المسلمون في الاهتمام بأخبار الرسول ﷺ وتسجيل الفتوح والمعارك في العصر الإسلامي، بعد أن أضحت حدثاً إسلامياً عالمياً بعيدة عن النظرة القبلية السابقة في الوقت الذي عثر فيه المسلمون على معارف تاريخية هامة عند الشعوب التي دخلت معهم في الإسلام^(٢).

ومن أهم تلك المدارس التاريخية ما يلي :

* أولاً : مدرسة الشام :

وهي المدرسة التي نمت في عهد معاوية بن أبي سفيان. وقد عنيت تلك المدرسة بالتاريخ والانساب والفتوح. وأصبحت بذلك وسطاً بين المدرستين: المدنية والعراقية. وقد تخصصت تلك المدرسة في المقام الأول بالمغازي. كما أنها سبقت مدرستي المدينة والعراق من الناحية التاريخية، في الوقت الذي اهتمت فيه مدرسة المدينة بالحديث، بينما اهتم العراقيون بالأيام والانساب^(٣). ومن أهم روادها: أبو عثمان الصنعاني وجبير بن نفير الحضرمي (ت ٨٠هـ) وعبدالرحمن بن جبير، وقد قدم معظم روادها من مناطق العالم الإسلامي المختلفة خاصة من اليمن بفضل جاذبية العاصمة السياسية من جهة واهتمام معاوية والأمويين بالتاريخ من جهة ثانية.

* ثانياً : مدرسة اليمن :

وهي مدرسة تاريخية ظهرت من أجل اثبات جوانب التاريخ اليمني القديم ونسب القحطانية. ولكنها أخذت تنمو في المنهج القصصي والأسطوري. ولعل ذلك يرجع إلى انصراف النسابين والمؤرخين اليمنيين صوب الشام والعراق ومصر واستقرارهم هناك، وكذلك انعزال اليمن من الناحية الجغرافية وتبوء الخليج العربي المكانة الهامة في مجالات

(١) مؤمن ، حسين ، التاريخ والمؤرخون ، ص ٥٢.

(٢) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١١٤.

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٩٢.

الاتصال. واهتمت تلك المدرسة بتاريخ اليمن الأول. وظهرت على غرارها مدرسة الفرس أيضاً التي اتجهت توجهاً اقليمياً.

* ثالثاً : مدرسة المدينة :

وهي المدرسة الكبرى لبدايات التدوين بصورة عامة في الإسلام، بسبب موقع المدينة في التاريخ الإسلامي. ويعتبر عبدالله بن عباس من مؤسسيها الأوائل، بسبب اتساع معارفه ومكانته العلمية الكبيرة حتى سمي بالبحر. وقد ورد إليها رواد في الأخبار القديمة مثل ابن منبه وغيره. وقد عملت على حفظ السيرة والحديث^(١).

* رابعاً : مدرسة العراق :

حيث اجتمعت في العراق في صدر الإسلام تيارات ومصادر ثقافية أساسية كونت أساساً لمكانته في تدوين التاريخ وهي: الثقافات الفارسية واليونانية ثم الثقافة العربية والإسلامية. وقد وجد الفكر الإسلامي بها مستقراً له في مراكزها الإسلامية الجديدة في الكوفة والبصرة وبغداد. وقد اهتمت تلك المدرسة بالأخبار والأيام والأنساب كما بدأت تهتم بالفتوح الإسلامية^(٢).

ورغم ظهور تلك المدارس للتدوين التاريخي والتزامها بمناهج محددة في التعامل مع الأخبار والروايات إلا أن علم الأنساب ظل متداخلاً مع المادة التاريخية، خاصة وأن معظم القضايا التاريخية ارتبطت بهذا العلم أيضاً.

وجاء سلمة بن مسلم العوتبي من صحار ليشكل مدرسة مستقلة تجمع بين مناهج تلك المدارس التاريخية. وقد أملت عوامل عدة صحار وعلماءها ليشكلوا مدرسة مستقلة للتدوين من بينها:

موقع صحار الاستراتيجي على طرق التجارة العالمية، حيث بلغت أوج ازدهارها في عصر العوتبي، وقد شهد لها بتلك المكانة الجغرافيون والرحالون المسلمون، بحيث وصفت بأنها خزانة الشرق وأمر مدينة بدار الإسلام، وقد أهلتها تلك الظروف لتقوم بدور ثقافي مواز لدورها الاقتصادي أيضاً. وقد عاصر العوتبي بعض هؤلاء العلماء وأخذ عنهم ومن هؤلاء أبواسحق إبراهيم بن مسلم الضاحي العوتبي، وكان عالماً بالأنساب وأخبار الأمم السابقة^(٣).

(١) الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢٨.

(٢) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٧٠.

(٣) الأنساب ، ص ١ ، ص ١٧١.

كما أدى قرب صحار من البصرة ومراكز العراق الثقافية إلى استمرار الاتصال العلمي والفكري بين الطرفين، في الوقت الذي نبغ فيه العديد من أهل عُمان في تلك المدارس. وكانت صحار على اتصال أيضاً باليمن.

من هنا فقد قام سلمة بن مسلم العوتبي بإبراز سمات مدرسة في منهجه التاريخي من خلال كتاب الأنساب فيما يلي :

١- اهتمام العوتبي بأنساب القحطانية، على أساس أن معظم عرب عُمان يرجعون إلى النسب القحطاني. وقد ظهر ذلك في عرضه المفصل لأخبار الأزد ومالك بن فهم وقد احتل هذا الأمر حيزاً كبيراً من أنسابه.

٢- جمع العوتبي بين تخصصات المدارس الأخرى ويتضح ذلك في تنوع مصادره.

٣- أهتم العوتبي بتسجيل أيام أزْد عُمان في الجاهلية والإسلام. وظهر ذلك في حديثه عن يوم سلوت، ثم اشترك أزْد عُمان في حملة عثمان بن أبي العاص ضد الفرس.

أهمية كتاب «الأنساب» التاريخية

يعتبر كتاب الأنساب أو «موضح الأنساب» من أهم المؤلفات التي تحتوى على جوانب تاريخية للعوتبي. بسبب ما اشتمل عليه من حوادث وأخبار وتراجم غاية في الأهمية بالنسبة للتاريخ بصورة عامة، وتاريخ عُمان بصورة خاصة. أي أنه جعل من كتاب الأنساب معونة وزاداً لطلاب الأدب والعلم والفقه، ويعلل ذلك بقوله «لأن طالب العلم والحديث إذا لم يكن يدري علم النسب وسمع حديثاً قد صحف فيه اسم أحد على غير جهته، أو نقل من قبيلة إلى غيرها، جاز ذلك عليه. وإذا كان بالأنساب عالماً، وبالأخبار عارفاً أنكر ذلك ورده إلى نسبه واسمه، وأتى بالصواب في موضعه وحقيقته أصله»^(١). ويستطرد العوتبي في تحديد هدفه من كتابه بقوله «وجعلته جامعاً لما يحتاج إليه من علم الأنساب، إذ كان علم الأنساب يلزم كل من كان من قبائل العرب، ومن انتحل شيئاً من فنون الأدب»^(٢).

- احتوى أنساب العوتبي أيضاً على توضيح وتصنيف لأهم الممالك القديمة وحكامها منذ بداية عصور الحضارة، حسب ما استقى من مصادره، وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، ويؤكد ذلك بقوله «ثم نظمت بعد تصنيف أجناس ملوك الدنيا من لدن آدم، - عليه السلام - إلى سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين من تاريخ الهجرة»^(٣).

يمكن العوتبي من تحديد أهم الممالك القديمة التي شهدتها منطقة شبه الجزيرة العربية، وتحدث بالتفصيل عن مملكة «إدم» وحدد مكانها الجغرافي في منطقة الأحقاف^(٤). كما حدد أنسابهم إلى نوح -عليه السلام- وتتبع أخبارهم، باختصار بعد إهلاكهم، وتوجه من نجا منهم إلى مناطق الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية باتجاه مكة ويثرب، مع الإشارة إلى أوضاع مكة ويثرب في تلك الفترات^(٥). كما استعرض أخبار الأمم الأخرى في مناطق الحجر^(٦)، مع ذكر الآيات القرآنية الكريمة التي وردت بخصوص تلك الأمم، وكذلك أحوال وأوضاع ملوك جنوب العراق من النماردة. وإن كانت معلوماته عن منطقة جنوب العراق، زمن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- قد اقتصر على تحركات الجماعات السامية، دون ذكر الأمم الأخرى التي استقرت بها وأسست حضارات راقية منذ تلك الفترة.

(١) العوتبي، الأنساب، ص ١، ص ٨، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

(٢) العوتبي، المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٣) نفسه، ص ١، ص ١١٢.

(٤) يقصد بالأحقاف الجزء العُماني من صحراء الربع الخالي، وتقع شمال الأحقاف - جنوب عُمان وشرق حضرموت، ورمالها كثيرة وغزيرة تعرف بالأحقاف.

- انظر: ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ص ٤٤ طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة ١٩٩٢م.

(٥) العوتبي، الأنساب، ص ١، ص ١١٧.

(٦) بين الحجاز والشام.

وتكاد روايات العوتبي التاريخية عن تلك الفترة تتفق مع أخبار وروايات المؤرخين والجغرافيين المسلمين السابقين خاصة عند الطبري، في تاريخ الرسل والملوك^(١)، وعند المسعودي، في مروج الذهب ومعادن الجوهر^(٢).

ورغم اعتماد العوتبي على رواية عدة في حديثه عن أخبار تلك الفترة من أمثال محمد بن اسحق بإسناده عن ابن عباس، وعمرو بن دينار، والكلبي^(٣)، إلا أنه استقى مادته التاريخية عن مصدر هام وأساسي لتلك الفترة وهو: وهب بن منبه الذماري اليمني، الذي ولد سنة ٢٤هـ وتوفي سنة ١١٤هـ وعبيد بن شرية.

ويعد وهب بن منبه المصدر الأساسي لأخبار الأمم القديمة في مصادر التاريخ الإسلامي بصورة عامة، وقد ساعده على ذلك اطلاعه على كتب وأخبار الأمم القديمة السابقة، فأبوه منبه من هراة بخراسان، قدم إلى اليمن في جيش كسرى لنصرة سيف بن ذي يزن، حينما استنجد الأخير بالفرس ضد الأحباش المحتلين لبلاده. وقد أسلم منبه زمن النبي ﷺ وولد ابنه وهب سنة ٣٤هـ في بلدة ذمار، بالقرب من صنعاء، ونشأ على الزهد وحفظ أخبار الأنبياء والأمم، حتى أطلق عليه المؤرخون وغيرهم ألقاب عدة منها: الأخباري صاحب القصص، أو صاحب الأخبار والقصص، والعلامة القاص، وهو بجانب ذلك يعد من أهم أعلام طبقة التابعين. كما أتاح له فرصة الاطلاع على الثقافة العبرية واليونانية والسريانية فرصة هامة ليكون المصدر الأساسي لتاريخ ما قبل الإسلام^(٤).

وبذلك جاءت روايات العوتبي التاريخية عن الشعوب والأمم السامية القديمة بصورة مرتبة ومنظمة، زاد من ترابطها وتنظيمها اعتماده على مصادر أخرى مع روايات وهب بن منبه مثل رواياته عن جبير بن مطعم بن عدي القرشي^(٥).

- جاءت روايات العوتبي التاريخية موثقة بمصادرها، كما جاءت واضحة في عرضها حيث اهتم بإبراز أثر البيئة على الإنسان، وحدد المناطق الجغرافية التي بدأت تشهد تدفق لهجرات الجماعات البشرية منذ القدم. وتمكن بصورة واعية من تحديد المفهوم الجغرافي العام لشبه الجزيرة العربية، على أساس إحاطتها بالبحار والأنهار. ثم قسم شبه الجزيرة العربية إلى أقسام خمسة، هي: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن وعمان، بحيث

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، توفي سنة ٢١٠هـ كتابه تاريخ الرسل والملوك.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، توفي سنة ٢٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص ١.

(٣) سيرد ترجمة لكل منهم على حدة.

(٤) من أهم كتبه: قصص الأنبياء السابقين، مما يدعى بالإنشائيات: وكتاب تاريخ اليمن القديم، وهو مطبوع باسم «التيجان» يختص بملوك حمير وأخبارهم مع أساطير يمنية قديمة، كما توجد له كتب في الفنون. * كشف الظنون، ص ٢، ص ٢٤٧.

(٥) كنيته أبوسعيد، كانت له مكانة في الجاهلية والإسلام، مات سنة تسع وخمسين في المدينة.

- انظر: البستاني، ٣٥٤، أبوحاتم محمد بن حبان، (مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الاقطار)، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ص ٣٢، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

تشمل اليمن القسم الجنوبي الغربي، وعمّان القسم الجنوبي الشرقي. بينما جعل اليمامة والبحرين وما والاها عروضا^(١).

ونظراً لأهمية سواحل شبه الجزيرة العربية في الأحداث التاريخية وسبل الاتصال الحضاري المستمر، فقد تمكن العوتبي في الأنساب من تحديد أهم المحطات والمراكز الحضارية بداية من البصرة وكاظمة على رأس الخليج العربي وحتى ميناء أيلة على ساحل خليج العقبة، في الجانب الآخر من شبه الجزيرة العربية^(٢)، مما أعطى لرواياته وضوحاً في عمليات الربط التاريخي، وفهما في استخلاص العديد من الحقائق التاريخية.

ولما كانت البصرة^(٣) والكوفة^(٤) ذات أهمية تاريخية في صنع القرار والحدث التاريخي، منذ تمصيرهما في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (١٢هـ-٢٣هـ)، فإن العوتبي قد قام بتحديد سواد كل منهما على حدة قبل التعرض لأنساب القبائل بالتفصيل^(٥). وذلك لبيان حركة القبائل العربية صوب العراق والمشرق الإسلامي عبر هذين المصيرين الجديدين، خاصة أثناء عمليات التدفق العربي الكبير في الأراضي الفارسية بعد انتصار المسلمين في معركة القادسية، وكذلك خلال العصر الأموي، بعد ذلك، وكان لهذين المصيرين الدور الكبير في تنظيم عمليات الهجرة والتدفق العربي بصورة واضحة.

حاول العوتبي ربط أشكال البشر وألوانهم وصفاتهم ببيئتهم الجغرافية، وذلك بقوله: «وكانت الأرض ثلاث منازل، فما كان قبل مهب الشمال والصبا وهو الصفون عن يمين الشمال إلى مغربها فلبني يافث بن نوح، فجعل الله فيهم الشقرة والحمرة لبعد أرضهم وسمائهم عن الشمس»^(٦) واستمر في تحديد أثر البيئة أيضاً على الأجناس البشرية الأخرى، مع تحليل لأسباب انتشار الأوبئة والأمراض في بعض المناطق من العالم^(٧). وكان لتلك الجوانب الجغرافية أثرها في تعزيز الروايات التاريخية عند العوتبي، خاصة وأنه عرضها قبل عمليات التفصيل لأنسابه.

(١) الأنساب، ص ١، ص ٧٦، ص ٧٧.

(٢) نفسه، ص ١، ص ٢٧٧، ص ٧٨.

(٣) أمر الخليفة عمر بن الخطاب قائده عتبة بن غزوان بتأسيس مركز في منطقة اتصال الصحراء العربية بسواحل العراق، وبدأ عتبة التخطيط لها منذ سنة ١٤هـ/٦٣٥م، حيث كان الهدف من تأسيسها منذ البداية أن تكون مركزاً للجند والمقاتلة ضد الفرس، لكنها ازدحمت بالسكان بعد ذلك، بسبب أهميتها التجارية والاستراتيجية، حيث أصبحت مدينة الدنيا، ومقصد التجار، ومنازة الفكر، ومدينة الساج والعاج والديباج والنهر العجاج.

انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، ت ٢٧٩هـ فتوح البلدان، ج ٢، ص ٤٢٥، مصر.

— الجاحظ، عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ البيان والتبيين، ص ١، ص ٢٤.

— المقدسي، محمد بن أحمد، ت ٣٩٠هـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٠٥، طبعة بيروت.

(٤) تأسست تلك المدينة زمن عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ/٦٣٨م، لأهداف عسكرية أيضاً.

(٥) الأنساب، ص ١، ص ٧٩.

(٦) نفسه، ص ١، ص ٧٨.

(٧) نفسه، ص ١، ص ٧٨.

- ومهما يكن من أمر فإن أنساب العوتبي يعد المصدر الأول والمحول الأساسي والمعين الغزير لتتبع أحداث التاريخ العُماني، منذ بداية قدوم الجماعات العربية بها وحتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، خاصة وأن هناك جوانب أساسية في التاريخ العُماني قد أهملت، بقصد أو بدون قصد، من قبل المؤرخين المسلمين منذ بداية عصر التدوين التاريخي، في العصر العباسي^(١)، ويرتبط تلك القضية بقضايا العلاقات العُمانية العباسية في المقام الأول. كما كان للصراعات الداخلية في عُمان أثرها في طمس مصادر التاريخ العُماني، هي الأخرى.

من هنا كان للعوتبي الفضل الأول في إعادة بناء التسلسل التاريخي لحلقات الدور العُماني في تلك الفترة الهامة، خاصة وأنه تمكن من خلال وعيه، وموقع بلدته عوتب بصحار وسعة اطلاعة أن يكون صورة شاملة ومنظومة متكاملة للإنتشار العُماني في أرجاء العالم الإسلامي. وبذلك سد هذا المصدر النقص والندرة في موارد التاريخ العُماني بين مصادر التاريخ الإسلامي^(٢)، في صدر الإسلام والعصر العباسي.

ففي الجزء الأول من أنساب العوتبي، كان من المفروض أن يخصص من أجل توضيح أنساب العدنانية، حينما أقر ذلك بنفسه بقوله «وبدأت في الأنساب بذكر معد بن عدنان وقدمته على يعرب بن قحطان إذا كان منهم خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين محمد نبينا صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين وعترته تراجع»^(٣).

وقد عاب العوتبي على بعض أهل النسب حينما عمدوا إلى تقديم يعرب بن قحطان على نسب معد بن عدنان، مستندين إلى أن يعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية، وإلى اسمه نسب اللسان العربي وسمي عربياً إذ نسب إلى يعرب بن قحطان، وأورد لذلك شعراً:

أنا ابن قحطان الهمام الأصيل	الأيمن المعرب ذي التهلل
يا قوم سيروا في السرعيل الأول	أنا البدى باللسان المسهل
المنطق الأبين غير المشكل	فسرت والأمم في تبلل

مجري عين الشمس في تهمل^(٤)

(١) قضية البحث في التدوين التاريخي عند المسلمين، حديثة العهد، ويبدو أنها بدأت منذ قرن واعتمدت على الكتابات التاريخية الشاملة التي دونت في العصر العباسي، خاصة منذ القرن الثالث الهجري، واعتقد أن ذلك هو بداية التدوين، لكن هناك شواهد تدل على أن هناك مدونات وصحفا في أيدي المؤرخين قبل ذلك، لكنهم كان ينقلونها شفاهة ويرجعون إلى نصوصهم وقت الحاجة. وكان بعض الصحابة والتابعين يقولون في رواياتهم للأخبار: «وجدت في كتاب أبي فلان أو كتاب أبيه».

- انظر: سزكين، فؤاد، تاريخ التراث الإسلامي، ص ١، ص ٢٢٥. طبعة القاهرة.
(٢) قاسم، جمال زكريا، تاريخ عُمان بين الوثائق والمصادر الأجنبية والمحلية، ص ٣٩١، فعاليات ومناشط، المنتدى الأدبي، إصدار يونيو سنة ١٩٩٠م، مسقط.

(٣) الأنساب، ص ١، ص ١٠٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١، ص ١٠٦.

إلا أن العوتبي، -رغم ذلك- كان مشدوداً نحو أنساب القحطانية باستمرار، ولم يخلف لنا إلا ورقات معدودة عن نسب العدنانية، فسرعان ما يعود إلى عرض لأنساب القحطانية بصورة شاملة ومركزة وواعية ومتراصة، في حين ينتقل بين أنساب ربيعة وعبد القيس ولياد بصورة سريعة^(١).

لذا فقد أصبح العوتبي حجة هامة في أخبار القبائل القحطانية وأنسابها وتاريخها منذ عصور ما قبل الإسلام، بل تمكن من تحديد الجماعات العدنانية التي دخلت في محيط قحطاني أو العكس، حيث أشار إلى خروج بني مازن بن سعد من مذحج وإدعائهم إلى بني تميم، حتى عصره، وكانوا قبل ذلك مع جعفي بن سعد حتى قتل المخزم بن سلمة عبدالله ابن معدي كرب، فخافت بنو مازن بن سعد من عمرو، فارتحلوا إلى تميم وانتسبوا إلى مالك بن عمرو بن تميم^(٢).

وقدم العوتبي لتاريخ القحطانية عمقاً هاماً حينما تحدث عن امتداد النفوذ العربي القحطاني إلى جهات بعيدة من العالم القديم مثل التوغل في بلاد المغرب عبر الصحراء الأفريقية والوصول إلى بلاد طنجة^(٣)، حيث تم الانصهار مع قبائل البربر، سكان البلاد الأصليين، ويبدو أن هناك من أهل أفريقية من البربر وجماعات من شعوب الطوارق والزغاوة^(٤) الذين أسسوا أسرة حاكمة في منطقة تشاد والتي عرفت باسم مملكة «قانم وبرنو» والتي كان لها شأن في تاريخ السودان الأوسط^(٥)، يدعي أهلها أنهم ينتسبون إلى ملوك حمير، كما تدعي قبيلة صنهاجة البربرية القوية، والتي كان لها دور في نشر الإسلام في السودان بأنها تنسب إلى حمير^(٦)، كما نجد في تاريخ بلاد السودان الشرقي والأوسط وواحات أفريقية الصحراوية حيث جماعات البربر، نجد صدى لتحركات عربية من شبه الجزيرة العربية عبر باب المتدب والبحر الأحمر داخل أفريقية^(٧).

- كما تعرض العوتبي لصور من الاتصالات العربية القحطانية، أثناء حديثه عن سبأ الأصغر، إلى جوانب من العلاقات السلمية والحربية بين القحطانيين من جهة وبين حكام

(١) انحصر ذلك فيما بين الصفحات ١٤٥ إلى ص ١٦٨ من الجزء الأول، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.

(٢) المصدر نفسه، ص ١، ٣١٤، (٣) نفسه، ص ١، ص ١٨٧.

(٤) شعب في منطقة بحيرة تشاد يجمع بين المؤثرات الزنجية والحامية، امتدت أوطانهم من منطقة دار نور بغرب السودان الشرقي حتى بحيرة تشاد، وظلوا على الوثنية فترة طويلة، حتى بدأ تحولهم إلى الإسلام في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي.

(٥) يسمى الشريط الأفريقي جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى، وحتى خط الغابات الاستوائية باسم بلاد السودان، ويشمل هذا الشريط نطاق السافانا. وقد ظل هذا الاسم مرتبطاً به من قبل الغرب وحتى العصور الحديثة. وتنقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام: الشرقي من البحر الأحمر حتى دار نور، والأوسط حول بحيرة تشاد، أما السودان الغربي فيمتد من نهر النيجر وفروعه وحتى سواحل المحيط الأطلسي (بحر الظلمات).

- انظر الجوهري، يسرى، أفريقية الإسلامية، ص ٨٥ وما بعدها.

(٦) الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٥٩.

(٧) محمود، حسن، الإسلام والثقافة العربية في أفريقية، ص ٢٣٤.

وشعوب السند والهند والصين. فيروي عن عبيد بن شرية^(١)، أن الحارث ابن سدد أول من غزا بالجيوش أراضي بعيدة في الهند والسند، بعد أن أشار إلى اعتماده على استيراد سلع عديدة من الهند واعتماده على خبرات أهلها في مجالات الطب وغير ذلك، فقام بغزوها بحملة بحرية كبرى حتى دخل أرض الهند وأسس مدينة هناك تسمى «الرايش»، وأورد في ذلك شعرا برق بن سعد بن عمر بن ذي أنس^(٢) :

سار بنا الرايش في جحفل مثل مغيص السيل كالانجم
يؤم أرض الهند غازيا لها يخترق الأمواج كالضيغم
والدر والياقوت من فوقها وسبي أبكار بها تسوم

وتدل تلك الروايات من قبل العوتبي على كشف جوانب من صور العلاقات العربية الهندية قبل الإسلام وهي صورة هامة تجاهلتها المصادر الأخرى.

كما تعرض العوتبي لعلاقات ملوك اليمن بأراضي العراق القديم^(٣) ونواحي فارس وبلاد الترك وأواسط آسيا^(٤)، كما اشتملت رواياته التاريخية على توضيح لجوانب العلاقات العربية الصينية قبل الإسلام^(٥)، وهي العلاقات التي تحتاج إلى تحديد جذورها التاريخية من وجهة النظر العربية. على أن استعراضه لأخبار العلاقات العربية الأفريقية^(٦) واستمرار التواجد العربي منذ القدم على سواحل شرق أفريقية وفي منطقة القرن الأفريقي، قد أكد عليها الرحالون اليونان وغيرهم من الذين تعرضوا لتاريخ تلك المناطق^(٧).

وكان لهذا الجهد من قبل العوتبي أثره في توضيح الكثير من الحقائق الهامة حول صلة عرب عُمان بالبحر منذ البداية، حيث برهن على أن الهجرات العربية التي قدمت من اليمن إلى عُمان في أعقاب انهيار سد مأرب، جاءت إلى عُمان حاملة خبراتها القديمة مع شعوب سواحل المحيط الهندي، إلى وطنها الجديد، وبدأت تلك القبائل العُمانية من الأزدي وغيرهم الإرتقاء بتلك المكانة الملاحية وتحسين أدائها منذ عصور ما قبل الإسلام.

- أفرد العوتبي معظم كتابه حول أنساب أزد عُمان وتاريخهم، خاصة نسب مالك بن فهم وولده وأخوته. وبدأ ذلك باستعراض لفضائل الأزدي وما جاء فيهم عن رسول الله، ﷺ^(٨)، وأنسابهم^(٩)، وأولاد الأزدي وتفرقهم بعد ذلك.

(١) مصدره الأساسي عن ملوك اليمن وكندة.

(٢) المصدر نفسه، ص ١، ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١، ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١، ١٨٦.

(٥) راجع : - علي، جواد، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث.

- باقفي، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، ص ١٦٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٥م.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٣.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤ وما بعدها.

وتتميز عرض العوتبي لأنساب أزد عُمان بغلبة الجانب التاريخي على تتبع سلسلة النسب ويتضح ذلك في حديثه عن نسب عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء وولده^(١)، حيث أفرد روايات عدة عن ملوك الغساسنة من أولاد جفنة بن عمرو مزيقيا، وخاصة حديثه عن جبلة بن الأيهم وموقفهم من الدعوة الإسلامية، وخاصة مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-^(٢). من عرض تاريخ الأوس والخزرج مهتماً بالجانب التاريخي أيضاً، بحيث تمكن من عرض تاريخ الأوس والخزرج في فترة ظهور الدعوة الإسلامية ودورهم في نصرة الدعوة الجديدة وأهم رجالاتهم في هذا العصر، حتى أصبح هذا الجانب يمثل ركناً أساسياً لفهم السيرة النبوية الشريفة، ودور الأزد في بناء دولة الإسلام، وقد أفرد لذلك حوالي ثلاثين صفحة^(٣).

- ويعد العوتبي المرجع الأساسي لفهم وتتبع حركة آل المهلب، الذين تألق دورهم في العصر الأموي، حيث أفرد لهم صفحات عديدة من كتابة الأنساب في أثناء حديثه عن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو، فبدأ بعرض سيرة أبي صفرة، ظالم بن سراق، وأولاده، وأورد معلومات تاريخية غاية في الأهمية عن دور هذا البيت ودور أهل عُمان في صدر الإسلام في الدفاع عن الدولة الإسلامية^(٤)، وبداية ظهور شخصية القائد الأزدي العُماني الشهير المهلب بن أبي صفرة الذي اسندت إليه مهام استراتيجية^(٥).

واستعرض العوتبي النشاط البحري العسكري للمسلمين في منطقة الخليج العربي في عصر الخلفاء الراشدين^(٦)، وربطه بظهور دور أزد عُمان في عمليات الفتوح الإسلامية البرية والبحرية في المشرق الإسلامي منذ ولاية عثمان بن أبي العاص الثقفي. وتعد الصفحات التي قدمها عن تلك الفترة معلومات تاريخية في غاية الأهمية، كما تعد مادته عن المهلب بن أبي صفرة ترجمة وافية لسيرة قائد هام في صدر الإسلام.

كما قدم العوتبي روايات هامة عن أيام أزد عُمان في الجاهلية^(٧) وخاصة يوم سلوت، ومعاركهم في الإسلام.

ورغم تلك الأهمية لأنساب العوتبي إلا أنه تجاهل تماماً الامتداد العُماني نحو جهتين هما:

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥١ وما بعدها.

(٢) نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٥ وما بعدها.

(٣) الفصل الثالث من الجزء الثاني.

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢١ وما بعدها.

(٥) نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٦ وما بعدها.

(٦) الأمر الذي يدحض الرأي السائد بأن المسلمين لم يكن لهم نشاط بحري قبل عصر عثمان بن عفان.

(٧) الجزء الثاني من الأنساب ، الفصل الرابع.

* الأولى : جبهة السند والهند وجنوب آسيا:

حيث شهدت تلك الجبهة نشاطاً عُمانياً وعربياً واضحاً من خلال استقرار العديد من الجاليات التجارية هناك، وخاصة من أهل عُمان. وقد سجل تلك الأحوال مصادر إسلامية معاصرة للعوتيي مثل المسعودي وابن حوقل والمقدسي وغيرهم. وورد بين أخبارهم نشاط لأهل عُمان في تلك النواحي.

* الثانية : جبهة شرق أفريقية :

حيث استقر بها العُمانيون منذ نهاية القرن الأول الهجري وبصورة رسمية منذ هجرة الأخوين سعيد وسليمان أبناء عباد. وأصبح هذا الوجود العُماني امتداداً للقبائل العُمانية والوجود الإسلامي في شرق أفريقية.

يعد كتاب الأنساب للعلامة والنسابة والمؤرخ والفقيه سلمة بن مسلم العوتبي أهم ما خلفه لنا من الناحية التاريخية. حيث يعد الكتاب الوحيد من مؤلفاته الذي يحتوي على مواد تاريخية هامة تمثل مصدراً خصباً للعاملين في حقل الدراسات التاريخية بصورة عامة، وتاريخ عُمان ومنطقة الخليج العربي بصورة خاصة حيث تمكن العوتبي من جمع معلومات وأخبار هامة عن الأوضاع في العالم الإسلامي من خلال تكوينه الفكري وقربه من مراكز الحضارة الإسلامية في منطقة جنوب العراق، خاصة منطقة البصرة والكوفة وبغداد. كما ساعده وجوده في بيئة تجارية هي مدينة صحار التي كانت تشهد حركة نشاط مستمرة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، بحيث لقيت بخزانة الشرق ومدينة السلام، ووصفها الجغرافيون بأنها أعمر مدينة^(١).

ومن خلال تلك الظروف تمكن العوتبي من الحصول على مصادر متعددة لأخباره ورواياته غلب عليها حصوله على نسخ من مؤلفات قديمة تيسر له الحصول عليها والرجوع إليها أثناء تدوينه لأنسابه فيما بعد، من خلال موقعه في عوتب بصحار على ساحل الخليج العربي. كما أن عوتب كان بها جماعة من أهل النسب في عصر العوتبي.

ويبدو أن مؤرخنا النسابة العوتبي قد قام أولاً بجمع مادته التاريخية ثم بدأ عمليات التدوين فيما بعد، خاصة وأنه أعلن أنه سيتوقف عند أحداث سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين من تاريخ الهجرة^(٢)/الموافق ٩٥٦ ميلادية. لكننا وجدنا أمامنا سيرا مستمرة لا بعد من هذا التاريخ تصل حتى بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي^(٣).

وإن كان العوتبي في الواقع قد توقف عن عمليات عرض المواد التاريخية الهامة له عند تاريخه الذي حدده واكتفى بعد ذلك بعمليات سلسلة الأنساب وما يرتبط بها من جوانب تاريخية بصورة سريعة.

(١) انظر : - المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٨٩.
- لوفران ، مدينة صحار التاريخية وعلاقاتها بطرق الحرير ، ص ٩١ ، بحث مقدم إلى الندوة الدولية لطرق الحرير ، جامعة السلطان قابوس ، سنة ١٩٩٠ م.

(٢) الأنساب ، ج ١ ، ص ١١٢.

(٣) انظر ترجمة للبسيوي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧.

واتضح ذلك لنا من الأمور التالية :

* أولاً : تكرر المواد والأخبار الواردة في بعض الصفحات مع صفحات أخرى تتحدث عن نفس الموضوع والقضية^(١)، فبينما تحدث عن طبقات الأنساب، عاد وكرر الحديث عن القضية والموضوع. وتتضح براءة عمليات النسخ بسبب تغيير الرواة والإخباريين الذين اعتمد عليهم العوتبي أثناء ذكره للأخبار. وكذلك أثناء حديثه عن أسباب تقديمه لأنساب العدنانية عن القحطانية.

* ثانياً : تمكن العوتبي من حذف الأخبار المكررة والمتواترة لديه، واقتصر على الأخبار والروايات الجديدة والتي أحس بأنها قد تقدم جديداً، فاقصر أثناء حديثه عن أخبار وأنساب العدنانية حيث أدرك وجود العديد من المدونات والكتب في هذا الشأن، وأخذ في التفصيل والتوضيح لأنساب الأزدي، وخاصة أزد عُمان وأهم رجالاتهم^(٢)، وكان هذا الجانب مهماً بالفعل لدى النسابين والمؤرخين بصورة عامة.

* ثالثاً : ظل العوتبي يحدد نهاية كتاب وبداية كتاب آخر في الأنساب لعدة مرات بلغت حوالي ثلاث^(٣). كما أن كتاب الأنساب قد ورد داخله أسماء عدة له مثل موضع الأنساب، وكتاب الشجرة في الأنساب، وكتاب الأنساب^(٤). وهو أمر يدل على أن العوتبي كان دائم الفرز والفحص لمصادره، وأنه كان يهدف إلى تقديم مادة جديدة لكتابه تبتعد كثيراً عن التكرار للنسخ والروايات التي حصل عليها.

* رابعاً : ظهرت إمكانات العوتبي بوضوح منذ بدايته لعرض أنساب القحطانية^(٥)، حيث قدم لنا بعد ذلك مادة تاريخية هامة وعرضاً تاريخياً مترابطاً، يتضح فيه إمكانات العوتبي الهائلة في مختلف نواحي النسب والتاريخ والأدب. وبلغ العوتبي قمته التاريخية في عرضه لملوك التبابعة والقحطانية، وتتبع أحداثهم وأعمالهم خارج شبه الجزيرة العربية حتى الصين وأواسط آسيا والهند والسند وأفريقية وفارس^(٦). مما جعله يسد جزءاً هاماً من حاجة المكتبة العربية التاريخية في تلك الفترة. كما وصل العوتبي ذروة عطائه في حديثه في القسم الثاني من الأنساب الذي خصصه للأزد.

(١) راجع الصفحات : ٩٧، ٩٦ مع الصفحات : ١٠٢، ١٠٣ من كتاب الأنساب ج ١، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.

(٢) راجع الجزء الثاني من كتاب الأنساب، الباب الثاني، من ص ٤٢ وما بعدها.

(٣) راجع الصفحات : ٧، ٩٥، ١٦٩ من الجزء الأول من الأنساب.

(٤) انظر الصفحات : ٧، ١١١، ١٦٣ من الجزء الأول من كتاب الأنساب.

(٥) بداية من ص ١٦٩، بالجزء الأول من الأنساب.

(٦) انظر : الأنساب، ج ١، ص ١٨٢، ١٨٦، ٢٠٣، ٢١٤.

وأصبح العوتبي في حديثه عن أخبار الأزد عامة وأما عُمان خاصة المصدر الأوفى والأساسي للدارسين والباحثين حتى الوقت الحاضر بسبب ما يحتويه مصدره من الجديد في المادة والوضوح في العرض التاريخي.

الأمر الذي يشير لنا بأن العوتبي في أنسابه، كان يهدف أن يكون كتابه جديداً في عرضه مختلفاً في ترتيب أنسابه، بحيث جعله جامعاً لعلوم أخرى مع الأنساب وخاصة وأنه ربطه بالتاريخ في مواضع كثيرة^(١)، فاختلطت الحوادث التاريخية بالسير والترجمات، مما أعطت للكتاب أهمية جديدة بين كتب التاريخ والأنساب.

على أن الأمر لا يخلو من إلقاء مسئولية كبرى على عاتق النساخ، فإذا كان الكتاب قد تم تدوينه من قبل مؤلفه في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي^(٢)، فإن كتاب الأنساب يوجد منه نسختان إحداهما بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦١/تاريخ والأخرى بسلطنة عُمان. دونت الأولى في ضحى الاثنين لليلتين خلتا من شهر رمضان ١١٣٠هـ/الأول من أغسطس ١٧١٨م، والثانية قد نسخت ١٢٢٧هـ/١٩٠٩م. الأمر الذي يدل على أنه قد تم نسخه عدة مرات حتى وصلت تلك النسخ الأخيرة بين أيدينا. حيث تم ضياع أجزاء من فقرات الكتاب، كان وجودها ضرورياً لفهم سياق المؤلف خاصة حينما ذكر هدفه من تأليف كتاب الأنساب وعدد كتبه الأخرى الأربعة ثم انقطع الكلام بعد ذلك^(٣). وكذلك في اختلاف بعض العبارات عن البعض الآخر في كلا النسختين^(٤).

وهذا الأمر يجعلنا نضاعف الجهد في سبيل البحث عن نسخ أخرى من مؤلف العوتبي حتى يتم الانتفاع على الوجه الأكمل بهذا العمل الهام.. وإن كانت عمليات طبع الكتاب وإخراجه أخيراً من قبل وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان قد أدت إلى إعادة هيكلة مبدئية لهذا العمل، قد يعقبه جهد آخر من قبل المتخصصين لبناء كتاب الأنساب بالصورة التي كان يقصدها المؤلف في ظل الامكانيات الحالية.

أما من حيث وضع المادة التاريخية عند العوتبي في كتابه الأنساب فإنه قد ربطها بعنوان عمله الكبير وهو الأنساب فالتزم أولاً بذكر النسب ثم يبدأ في ذكر الوقائع والأحداث التاريخية المترابطة بالشخصية التي يتحدث عنها وتكون تلك المادة التاريخية في الغالب على قدر صاحب الترجمة، ومكانته في مسيرة التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ عُمان

(١) خاصة في الجزء الثاني من الأنساب.

(٢) على أساس وجود ترجمات ترجع إلى تلك الفترة.

- انظر : الأنساب ، ج ٢ ، ص ٢١٩. في ذكره للشيخ أبي الحسن البسيوي.

(٣) انظر ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، ص ١٥٧ ، ص ١١٦. على سبيل المثال.

(٤) ج ١ ، ص ٩٨ ، ص ٢١٧ ، ص ٢١٨. على سبيل المثال.

بصورة خاصة. وقد التزم بداية بذلك النهج حينما أفرد صفحات خاصة عن نسب الرسول ﷺ (١)، وشجرة أنساب العدنانية (٢).

وقد اضطر العوتبي إلى الاهتمام بالجانب التاريخي لأنسابه لما يقتضيه من تمييز بين رجاله، وربط أعمالهم بهم، كما ربطهم بأبائهم وقبائلهم. من هنا فقد جاء ترتيبه للأحداث التاريخية مرتبطاً بسلسلة النسب عنده معتبراً المادة التاريخية جانباً هاماً في توضيح الشخصية أو العلم الذي يتحدث عنه.

ورغم أن المادة التاريخية قد احتلت حيزاً كبيراً أثناء حديثه عن أنساب طيء حينما أفرد حديثاً طويلاً عن مازن بن غضوبة (٣)، فأورد قصة إسلامه، وقدم صورة لأوضاع عُمان زمنه في فترة ظهور الإسلام، ثم توجهه إلى الحجاز لإعلان إسلامه بعد أن ورد عليه رجل من أهل الحجاز.. وتعد المادة التاريخية التي قدمها عن عصر مازن مادة هامة لفهم أوضاع الجزيرة العربية وعُمان في تلك المرحلة واعتبرت مادته عن مازن بن غضوبة الأساس للعديد من الروايات العُمانية بعد ذلك. كما تمكن من جمع وترتيب صورة تاريخية هامة عن حديثه عن حاتم الطائي (٤). وقد أورد العوتبي العديد من الأشعار في سيرته. كما استعرض عدداً من رجال طيء وسيرتهم التاريخية من أمثال إياس بن قبيصة الطائي، آخر حكام إمارة الحيرة (٥).

استغرق العوتبي في الجانب التاريخي أثناء حديثه عن بعض الشخصيات التي ارتبطت بأعمال هامة في التاريخ الإسلامي، ففي أثناء حديثه عن أنساب مذحج، مالك بن أد، وولده مراد بن مالك، أورد دور عمرو بن معدى كرب، وقيس بن هبيرة المرادي، ابن أخت عمرو بن معدى كرب، في معركة القادسية، التي وقعت في خلافة عمر بن الخطاب، واستمر في عرضه لأسبابها وجوانب أحداثها وأهم الأعمال التي تمخضت عنها حتى تم النصر فيها للمسلمين. وتمكن العوتبي من تحديد أهم الإنجازات التي تحققت بعد هذا النصر في انتصار المسلمين في وقعة جلولاء ومعركة نهاوند وفتح نواحي عديدة من بلاد فارس.

(١) ج ١ ، ص ٦٨.

(٢) وقد اختصر أنساب العدنانية على سلسلة النسب فقط دون ذكر لأحداث تاريخية مرتبطة بالشخصيات إلا في اليسر.

- انظر الجزء الأول ، ص ٩٥ وما بعدها.

(٣) يعتبر أول من أسلم من أهل عُمان. ووردت عليه احاديث كثيرة عن الرسول ﷺ بخصوص دعوة الرسول لاهل عُمان.

- الأنساب ، ج ١ ، ص ٢٥٦ إلى ص ٢٥٨.

(٤) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشر بن امرئ القيس بن عدي، كان مضرب الأمثال في الجود والكرم.

- الأنساب ، ج ١ ، ص ٢٦١ وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧١.

وظهرت مادة العوتبي التاريخية بوضوح أثناء حديثه عن مالك بن فهم الأزدي وخروجه بمجموعة إلى عُمان من اليمن، بعد أن قدم صورة جغرافية وتاريخية لتحركات مالك إلى الحجاز ثم عودته عبر حضرموت حتى وصوله إلى شمال عُمان واصطدامه مع الفرس في معركة سلوت^(١). وكان حديثه وروايته عن سلوت تعتمد على مصادر متعددة بالإضافة إلى رواياته المحلية. وتتبع نتائج تلك المعركة وانتصار الأزدي بها في عرضه للجماعات العربية الأخرى التي لحقت بعُمان بعد هذا النصر^(٢).

ورغم التزام العوتبي بالتسلسل التاريخي في ذكره للحدث الواحد، كما قدمنا في مثال عن حديثه عن معركة القادسية وما ترتب عليها من نتائج، وكذلك حديثه عن معركة سلوت، إلا أن لم يراع التسلسل الزمني بصورة عامة في سلسلة الأنساب، حتى لا يخل ذلك بهدفه الأساسي في تتبع النسب وتحديد فروعه. ولذلك فقد قام كثيراً بالتوقف عن السرد التاريخي ليعود إلى ذكر الأنساب من جديد مع ذكر عبارة «رجع إلى ذكر»^(٣) أو «ومنهم...»^(٤) أو عبارة «ونزل...»^(٥).

والملاحظ من استقراء الأحداث التاريخية وتسلسلها مع الأنساب أن العوتبي لم يهتم كثيراً بتحديد سنوات الأحداث والأخبار التي أوردها، واقتصر في تحديده للحدث التاريخي بذكر عصر ملك من ملوك الفرس، قبل الإسلام، أثناء حديثه عن تحركات القبائل وأحداثها قبل الإسلام، كنحو تحديده لقدم الأزدي إلى عُمان في زمن دارا بن دارا^(٦). ثم تحديده ظهور آل الجندى كزعماء لعرب عُمان في عصر الدولة الساسانية^(٧)، وهي التي حكمت إيران بعد زمن الدولة الفرتية وأشار إلى أوضاع العلاقات بين الفرس وبين عرب عُمان زمن الساسانية حيث حدد أماكن النفوذ لكلا الطرفين.

ولم يحدد لنا العوتبي سنوات لميلاد أو وفاة رجاله إلا حينما تحدث عن أولاد العتيك ابن الأسد وأولاده من أبي صفرة والمهالبة. ففي حديثه عن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق، تحدث بالتحديد عن مراحل حياته ثم مساهماته في الفتوح الإسلامية، فتحدث عن اشتراك أبي صفرة في الحملات العسكرية البحرية التي شنّها المسلمون على الفرس في

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٥ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢، ص ٢٧٧ وما بعدها.

(٣) نفسه، ص ١، ٢١.

(٤) نفسه، ص ١، ص ٣٦٦ على سبيل المثال.

(٥) نفسه، ص ٢، ص ٢٧٧.

(٦) حكم دارا الثاني فيما بين (٤٢٤-٤٠٤ ق.م)، وقد بلغت إيران أوج توسعها في عصر أسرة الاعمنين التي ينتسب إليها دارا.

(٧) ظلت حتى اسقطها المسلمون، وكانت عاصمتها المدائن.

منطقة الخليج العُماني صوب الفرس في حملة عثمان بن أبي العاص الثقفي^(١)، وحدد سنة اشتراكه وهي سنة ١٥هـ/٦٣٦م^(٢).

وظهرت براعة العوتبي في تحديد سنة ١٥هـ/٦٣٦م، دون غيره من الروايات، على أساس أن هذا التاريخ ينسجم مع أحداث المواجهة في شمال الخليج العربي، حيث كانت المعارك مستمرة قبل حسم الموقف في القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص سنة ١٦هـ/٦٣٧م حيث خطط الفرس لسحب جزء من قواتهم نحو سواحل الخليج العربية الفارسية للقيام بشن هجوم هناك من أجل ارباك القيادة الإسلامية وتشتيت جهودها، وكانت خطة عثمان بن أبي العاص مواجهة تلك الجموع الفارسية منذ البداية^(٣).

تمكن العوتبي من ربط أحداث الخليج العربي في عصر الخليفة عمر بن الخطاب بصورة لايقارنه فيها أحد، فتحدث عن اشتراك الحكم بن أبي العاص، مع أخيه عثمان في إدارة عُمان في تلك المرحلة، وعرض بصورة واضحة أوضاع المواجهة مع الفرس بصورة أقرب إلى يوميات الحرب، فحدد أماكن تواجد الفرس في سيراو وفارس، والمراسلات التي دارت بين عثمان بن أبي العاص الثقفي، والي عمر علي الخليج، وبين زعماء أزد عُمان وهما جيفر وعبد، طالباً منهم المعونة لمواجهة التحرشات الفارسية الجديدة^(٤).

وحدد العوتبي بدقة فريدة التشكيلات القتالية الأزدية العُمانية، وأورد قيادة كل تشكيل، ورأس عمران أبوصفرة، واتجهت التشكيلات من منطقة جلفار باتجاه فكان رأس شونة صبرة بن سيحان الحداني، ورأس بني مالك بن فهم مالك ابن كاوان، حيث تم عزل عبدالقيس عن الأزد، وتحركت أزد عُمان وأزد البحرين صوب جزيرة القسم وتمكنوا من مواجهة الجموع الفارسية بقيادة شهرك وهزيمتهم وقتل شهرك نفسه^(٥).

انفرد العوتبي دون غيره بتتبع ازدياد نفوذ أزد عُمان في منطقة الخليج العربي من تلك السنة، وهو بذلك مؤرخ واع ودقيق، حيث بدأ في عرض خريطة الإنتشار الأزد بعد هذا الانجاز على سواحل الخليج العربي الفارسية والعربية حتى وصلوا إلى البصرة، حيث حسدهم أهل البصرة على مكائنتهم. وذكر أسماء الثمانية عشر رجلاً الأوائل من أهل عُمان الذين نزلوا البصرة وفي مقدمتهم كعب بن سوار، فاستقضاه عمر بن الخطاب عليها^(٦). كما ذكر الجماعات التي اقامت بتوج على رأس الخليج العربي.

(١) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر، من ثقيف، من خيار الصحابة، ولاه الرسول ﷺ غزرا فارس والهند. وكان من عباد الصحابة ومتتبعيهم، سكن البصرة، وتولى الخليج لعمر بن الخطاب.

- البستاني، أبوحاتم محمد بن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٦٧.

(٢) راجع روايات البيهقي، ص ٢، ص ١٣٤. وإن كان قد حددها زمن خلافة أبي بكر ولكن الأصح ما أورده العوتبي.

(٣) انظر: - ابن الأثير، الكامل، ص ٢، ص ٣٢٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢، ص ١٢٢. (٥) المصدر نفسه، ص ٢، ص ١٢٤. (٦) نفسه، ص ٢، ص ١٢٥.

كما حدد لنا العوتبي من خلال عرضه لرواياته فترة وفاة أبي صفرة في البصرة زمن ولاية عبدالله بن عباس لها من قبل الإمام علي، وصلى عليه ابن عباس^(١). كما تمكنا من تحديد فترة ميلاد ابنه المهلب وهي تعود بالتقريب إلى بداية خلافة الخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-^(٢).

وبذلك يعتبر العوتبي عمدة في الرجوع إلى سنوات امتداد النفوذ العُماني في المشرق الإسلامي وكذلك في الرجوع إلى زعماء آل المهلب وسنواتهم.

لكن العوتبي انفرد بتحديد سنة ٨٣هـ/٧٠٢م^(٣) لوفاة المهلب بن أبي صفرة في منطقة مرو الروذ في خراسان ودفن بها، ويبدو أن هذا العام لا يتفق مع مسار الأحداث في منطقة العراق وخراسان، وترجح الروايات الأخرى التي أوردها الطبري^(٤) وابن الأثير^(٥) على روايات العوتبي في تحديد سنة ٨٢هـ/٧٠١م كسنة لوفاة المهلب بن أبي صفرة^(٦).

أما الخطأ الذي ظهر من جديد في تحديد العوتبي لسنة معركة القصر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م في خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ-١٠٥هـ)، فيبدو أنه بعيد عن هذا الخطأ، ذلك أن الكتاب دون سنة ١٣٠هـ^(٧) لمقتل يزيد بن المهلب في معركة العقر، أي أن معركة العقر كانت سنة ١٣٠هـ. ذلك أن العوتبي قد حدد سنة ميلاد يزيد بن المهلب بدقة سنة ٥٣هـ/٦٧٢م، كما حدد عمره يوم مقتله حينما قال «وهو ابن تسعة وأربعين سنة»^(٨) وبالتالي فإن معركة العقر تكون قد وقعت سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م بعد إضافة سني عمر يزيد ابن المهلب إلى سنة ميلاده، ويحتمل أن يكون التحريف في عمليات النسخ.

ومن استعراضنا لتحديد سني الأحداث التاريخية عند العوتبي نجد أن هذا الجانب قد تميز بثلاثة أمور هي:

- الأول : عدم تحري الدقة في ذكر سنوات بعينها في عرضه لكثير من الحوادث والإكتفاء بذكر ما يقابل هذا الحدث كسني حكم حاكم أو معركة.

- الثاني : محاولته تحري الدقة في ذكر سنوات أحداث تاريخ عُمان خاصة زعماء الأزد من المهالبة والأثمة، ولم يوفق في بعضها خاصة قدوم جناح عُمان سنة ١٠٧هـ^(٩).

(١) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٢٧.

(٢) راجع التواريخ الثلاثة الواردة.

- وهو غلام ابن نيف وعشرين سنة.

- ويروون أنه يومئذ ابن عشرين سنة:

(٣) المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ١٤٠.

(٤) الطبري ، تاريخ الأمم ، ص ٦ ، ص ٣٥٤ ، أحداث سنة ٨٢هـ طبعة دار المعارف المصرية.

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ص ٤ ، ص ٨٢ ، أحداث سنة ٨٢هـ طبعة دار الفكر اللبنانية.

(٦) حيث أرتبطت سنة ٨٢هـ بأحداث هزيمة ابن الأشعث.

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ١٥٦.

(٨) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٥٦.

(٩) راجع ص ٢ ، ص ٢٢٢. حيث ذكر أن جناح بن عباد قدم إلى عُمان للمنصور سنة ١٠٧هـ.

– الثالث : الاستغراق في تسلسل الأنساب وتجنب تحديد سنوات معينة لشخصياته.

على أن العوتبي تحول إلى مؤرخ ماهر وابتعد عن عملية تسلسل الأنساب حينما اختصر لنا تاريخ عُمان في فترة ظهور الإسلام^(١)، فأشار إلى الوجود الفارسي على السواحل في العصر الساساني، وإلى أن ملك عُمان قد انتقل إلى آل الجلندي. وأن هناك هدنة مستمرة بين الطرفين العربي والفارسي. وقارن بين موقف أهل عُمان من دعوة الرسول ﷺ وبين رفض الفرس لتلك الدعوة. ودور أهل عُمان في نشر الإسلام منذ البداية^(٢).

ونظراً لتوفر المادة التاريخية لدى العوتبي فقد أورد لنا عدة نسخ من رسائل الرسول ﷺ إلى أهل عُمان وإلى حكامها هي:

* الأولى : إلى الجلندي بن المستكبر.

* الثانية : إلى ولديه جيفر وعبد، على أساس أن والدهما الجلندي قد توفي قبل وصول الرسالة إلى عمان.

* الثالثة : إلى أهل عُمان لدعوتهم إلى الإسلام.

وهو بالفعل ما يجده الباحث في مكاتيب الرسول ﷺ حيث تتنوع صيغ رسالة الرسول ﷺ إلى عُمان^(٣).

بلغت دقة العوتبي في تحديده لحدود عُمان في تلك الفترة الهامة حيث أشار إلى أن جيفر أرسل إلى مهرة والشحر لدعوتهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم بعث إلى دبا وما يليها من حدود عُمان الشمالية. لكنه سرعان ما التقط أنفاسه وعاد من جديد يتجه إلى الاستغراق في أنسابه.

واستخدم العوتبي تلك الامكانات الهامة في عرضه لأحداث وأسباب ونتائج المعارك والوقائع الحربية التي تعرض لها كتابه، فجاءت في معظمها منسجمة بنسق تاريخي مترابط.

في البناء التعبيري واللغوي :

ومن حيث البناء التعبيري واللغوي للكتاب وتأثير ذلك على الناحية التاريخية فإننا لاحظنا أن العوتبي كان يتمتع بثقافة واسعة بسبب اطلاعه على العديد من العلوم والفنون والأخبار في عصره، مكنته في ذلك بيئته ومقدرته، حتى أصبح في التاريخ أمهر من مؤرخ، وفي جوانب اللغة أدبياً بارعاً في النحو والصرف والبلاغة والأمثال والشعر، حتى عبارات

(١) انظر الصفحات ٢٥٨ - إلى ٢٦٢ من الجزء الثاني.

(٢) على أساس أن هناك رجلاً من أهل عُمان يسمى كعب بن يرشه الطاهي، قد أسلم وتوجه إلى كسرى ليعرفه الإسلام، بسبب إجادته اللغتين العربية والفارسية.

– المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٥٩.

(٣) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٦٠.

– وانظر الأحمدي ، مكاتيب الرسول ﷺ . طبعة دار صعب ، بيروت.

وروايات العوتبي عالية الأسلوب تامة المعنى فصيحة في الألفاظ.

وقد ظهرت جوانب ابداعاته اللغوية في التاريخ وفي الأنساب في الجوانب التالية:

* أولاً : استخدامه الألفاظ والمصطلحات المعجمية والقيام بتفسيرها لغوياً من أمثال:

- قيفان : من فعلان، والقفن دخول الرأس في العنق والصدر^(١).

- جدن : موضع واشتقاقه من قولهم أرض جدن وهى الغليظة المتراكبة^(٢).

- السحول : اسم مشتق من السحل، وهو قتل الخيط، وهو الثوب، أو القشر للعود^(٣).

وذلك أثناء حديثه عن أنساب ذي يزن واسمه عامر بن اسلم بن زيد.

- وكذلك في تفسيره لاسم سبأ، على أساس أن أول من سبى الأمم وأدخل السبي أرض اليمن^(٤).

- وكلمة رعين : اسم من رعن الرجل إذا سميت عليه الشمس^(٥).

- عتيك من عتك الرجل أبناءه ورحمائه بالسيف، وعتكت المرأة بالطيب إذا تضمنت به حتى يحمر جلدها^(٦).

وكان لهذا الأمر أثره في فهم المادة التاريخية وتشبع سياق الروايات والأنساب.

* ثانياً : تحديده للمصطلحات ونوعها السياسي أو الجغرافي :

فقد حدد تسمية بلاد العرب بالجزيرة لإحاطة الماء بها من الأطراف. وحدد سبب تسمية اليمامة والبحرين بالعروض لانخفاض مسایل الأودية فيها^(٧). بالإضافة إلى شرحه وتفسيره لأسباب تسمية معظم المواضع والبلدان والأقطار التي ذكرها.

- وفي المجال السياسي حدد المصطلحات والألقاب المستخدمة لدى حكام الشعوب والمربطه بهم كما يلي: ^(٨) وكثيراً ما كان يضبط المصطلحات بالحروف وليس شكلاً.

- التبابعة وهم ملوك حمير. والملوك من كهلان.

- كسرى ملك العجم.

- قيصر ملك الروم الأعظم.

- الخاقان ملك السند.

(١) المصدر السابق ، ص ١ ، ص ١٢٩.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ١٤٠.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ١٧٢.

(٤) نفسه ، ص ٢ ، ص ١١٨.

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ١٧٨. في حديثه عن أنساب حمير.

(٦) نفسه ، ص ١ ، ص ٧٨.

(٨) مع ملاحظة أن تلك الألقاب ترتبط بالأنظمة السياسية التي سادت تلك المناطق قبل ظهور الإسلام أو في صدر الإسلام.

- الشاه ملك جبال خراسان.

- بلهرا ملك الهند.

- نقفور أو يعبور ملك الصين.

- الخليفة أو أمير المؤمنين عند المسلمين^(١).

وإن كان العوتبي قد اعتبر خلفاء الأمويين والعباسيين ملوكاً، ولم يسبق أسماءهم باللقاب تدل على الخلافة للامة الإسلامية، ثم نص على ذلك صراحة في قوله «فلما بلغ ذلك أبا العباس السفاح واسمه عبدالله محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس بن عبدالمطلب، وهو أول ملك من بني العباس، بعد ملك بني أمية»^(٢) وذلك على أساس أن هؤلاء الحكام لم يصلوا إلى الخلافة عن طريق الشورى.

ثالثاً : تخير العبارات والأساليب المعبرة والبعيدة عن الغموض :

فقد تمكن العوتبي من تخير عبارات اللغة المعبرة التي تجمع بين البلاغة وبين الوضوح من أجل شرح رواياته التاريخية، فيذكر في حديثه عن غزو ملوك اليمن لاقريقية وغيرها «فراوا بلاداً كثيرة الخير واسعة الميسر، فحاصروا المدائن، وافتتحوا القلاع وظفروا بالسبي، وحووا الأموال»^(٣) ونحو قوله في تصوير أحداث يوم سلوت «ثم باءت العجم ورجعت إلى بعضها بعضاً، وأقبلت في حدها وحديدها»^(٤). وقوله لتصوير خبر كاذب انتشر بين أهل البصرة زمن الأزارقة «طاش الخبر بالبصرة»^(٥).

وهي تعبيرات هامة تعطي المؤرخ مدلولات عديدة لها في ظل بلاغتها ودقة تعبيرها التاريخي. وقد حافظ العوتبي على هذا المستوى في عرضه لأحداثه التاريخية، وأنسابه.

كما استخدم الألقاب اللغوية الدالة على أصحابها فأوجز في وصف ابن دريد بقوله «خطيب في شعره، مصقع في خطبه، قدوة في أدبه، وحكيم في نثره، لا زيادة عليه في فنون العلوم والآداب»^(٦). وميز بين العلماء في الفنون والآداب والعلوم وبين العلماء من حملة العلم، بقوله عن الإمام الربيع بن حبيب «هو أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم»^(٧).

على أننا لم نلاحظ أن العوتبي ربط بين الأئمة والخلفاء وكبار العلماء بالترضي والترحم^(٨)، إلا في موضع واحد فقط، حينما تحدث عن الشيخ أبي محمد عبدالله بن محمد ابن بركة، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي. وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق حول

(١) راجع الأنساب ، ص ١ ، ص ١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١ ، ص ١٩٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٥) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٦) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٩ .

ذلك ومسئولية النساخ، أو هدف العوتبي. فقد قرن ابن بركة بـ «رحمه الله»^(١) وكذلك البسيوي بـ «رحمه الله تعالى»^(٢).

رابعا : الاقتباس من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة :

واتضح ذلك في حديثه عن أخبار الأمم السابقة عن الإسلام، والعرب البائدة، وذلك من أجل تأكيد وتقوية رواياته وأخباره التاريخية. وظهر ذلك بوضوح في حديثه عن مبدأ خلق الكون وأخبار الملائكة وذكر الجن وذكر خلق آدم وهبوطه مع حواء من الجنة إلى الأرض^(٣)، وقصة قابيل وهابيل وأولاد آدم. وقصة نوح والأنبياء من بعده. وأخبار عاد وأنبياء بنى إسرائيل. وكانت الآيات القرآنية التي أوردها، أو الأحاديث النبوية الشريفة منسجمة مع حديثه وأخباره التاريخية.

خامساً : الإفصاح عن انفعالاته :

رغم حيده العوتبي وموضوعيته في عرضه التاريخي لكتاب الأنساب إلا أنه لم يخف غضبه لما حل بآل المهلب بعد نكبة العصر سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م، وما ترتب عليها من مقتل يزيد بن المهلب، زعيم أزد المشرق في تلك الفترة، ومعظم أهله، ثم حمل بقية أهله كآسرى إلى دمشق^(٤)، يقول العوتبي «وقدم مسلمة بن عبد الملك بأسرى آل المهلب إلى أخيه يزيد بن عبد الملك - لعنه الله»^(٥).. خاصة وأن الأمويين قد نكلوا بالفعل بصورة وحشية بآل المهلب. فلم يتمكن العوتبي من إخفاء غضبه على الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ-١٠٥هـ). حتى أنه زاد في لعنه للأمويين فكرر لعن يزيد بن معاوية، ومعاوية بن ابي سفيان، أو هما معاً كما في قوله «لفعل يزيد بن معاوية -لعنهما الله-»^(٦). كما قرن اللعنة بالحجاج بن يوسف أيضاً^(٧).

أما عدا تلك الوقفة فلم يلاحظ لمؤرخنا العوتبي أي تأثير على عمليات العرض التاريخي للأحداث التي قدمها في أنسابه، وتمكن بموضوعية وأمانة من وضع الأخبار والروايات في موضعها الصحيح بغض النظر عن الوضع القبلي أو العقائدي.

سادساً : الشمولية التاريخية :

تنضح النظرة الشاملة للعوتبي في معالجته لتطورات التاريخ الإسلامي والعربي منذ البداية، فقد حرص على توضيح الأصول العربية وتفرعاتها من القبائل الكبرى، ويقوم بعملية الربط بين فروع القبيلة في المشرق أو المغرب وفي أي مكان. كما أنه تمكن ببراعة

(١) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٨ .

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ١٢ وما بعدها.

(٣) راجع الأحداث في المصدر السابق. ص ٢ ، ص ١٥٢ وما بعدها.

(٤) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٥٣ ، السطر ٩.

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٢٦ .

(٦) أثناء حديثه عن بني صهبان كهيل بن زياد.

واضحة من دمج وحدات التاريخ الإسلامي في بوتقة واحدة ولم يغلب جنس على آخر، أو قطر على غيره، وحتى حديثه عن وطنه عُمان جاء مرتبطاً بنظرته الشمولية العامة على أساس أن عُمان جزء من الجسم الإسلامي الكبير^(١)، وأن أداء أهلها منذ البداية في أي موقع إنما يصب في الوعاء والبوتقة الإسلامية الشاملة.

وبذلك فإن العوتبي ابتعد عن النظرة الإقليمية أو المذهبية الضيقة التي انتصف بها بعض معاصريه في مواضع أخرى.

سابعاً : كثرة الاستشهاد بالشعر والأمثال العربية لتعزيز أخباره :

فكثيراً ما كان يقوم بربط العلم الذي يترجم له، أو الشخص بما يرتبط به من أشعار أو الشعر الذي يتردد عنه، ومثال ذلك قوله.. ومنهم أبوشمر الذي يقول :

كيف المقام بأرض لا أشد بها سوطلاً إذا ما اعترتني سواة الغضب
عني إذا مدحبح إن كنت سائله ولد امرئ للذي أنشأه كان أبي^(٢)

وقوله في أنساب قحطان.. ومنهم الأقال ومن الاقاول الأسود بن كثير والمرجاء ربيعة ابن معدي كرب، ونبت حضر موت نبت وائل، وهو الذي يقول فيه الأعشى :

قالت قتيلة من مدحت فقلت مسروق بن وائل^(٣)

كما تمكن من انتقاء جيد شعر الشعراء الذين وردوا في أنسابه من أمثال الشاعر زيد الخيل بن مهلهل الطائي^(٤)، وانتقائه كذلك لأشعار هامة من شعر مازن بن غصوبة أضافت لنا مادة تاريخية وفسرت لنا جوانب هامة من تاريخ عُمان في فترة ظهور الإسلام^(٥). وكانت الأشعار التي أوردها في سيرته لحاتم الطائي تنسجم مع بناء العوتبي لشخصية هامة مثل حاتم، ورغم إكثاره من أشعار حاتم إلا أن أوضحت صوراً هامة في حياته وحياة مجتمعه والعرف والعادات والتقاليد هناك وفي المناطق التي ارتبط بها حاتم^(٦).

كما أصبحت الأشعار التي أوردها في عرضه للوقائع تدخل ضمن عرض المعركة والواقعة، حيث ركز على الأشعار التي أثارت الحمية القبلية والعصبية بين الأطراف، والأشعار التي قيلت في رثاء القتلى.. من الأطراف تحمل هي الأخرى صورة من الخسائر والآلام التي تعرضت لها عُمان^(٧). أما أشعاره عن المهلب وأولاده فقد أوضحت جوانب هامة عن مكانة الرجل وقبيله في المشرق الإسلامي خاصة وأن أوردها عن شعراء خدموا

(١) خاصة في عرضه لامتناد النفوذ العُماني في الخليج والمشرق الإسلامي.

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٣.

(٤) نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٣.

(٥) نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٦ وما بعدها.

(٦) راجع الصفحات ٢٦١ حتى ٢٦٤ ، من الجزء الأول.

(٧) المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ٣١٥ وما بعدها (وقفة الروضة والقاع).

معه وكانوا على قرب منه من كافة القبائل، الأمر الذي أعطى وضوحاً في الجوانب التاريخية للمهلب وعصره^(١). وكانت الأبيات التي أوردها في رثائه عن أحد الشعراء قمة في التعبير عن الخسارة التي لحقت بالمسلمين في تلك الفترة، يقول:

الا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب
أقام بمرور الروذ رهن ضريحه وقد قبضاً من كل شرق ومغرب^(٢)
ثامناً : التباين في بناء الترجمة والنسب :

فقد برزت لدى العوتبي في أنسابه صور متباينة في ذكره لرجاله وأحداثه كانت بين الطول والقصر والإسهاب والاقتضاب في نوعية مادة العلم والشخص، وإن كان يرتبط في المقام الأول بما يتوافر لديه من مادة حول هذا العلم المترجم له، أو متوقف على دوره ومساهماته العامة المرتبطة به والمختلفة عنه.

ورغم ذلك فإن عالمنا العوتبي قد وضع أسساً هامة في بناء الترجمة والسيرة والنسب هي :

١- الاسم :

فلا بد أن يقوم بذكر اسم العلم أو الشخصية، وقد يمتد الأمر إلى ذكر الوالد والجدة حتى اسم القبيلة. وكان العوتبي دقيقاً في ذلك إلى أبعد الحدود، حتى يعتبر ذلك أساساً لعمله.

٢- اللقب :

حرص العوتبي أيضاً على إيراد اللقب مع اسم الشخص. فمثلاً يقول عن أبي حنبل مدليج بن مر بن سويد بن مرتد، أنه مجير الجراد، وسمي مجير الجراد «لان الجراد سقط بقرب داره وقعد الناس يصيدونه فحماء منهم وأجاره منهم فسمي مجير الجراد»^(٣).

٣- ذكر الكنية :

وغالباً ما كانت تلك العملية تقتصر على أهم أعلامه. ففي نسبه للمهلب وولده يقول، «ولد المهلب بن أبي صفرة.. ثلاثة وعشرين رجلاً واحدى عشرة بنتاً، وهم: سعيد وبه كان يكنى»^(٤) وكذلك في نسبه لمالك بن فهم فأورد كنيته بـ «أبانوبتي»^(٥).

(١) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ١٢٨ وما بعدها.

(٢) وردت عند الطبري بهذا النص أيضاً.

انظر : المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ١٤٠ . - الطبري ، تاريخ ص ٦ ، ص ٣٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١ ، ص ٢٦٥ .

(٤) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٢٨ .

(٥) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٨١ .

٤- اسم الشهرة :

حينما يشتهر العلم المترجم له باسم أكثر من اسمه مثل عبدالله بن يحيى الشاري الكندي المسمى بطالب الحق^(١). وكذلك المختار بن عوف بن يحيى بن مازن، المسمى بأبي حمزة الشاري فإنه يذكر اسم الشهرة إلى جانب اسمه الحقيقي^(٢). وأحياناً كان يذكر اسم الشهرة دون الاسم الحقيقي للشخص مثل حديثه عن وقعة القاع سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م وترديده لاسم قائد الحملة باسم محمد بن بور، دون ذكر اسم نور، وذلك لما فعله من دمار بعمان^(٣).

٥- ذكر الصفات والألقاب المرتبطة بالعلم :

وخاصة عن الأعلام التي ارتبطت بإنجازات هامة مثل قوله «ومنهم الفضل بن يزيد، الفقيه» ومنهم بعد ذلك الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة^(٤)، وقوله عن يزيد بن عبدالمدان من بني الحارث بن كعب بنو عبدالمدان «كان شريفاً شاعراً»^(٥). وهي أمور تدل على تمكن العوتبي من فهم شامل لجوانب شخصية العلم الذي يقوم بالترجمة له.

٦- عدم الاهتمام بتحديد سنة الميلاد، وسنة الوفاة، إلا لكبار الأعلام :

وقد وضع ذلك في حديثه عن أنساب المهالبة وتقديره لسنة ميلاد المهلب ووفاته، وسنة وفاة والده، وكذلك سنة مقتل يزيد بن المهلب وتقدير عمره^(٦).

٧- الاهتمام بالنشأة والتكوين :

وذلك من أجل إبراز إمكانيات الأعلام وأسباب بزوغ مكانتهم، ومثال ذلك تتبعه لنشأة حاتم الطائي بقوله «وحاتم هو الذي كان يخرج وهو صبي بطعامه إلى الطريق، فإن وجد من يأكل معه أكل وإلا رده ورجع»^(٧) وكذلك في ترجمته لعمر بن معدى كرب أحد أبطال القادسية^(٨). وكذلك في ترجمته لابن بركة ذكر شيخه أبا مالك غسان بن محمد الصلاني^(٩).

كما اهتم بذكر أماكن النشأة والمقام. فذكر منزل أبي حمزة الشاري في قرية مجز من جنوب صحار^(١٠)، ومنزل ابن بركة في بهلاء^(١١).

(١) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٨.

(٢) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٨.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٦٢.

(٤) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٩.

(٥) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٩.

(١) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٨.

(٢) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٢.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ٣١٧.

(٤) انظر ص ٢ ، ص ١٢٢ وما بعدها ، ص ١٥٦.

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٨٩.

(٦) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٨.

رغم اصرار العلامة العوتبي على تسمية كتابه بالأنساب، إلا أنه قدم من خلاله مادة تاريخية هامة لاغنى عنها للباحث في التاريخ العُماني والإسلامي، وخاصة فترة صدر الإسلام. كما أن مادته التاريخية قد شملت نواحي عديدة من الجوانب السياسية والإدارية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية، خاصة في منطقة الجزيرة العربية وعُمان والخليج. كما أشار إلى جوانب جغرافية ولغوية هامة أعطت مادته التاريخية ثقلًا ورسوخًا.

فرغم أنه لم يفرد لنا موضوعاً تاريخياً مستقلاً في أنسابه، إلا في حالة موجزة الذي قدمه عن عُمان في العصر الإسلامي، فإنه كان يجعل النسب في الصدارة في رواياته ثم يبدأ في ربط كل الأعمال والروايات التاريخية بهذا النسب بما يتيسر لديه من مصادر، وأحياناً كان يتدخل بصورة واضحة في تهذيبها وصهرها مع سياق حديثه بحيث لا يشعر القارئ أن هناك خللاً في السياق العام للنسب والموضوع، ويبدأ الجانب التاريخي لديه بصورة عن بداية حياة الشخص، صاحب النسب، وظهور مواهبه، ثم يربطها بنواحي اجتماعية وسياسية واقتصادية حسب هدفه لخدمة المعلومات التي يقدمها^(١).

وظهرت تلك الجوانب في أنسابه حينما تحدث عن أبي صفرة وأولاده فأعطى صوراً عن حياتهم منذ البداية^(٢)، وعلو مكانتهم في الدولة الإسلامية منذ خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقدم روايات هامة عن مراحل تأسيس مدينة البصرة التي أصبحت مركز أحداث المشرق الإسلامي، في هذا العصر^(٣)، واحتوت تلك الروايات على صورة للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمنطقة من وجود حركة تجارية وظهور اتجاهات معادية لبعضها البعض، حتى يظهر العصر بصورة صادقة للقارئ من كافة الجوانب.

واعتمدت المادة التاريخية التي قدمها العوتبي في أنسابه على أساس الهدف العام لكتابه والمتمثلة في: «معرفة أنساب قبائل العرب وبيان الأقرب من ذلك الهدف والابعد ومعرفة اجتماعهم واقتراحهم»، ثم أبداً بعد ذلك باشتقاق اسمائهم^(٤) ثم بعد ذلك حدد حدود المادة التاريخية التي يحتاج إليها في عمله بقوله «وشرح ذلك من الأخبار وشواهد الأشقاء وماحشوته من اشتقاق أسماء قبائلهم ورجالهم وذكر أخبارهم وأيامهم إن شاء الله تعالى»^(٥).

(١) المصدر السابق، ص ١، ص ٢٤٧ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢، ص ١٢٢ وما بعدها.

(٣) نفسه، ص ٢، ص ١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١، ص ١٢٢.

ولذلك فقد أصبح أنساب العوتبي كتاباً شاملاً لطلاب الأدب، والعلم والفقه وغير ذلك، ويعلل العوتبي أهمية الانساب بقوله «لأن طالب العلم والحديث إذا لم يكن يدري علم النسب وسمع حديثاً قد صحف فيه اسم أحد على غير جهته أو نقل من قبيلة إلى غيرها جاز عليه. وإذا كان بالأنساب عالماً وبالأخبار عارفاً انكر ذلك ورده إلى نسبه واسمه، وأتى بالصواب في موضعه وحقيقة أصله»^(١) وقد زادت أهمية هذا العلم في العصر الإسلامي من أجل صلة الرحم^(٢)، ومعرفة أخبار الشعوب والأمم.

غير أننا يمكننا أن نميز أنساباً هامة اتبعها العوتبي في انتقاء أنسابه والأخبار التاريخية المرتبطة بها وهي :

أولاً : الشمول النوعي :

أي أن العوتبي لم يقصر أنسابه على مجال واحد ونوع مميز من رجال القبائل التي أوردتها، بل ترجم وتحدث عن شخصيات مختلفة في الجاهلية وفي الإسلام، وفي مجالات الأدب والسياسة والعلم والحرب. كما تحدث عن سير العديد من رجال الدولة، وعن فئات الناس بصورة عامة^(٣). كما تحدث عن الرجال والنساء^(٤) أيضاً والسادة والموالي والجند والأمراء والعمال والتجار وأصحاب الحرف وغير ذلك من فئات أنسابه.

ثانياً : الشمول المكاني :

تمكن العوتبي من موقعه في صحار بحي عوتب، حيث كانت المدينة في عصره في قمة مجدها وازدهارها كمدينة للتجارة العالمية المتجهة إلى شمال الخليج حيث البصرة والكوفة وبغداد، وكذلك كانت صحار متصلة في هذا العصر بجهات عديدة من الحضارات، الأمر الذي مكن العوتبي من الحصول على العديد من الأخبار والروايات والمدونات، وأصبحت مادة هامة له لبناء كتابه الانساب والذي اشتمل على أخبار من كافة مناطق المشرق الإسلامي، وتحدث عن روايات شملت نواحي العالم الإسلامي وغيره^(٥).

وبذلك جاء كتاب الانساب شاملاً لروايات تاريخية عامة على المستوى العُماني والخليجي والعربي والإسلامي وحتى العالمي. وساعده على ذلك تفهمه للنواحي الجغرافية للمناطق والأماكن التي يتحدث عنها في أنسابه^(٦). ورغم شمول كتابه على قسم كبير لأزد عُمان وخاصة آل المهلب، إلا أنه تتبع أخبارهم في كل مكان وسعى وراء حركة رجالهم في كل موقع^(٧).

(١) نفسه ، ص ١ د ص ٨.

(٢) يقول في ذلك : «وقد نظمت نسب كل شريف ومذكور وبلغ وخطيب وشاعر من القبائل» . - نفسه ، ص ١ ، ص ٨.

(٣) راجع حديثه عن أم جندب، التي تزوجها أمرؤ القيس . على سبيل المثال . - المصدر نفسه ، ص ١ ، ص ٢٤٠ ، ص ٣٤١.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١ ، ص ٨.

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ٧٨ وما بعدها . (٦) نفسه ، ص ٢ ، ص ١١٩ وما بعدها.

ثالثاً : الشمول الزمني :

عمد العوتبي إلى تقديم صورة واضحة للعصر الذي يتحدث فيه عن رجاله حينما يتوقف لترجمة واسعة لأحدهم، فيترك سلسلة النسب جانباً ويأخذ القارئ، في نظرة شاملة لزمان الحدث حتى يتمكن من وضعه في الصورة الصادقة، وقد تمكن من ذلك في حديثه عن الوقائع والحروب بين العرب وتأثيرها على معاصريها فهو يقول في وصفه لمشاعر أهل عُمان حينما علموا بقدوم محمد بن بور إلى بلادهم «واتصل الخبر بأهل عُمان، فاضطربت عُمان من كل جانب، ودفع الخلف والعصبة بين أهلها، فكانت النزارية ومن كان على رأيهم في حزب، واليمانية في حزب، وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم، وتنقضت الأمور عليه، فخاف أهل صحار وما حولها من الباطنة، فخرجوا بأموالهم وذرائعهم وعيالهم إلى سيراف والبصرة وهرمز وغير ذلك من البلدان»^(١).

وقد حافظ العوتبي على الربط بين الشمولين الزمني والمكاني بحيث لم تأخذه الأنساب والروايات التاريخية إلى الاستغراق في مجال أو مكان واحد وفي فترة واحدة بل ربط توضيح صورة العصر في الفترة التي يريد التحدث فيها. وبلغ من درجة ثقافة العوتبي وقوة تصويره لآثار الأحداث التي يتحدث عنها وصفه لآثار وفاة المهلب.. لأنه ليس من كتاب ألف من بعده، في أي جنس كان من التأليف إلا وقع فيه من أخبار المهلب وأحكامه وبلاغته وسياسته وجوده»^(٢).

وهذه نظرة جديدة من أجل أحداث توازن بين الرؤى العالمية والاقليمية والمحلية في دراسة التاريخ، يمكن أن يستفيد منها في عصرنا.

رابعاً : العمل على خدمة الخبر للنسب :

حاول العوتبي أن يكون منهاجه واضحاً في الأنساب، ولذلك فقد اعترف بأن الروايات التاريخية والأشعار التي أوردها جاءت على صورة ثانوية بقوله «وما حشوتها من الأخبار وشواهد الأشعار»^(٣) أي أن العلاقة بين الخبر وبين النسب عند العوتبي كانت علاقة محددة تتفق مع أهداف العوتبي من كتابه، وأن هذه العلاقة لم تأت بصورة عفوية أو ارتجالية وإنما كان وراءها قلم العوتبي ومنهاجه وكان العوتبي يقصد بذلك أن العلم الذي يتحدث عنه هو الذي يصنع الحدث.

ولذلك فقد لاحظنا أن العوتبي كان دائم التوقف في عمليات الروايات التاريخية، وكثيراً ما نلاحظ أنه يحاول ألا يطيل في الشواهد التاريخية، وأنه كان يكتفي منها بما يدلل بها

(١) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ٢٢٢.

(٢) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٤١.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ١٢.

على أهمية ودور الشخصية التي يتحدث عنها، ويعمل لنا ذلك بقوله «وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الإيجاز والإختصار، ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب ولاختلط الخفي بالجلي فمحيته الأذان وملته النفوس»^(١).

أي أن العوتبي يعترف بإمكانياته التاريخية الواسعة، لكنه كان يستخدم منها القدر الكافي لإبراز النسب ودور الشخصية التي يتحدث عنها. وكان يخشى بذلك من تفوق الوصف والخبر التاريخي على النسب، وهو بذلك يعد من المؤرخين بالخبر والنسب معاً، وجعل بين الخبر والنسب صلة لفهم الشخصية والعلم الذي يتحدث حوله.

ولم يغلب الخبر على النسب عند العوتبي إلا في حالات قليلة، حينما أورد أخباراً وروايات عديدة عن المهالبة أثناء عرضه لنسبهم حتى استغرق الخبر بصورة واضحة ولم يتمكن من التوقف بقلمه التاريخي إلا على أعتاب العصر العباسي^(٢).

كما كان العوتبي يحاول تنويع مادته التاريخية، رغم اختصارها، من النسب، فكثيراً ما يتناول كافة المجالات التي ارتبطت بالشخصية وأهل بيتها. ومن ذلك قوله في نسب رهاء بن حارث أحد بطون مذحج «وكان يزيد بن شجرة الرهاوي، وكان فارساً، وهو الذي وجهه معاوية بن أبي سفيان ليقم بالناس الحج، ووجه علي بن أبي طالب إلى عبدالله بن العباس، فلما اجتمعاً بمكة خشياً أن يكون في حرم الله حرب فاصطلحا»^(٣).

وقد انعكس الأمر عند العوتبي في ذكر النسب ضمن الخبر في سياق رواياته التي تتعرض لقضية تاريخية طويلة، فقد أورد ذكر الخيار بن سبرة المجاشعي ضمن روايات عن المهالبة والأمويين^(٤)، وكذلك بعض القواد والجند أثناء حديثه عن المعارك والوقائع والأيام والتي أدرك أنه من الصعب اختصار أخبارها. وهو بذلك يحاول اخراج صورة متكاملة عن الموضوع الذي يتحدث عنه، وكان يلجأ إلى ذلك حينما يدرك أنه من الصعب الاعتماد على الانساب وحدها.

خامساً : إبراز علاقة السببية :

ويتضح ذلك بتحديد العوتبي لهدفه من كتابه (الأنساب) «ليحفظوا بذلك أنسابهم ويصلوا أرحامهم ويأتَمروا بما أمروا به وينتهوا عما نهوا عنه»^(٥).

ففي حديثه عن الأمم القديمة أبرز لنا العوامل والأسباب التي أدت إلى اهلاكهم واستشهد بذلك بآيات من القرآن الكريم، وخاصة عن عاد وقوم هود^(٦). كما ظهرت امكانيات العوتبي

(٢) نفسه ، ص ٢ ، ص ١١٩ وما بعدها.

(٤) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٦) نفسه ، ص ١ ، ص ٦٨ وما بعدها.

(١) المصدر السابق ، ص ١ ، ص ٧.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ٣٢٨.

(٥) المصدر السابق ، ص ١ ، ص ١١.

التاريخية في إبراز علاقة السببية بأسباب وقوع المعارك والأيام التي تحدث عنها وتعليله أسباب وقوع المعركة، وأسباب انتصار المنتصر وهزيمة المهزم.

ففي روايته عن سبب يوم سلوت «قلما وصل جوابهم مالك بن فهم، أرسل اليهم أنه لا بد من المقام في قطر من عُمان، وأن تواسوني في الماء والمرعى، فإن تركتموني طوعاً نزلت في قطر من البلاد وحمدتكم، وإن أبيتكم أقمت على كرهكم، وإن قاتلتكموني قاتلتكم.. فأبى الفرس أن تتركه طوعاً، وجعلت تستعد لحربه وقتاله»^(١).

وظهرت امكانيات العوتبي في هذا الجانب في ذكره أسباب الكراهية التي بدأت في الظهور بين الحجاج وبين آل المهلب وتتبع ذلك حتى انتهت بسجن يزيد بن المهلب، وتطورت أخيراً بنكبة العقر سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م. وقد عدد تلك الأسباب ودوافعها عند الأمويين وعمالهم^(٢).

كما كان العوتبي يحرص على ذكر السبب وراء أي حدث هام يسوقه في نسبه، ومن الأدلة على ذلك اهتمامه بشرح أوضاع اليمن قبل خروج القبائل العربية منها وانتشارها في الأمصار والمناطق الأخرى، والحديث الهام الذي قدمه عن سد مأرب. وكانت تلك العملية هامة في فهم المؤرخ لعوامل خروج العرب وخاصة جموع الأزدي إلى عُمان بقيادة مالك بن فهم^(٣).

(١) نفسه، ص ٢، ص ٢٦٨.

(٢) نفسه، ص ٢، ص ١٥٤ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ص ٢، ص ١٨١ وما بعدها.

أولاً : أنواع المصادر

١- المشافهة :

اعتمد العوتبي على نقل الخبر التاريخي بالمشافهة على نطاق واسع بحيث غلب ذلك على جانب كبير من عصره، حيث كانت مفاهيم عصره تقتضي أن يكون العالم على درجة كبيرة من الحفظ، بعضها من أصحاب الأخبار والتواريخ والأنساب مثل وهب بن منبه، وهشام ابن محمد السائب الكلبي والواقدي وابن دريد والجاحظ والكلبي وغيرهم^(١). وأغلبهم دونها العوتبي من ذاكرته الخاصة دون أن ينسبها إلى صاحبها.

ويبدو أن العوتبي كان على صلة وثيقة بعدد من شيوخ عصره في بلده وفي المناطق المجاورة في عُمان والبصرة، الأمر الذي مكّنه من الاتصال المستمر بهم والأخذ عنهم مثال ذلك قوله «قال أبو اسحق إبراهيم بن مسلم الضاحي العوتبي»^(٢). مما يدل على وجود نسابين في بلده أخذ عنهم شفاهة.

وقد تكررت كلمة : «قال»^(٣) في بدايات العبارات عند العوتبي، دون ذكر اسم المصدر مما يدل على أخذه العديد من رواياته بطريقة المشافهة^(٤). كما ردد كلمات أخرى بنفس المعنى مثل قوله : حدثني، روى عن^(٥) قال بعضهم^(٦)، ويقال^(٦)، وقال قوم^(٧)، وقال آخرون، وأكثر القول^(٨)، وقيل^(٩)، وقال غيره، وقد ذكر يقول، أما قول. وهى عبارات تدل على أهمية دور المشافهة في بناء المادة التاريخية عند العوتبي.

وطبيعى أن يلجأ العوتبي إلى عنصر المشافهة لتوفير مادته التاريخية، حينما تصمت المدونات والمصادر بين يديه، أو لمحاولة توثيق الخبر ومقابلته بمصادر أخرى شفاهية أو مكتوبة، أو أن يكون المصدر الشفاهي قريباً من الحدث ومرتبطة بالخبر، مثل استشهاد

(١) نعرف بهم بإيجاز في الصفحات القادمة.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ١٧١.

(٣) انظر : نفسه ، ص ١ ، ص ١٧١ ، ص ١ ، ص ١٦٩ ، ص ١ ، ص ١٢٥.

(٤) نفسه ، ص ١ ، ص ٥٨ ، ص ١ ، ص ٦٠ على سبيل المثال.

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ٦٢.

(٦) نفسه ، ص ١ ، ص ٧٢.

(٧) نفسه ، ص ١ ، ص ٧٤.

(٨) نفسه ، ص ١ ، ص ٧٤.

(٩) نفسه ، ص ١ ، ص ٩٣.

بأشعار أبي بكر محمد بن حسين بن دريد التي يعير فيها قومه من ولد مالك بن فهم ويحرضهم على أخذ ثأرهم بمن قتل منهم في الروضة من تنوف^(١).

وكان لعنصر النقل بالمشافهة دوره الكبير في عصر العوتبي وكذلك في منطقة صحار، وذلك بسبب ازدياد حركة الناس والتنقل بين مناطق العالم الإسلامي وعالم المحيط الهندي وازدياد روح البحث وطلب العلم والمغامرة، بحيث كان بعض الناس ينتظرون على المحطات التجارية لأخذ الأخبار والروايات من التجار والمسافرين والبحارة، وخاصة الأشياء والأخبار الغريبة التي صادفوها.. حتى أن أزهى عصور الرحلة في التاريخ الإسلامي كانت ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين. كما كان هناك فئة من العلماء يرتحلون إلى مناطق بعيدة للعلم والتعليم^(٢). حتى أن المدونات الكبرى في التاريخ الإسلامي قد دونت في عصر العوتبي مثل كتاب أخبار الزمان للمسعودي الذي اختصر في مروج الذهب^(٣).

ويتضح من روايات العوتبي الشفاهية أنها لم تكن منقولة ومأخوذة مباشرة من المصدر التاريخي بل أنها روايات منقولة إليه مشافهة عن طريق شيوخه أو أنه كان يشير إلى أحد المصادر التي سمع بها دون أن يتمكن من الحصول على نسخة أو يتصل مباشرة بالمصدر، ولذلك أصبح المقصود بعبارة «قال» أو «روى» يقصد بها مصدراً إما اتصل به العوتبي أو أخذ عن وسائط حتى وصل إليه.

٢- الوثائق والمدونات :

استفاد العوتبي من توفير عدد كبير من المخطوطات بين يديه، والتي يبدو أنه حصل عليها من عُمان من خلال مراكزها العلمية مثل صحار، أو من البصرة التي كانت تعج بالحركة والنشاط الفكري، ويحتل أهل عُمان مكانة هامة هناك، مما وفر له العديد من المصادر التاريخية المدونة، ولذلك فقد ترد الإشارة إلى المصدر والمخطوط بكلمة «قال» أو «يقول» أو «روى». ولكنه أحياناً كان يشير إلى هذا الأمر صراحة بكلمة: «وفي نسخة»^(٤). الأمر الذي يدل على توفر العديد من المخطوطات. كما ينسحب ذلك على العديد من النصوص الشعرية التي أوردها.

٣- المؤلفات السابقة :

رغم اعتماد العوتبي على روايات شفاهية، إلا أنه اعتمد بصورة أساسية على المؤلفات السابقة للنسابين والمؤرخين، بحيث أصبحت مادتها البنية الأساسية لكتابه، بالإضافة إلى كونها الموارد الأساسية لتتبع الخبر والنسب.

(١) المصدر نفسه ، ص ٢ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٢) شاكر ، مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ص ١ ، ص ٢٩٠ ، بيروت .

(٣) وإن كانت دار النشر حالياً تفصل بينهما حيث تصدر مروج الذهب ، ثم كتاب آخر بعنوان أخبار الزمان .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١ ، ص ٢٣ .

وهو بالرغم من قلة ذكره لأسماء مصادره وعناوين مؤلفاتهم، إلا أنه كان يشعر القارئ باعتماده على مؤلفات عديدة، بإشارته إلى مصادره بكلمة «قال»، «وقال»، حتى أنه كان يعدد ذكر المصدر من خلال ذكر اسم المرتبط به أو قبيلته أو جزء من اسمه^(١).

وحينما يجتمع لديه أكثر من مؤلف في القضية أو الموضوع الواحد فإنه يذكر عبارة «قال بعض أهل النسب»^(٢) أو عبارة «ويزعم بعضهم»^(٣). الأمر الذي يدل على محاولته اختصار المصدر وعنوانه كهدف أساسي عند العوتبي وهو الأمر الذي أشار إليه منذ البداية، خوفاً من الاطالة والاستطراد في كتابه.

أهم مصادر الانساب :

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها العوتبي لاستقواء مادته التاريخية ما يلي:

* وهب بن منبه :

ولد سنة ٢٤هـ وتوفي سنة ١١٤هـ، وهو من أصل فارسي، أبوه من خراسان. أسلم والده. ولد وهب في زمار بالقرب من صنعاء، وارتبطت نشأته بالزهد والإطلاع على كتب وروايات الأمم القديمة وقصص الأنبياء، ولذلك فهو يعد صاحب معارف دينية وتاريخية واسعة. وعني بنقل أخباره من مصادرها العبرية أو السريانية أو اليونانية القديمة، حيث كان صاحب ثقافة واسعة، وحفظ كثيراً مما يتصل بالنبوات وكان يرويها رواية عن نفسه أو يرويها جماعة من أهله.

تكونت في اليمن مدرسة كاملة للروايات التاريخية عملت على تسجيل وتنظيم وترتيب روايات ابن منبه وكان من رواده: أبو إلياس مولى وهب بن منبه، وعبدالمعظم إدريس، واسماعيل بن عبدالكريم بن معقل. وكان لهؤلاء دور في نهضة عمليات التدوين التاريخي منذ بداية القرن الثالث الهجري.^(٤)

استقواء العوتبي من روايات ابن منبه التاريخية في مجالات ثلاث هي:

أ- الاستعانة به في رواية قصص الأنبياء، ومبدأ الخلق، وهبوط آدم^(٥)، وأولاد آدم وسلالاتهم^(٦). ويعتبر ابن منبه بذلك أول من وضع الهيكل القصصي العام للتاريخ البشري، من وجهة نظر المؤرخين الذين قدموا بعد ذلك، وارتبط بهذا الهيكل سلسلة الرسائل والنبوات^(٧). كما روى عنه أخبار نوح وأولاد نوح، عليه السلام^(٨).

(١) المصدر نفسه ، ص ١ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، على سبيل المثال.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٢٣.

(٤) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١ ، ص ١٢٨.

(٦) نفسه ، ص ١ ، ص ٤٢ ، ٤٣.

(٨) نفسه ، ص ١ ، ص ٥٩ وما بعدها.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٢٤.

(٥) المصدر السابق ، ص ١ ، ص ٣٩.

(٧) نفسه ، ص ١ ، ص ٤٦.

ب- تاريخ اليمن القديم، والعرب القحطانية^(١). وقد ذكر أن له كتاباً يسمى الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، ورغم شموله لجوانب عقائدية وأسطورية عديدة إلا أنه يعد مصدراً هاماً للعوتبي لاستقاء أخبار اليمن في تلك الفترة. ويعد وهب بن منبه مصدر العوتبي المفضل لرواياته عن انتشار القحطانية وأصولهم^(٢)، وبعض ملوك التتابعة^(٣).

* عبيد بن شريه الجرهمي :

من الرواة المخضرمين، ولد في الجاهلية، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان. وقد استفدته معاوية بن أبي سفيان من صنعاء وسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب واختلاف الأنسب. وأمر معاوية كتابه أن يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شريه في كل مجلس وأن ينسب ذلك له، فكتبوا ما أملاه في كتابين أحدهما: أخبار اليمن، والثاني في الأمثال. والحق الكتاب الأول بكتاب وهب بن منبه «اليتجان» تحت اسم «أخبار عبيد بن شريه الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها». وقد أخذ عنه مؤرخو العراق واليمن والشام.

اعتمد العوتبي على روايات عبيد بن شريه في أنسابه، أثناء حديثه عن ملوك التتابعة من أولهم وهو الرثاش^(٤). ولذلك كان حديث العوتبي التاريخي ينم عن قاعدة واسعة في حديثه عن التتابعة لاعتماده على مصدر هام وهو عبيد بن شريه فتحدث عن أعمالهم في بلادهم وحملاتهم الخارجية^(٥). وظل العوتبي يكرر: «قال عبيد بن شريه» عدة مرات في أخباره عن التتابعة لصفحات عدة من كتابه الأول، حتى وصل إلى الصراع الحبشي اليمني زمن ذي نواس^(٦)، وإلى الصراع الحبشي الفارسي على اليمن^(٧).

حتى أن العوتبي بلغ اهتمامه بنصوص عبيد بن شريه أن نقلها مباشرة دون تمحيص أثناء حوار وروايات عبيد في مجالس معاوية^(٨).

* محمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام بن محمد الكلبي :

ولد محمد بالشام، وتوفي سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م، اهتم بعلم الأنساب في العصرين الأموي والعباسي، وتمكن من جمع أطراف هذا العلم وتكبد الكثير من المشاق في سبيل ذلك معتمداً على مساعدة قبيلته. ودون أفضل ما ذكره النسابة في كل قبيلة، وأضاف إليه الكثير^(٩).

(١) نفسه، ص ١، ص ٩٠. (٢) المصدر نفسه، ص ١، ص ١٢٤، ص ١٢٨.

(٣) نفسه، ص ١، ص ١٨٥ وما بعدها.

(٤) نفسه، ص ١، ص ٢١٣ وما بعدها.

(٥) نفسه، ص ١، ص ٢١٩ وما بعدها.

(٦) نفسه، ص ١، ص ٢٢٦، ص ٢٢٧. - المصدر السابق ص ١، ص ٢٢٦، ص ٢٢٧.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ٩٤.

وهو بذلك يعتبر أعظم النسابين في الدولة الإسلامية في صدر الإسلام. وأخذ عنه الكثير من طلاب علم التاريخ والأنساب شفاهة، حيث انه روى ولم يؤلف.

وتابع ابنه هشام هذا الاهتمام، حتى انه أضاف العديد من الأنساب والأخبار إلى رصيده أبيه والف حوالي مائة وخمسين كتاباً قبل وفاته سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م.

اعتمد العوتبي على المصدرين في رواياته عن أخبار الأوائل، خاصة عصور التاريخ اليمني القديم، وأخبار الأمم السابقة وكذلك أخبار آدم والأنبياء وأخبار حمير. وكان العوتبي يعتمد كثيراً على هشام بن محمد بن السائب الكلبي في أخبار نوح^(١) وقصة الطوفان^(٢)، وأحياناً يذكر اسم كتب من كتبه^(٣). كما اعتمد العوتبي أيضاً على روايات أبي المنذر وهو ابن هشام بن محمد بن السائب الكلبي أيضاً. كما قام العوتبي بعملية ربط بين آراء وروايات هشام، وبين روايات وهب بن منبه وعبيد بن شرية بالنسبة لأخبار الأمم والشعوب القديمة وكذلك في مبدأ الخلق وآدم ونوح -عليهما السلام- الأمر الذي يدل على مهارة العوتبي في التعامل مع المصادر المتعددة داخل القضية والموضوع الواحد. كما اعتمد العوتبي على ابن الكلبي في رواياته عن يوم سلوت^(٤). وقد أكثر العوتبي من ترديد مصدر أبي المنذر الكلبي عدة مرات^(٥).

* الهيثم بن عدي الطائي :

عاش في بغداد والكوفة، توفي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. احتل مكانة هامة في تطور عملية التاريخ والأنساب. اطلع على كتب الفرس، حتى أن البعض يجعله من رواد مدرسة التاريخ الفارسية، ولذلك فهو حجة في معرفة أخبار الفرس واليونان والعرب. وله كتب هامة تزيد عن الخمسين كتاباً في الأنساب والأخبار والولادة^(٦). ومن أهم كتبه في الأنساب: كتاب المثالب، وكتب البيوتات، وأهم ما كتبه في التاريخ: تاريخ الدولة (العباسية)، وتاريخ العجم وبني أمية، وتاريخ الأشراف، وكتب الطبقات وكتاب التاريخ المرتب على السنين^(٧)، ولعله أول كتاب تاريخ اسلامي أو عالمي بهذا النوع من التاريخ. وتتميز مؤلفاته بالتساهل بالإسناد^(٨).

وقد استعان العوتبي بروايات وأخبار الهيثم بن عدي مع روايات رواة اليمن في تتبع تاريخ ملوك اليمن وقبائل القحطانية^(٩).

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ٤٩ ، ص ٥١ .

(٤) نفسه ، ص ٣ ، ص ٢٦٥ .

(٦) مصطفي ، المرجع السابق ، ص ١ ، ص ١٨٢ .

(٨) مصطفي ، المرجع السابق ، ص ١ ، ص ١٨٣ .

(١) الأنساب ، ص ١ ، ص ٤٨ .

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ١٠٣ .

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ١٧٦ ، ص ١٧٧ .

(٧) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ص ١٤ ، ص ٤٦ .

(٩) الأنساب ، ص ١ ، ص ١٣٧ .

* أبو اليقظان النسابة :

هو عامر بن حفص مولى بني تميم، ويلقب بسحيم، توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، كان عالماً بالأنساب والأخبار والمآثر والمثالب. ويتميز بأنه أول من ألف في الأنساب عامة نقلاً عن الروايات القبلية، ولذلك فقد نقل عنه الكثير من النسابة. كما مزج بين الأنساب والأخبار، وكان أهم مصدر للبصرة وأحداثها، وأهم من أخذ عنه البلاذري وابن خياط. ووصفه ابن النديم بأنه «كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ثقة فيما يرويه»^(١) ولم يكن له عناية برواية الحديث، ولذلك لم يترجم له المحدثون في كتبهم.

وقد اعتمد العوتبي على روايات أبي اليقظان وأخباره بصورة نادرة في أحداث قبائل الأزد^(٢)، وفي أخبار العرب قبل الإسلام.

* أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي :

من علماء البصرة توفي سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م، كان من أشهر الرواة والعلماء في البصرة، وتيسر له هذا بشكل كبير من الروايات القبلية والمحلية والأسرية، حتى قيل عنه أنه من «أعلم الناس بجميع العلوم»، كما كان أعلم علماء عصره بأخبار الإسلام والجاهلية، حتى أنه كان ديواناً للعرب. وله عدد من الكتب في المآثر والفتوح، وأخبار العرب القديمة، وأيام العرب، وفي عدد من الأخبار التاريخية المتخصصة، وكانت إشارات العوتبي إليه باسم «أبو عبيدة». كما اعتمد عليه في الأنساب^(٣).

* شبيب بن شببة :

هو شبيب بن شببة بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم من بني تميم، من خطباء بني غنيم^(٤)، اهتم بالأنساب وأخبار الأمم السابقة، وكان من علماء البصرة في صدر الإسلام حتى القرن الثاني الهجري.

اعتمد العوتبي على روايات شبيب في أخباره عن البصرة^(٥)، وبعض أخبار العرب وأنسابهم في شمال منطقة الخليج العماني.

* عبد الملك بن حبيب الأندلسي :

هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان القرطبي، أبو مروان، رحل إلى المشرق لطلب العلم، ثم رجع إلى الأندلس وقد حصل على مكانة عالية في العلم، وأصبح عالماً بعلوم اللغة والأخبار

(١) الفهرست ، ص ١٠٧ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص ١ ، ص ٢١٤ . الأنساب ، ص ١ ، ص ٣٤٢ .

(٤) ابن حزم ، الجمهرة ، ص ٢١٧ .

(٥) الأنساب ، ص ١ ، ص ١١٢ .

الأنساب والأشعار. وله مؤلفات في الفقه والتاريخ والآداب منها: كتاب فضل الصحابة حروب الإسلام. توفي سنة ٢٣٨هـ^(١).

اعتمد العوتبي عليه رواياته عن أخبار الأنبياء والأمم القديمة^(٢)، كما جاءت معظم أخبار عوتبي في الأنساب عنه^(٣).

* عبدالله بن عباس :

من أبرز فقهاء المدينة والصحابة وأوسعهم إطلاعاً وعلماً، كان يسمى البحر لكثرة علمه ، الفقه والأخبار والأنساب والأشعار واللغة والحساب وعلوم الفرائض حتى روي أنه كان جلس يوماً لكل علم من العلوم، فيجلس يوماً لا يذكر فيه إلا الفقه ويوماً للمغازي ويوماً يام العرب، وكان يقصده الناس من كل صوب للأخذ عنه في كل تلك العلوم أو بعضها^(٤).

تتضح أهمية ابن عباس التاريخية في أنه ورد عن الطبري أكثر من ٢٨٦ مرة في تاريخ رسل والملوك في كافة مراحل تاريخ الطبري قبل الإسلام وبعده^(٥). ولم يترك ابن عباس نبأً ولكنه ترك أقواله ومعلوماته مكتوبة لدى بعض مواليه وتلاميذه، وكانت من الكثرة حتى أنها بلغت حمل بعير، واعتمدت معظم روايات الصحابة عليه وكذلك روايات التابعين.

اعتمد العوتبي على روايات ابن عباس في ذكر بدء الخلق وأخبار الملائكة وخلق آدم لآلنباء، وكانت رواياته عن ابن عباس إما مباشرة دون ذكر الإسناد^(٦). أو ذكر سلسلة 'سناد قبل ذكر الخبر عن ابن عباس مثل قوله: «حدثنا هشام بن محمد بن السائب كلبى، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال^(٧): «وقد اعتمد عليه اعتماداً كبيراً في هذا المجال.

* محمد بن اسحق المطلبى :

أهم رواد مدرسة المدينة، ولد سنة ٧٥هـ وتوفي سنة ١٥١هـ أو سنة ١٥٢هـ بدأ في صى الأخبار منذ الصغر وتحصيل العلم من جهات عدة. فجمع الروايات عن أهل الكتاب لموالي والأعاجم وعن العديد من مشايخ عصره. وقصد العراق في مطلع خلافة المنصور هداه مغازيه. ولذلك أخذ عنه معظم علماء العراق والري. وله كتب في الخلفاء والمغازي.

وقصص اليمن، والسيرة النبوية. وقد راجت سيره وأخباره في المشرق الإسلامي واعتمد به البيهقي في تاريخه والطبري كذلك وابن الأثير وابن حجر فيما بعد في كتاب صابة^(٨).

(١) ابن الفرخي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢ ، ص ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ١ ، ص ١١١.

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، ص ٢ ، ص ١٢١. - ابن الأثير ، الفقيه ، ص ٢ ، ص ١٩٢.

(٤) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٥٠.

(٥) الأنساب ، ص ١ ، ص ٥٠.

(٦) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٦١.

(٧) الأنساب ، ص ١ ، ص ٤٩.

وأصحت روايات ابن اسحق هي الأساس في روايات العوتبي عن أولاد آدم، وكان يقابلها بروايات ابن عباس، فيقول «وأما ابن اسحق فذكر عنه أنه قال^(١): لكنه كان يردد ذكر ابن اسحق في قصة نوح والطوفان بمفرده دون ذكر مصادر أخرى معه^(٢).

* محمد بن حبيب الهاشمي :

هو أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي، كان مولى محمد بن العباس بن محمد الهاشمي، ولذلك نسب إليهم، وله كتاب المحبر. وكان عالماً بالأنساب والأخبار وأيام العرب. توفي في بغداد سنة ٢٤٥هـ^(٣). وقد اعتمد على كتب ومصادر ومدونات مفقودة، ولذلك يعتبر كتابه المحبر من أهم المصادر التاريخية، وكذلك للأنساب والأشعار. وله كتب كثيرة نقلها عن تلاميذه. واعتمد عليه العوتبي قليلاً^(٤).

* العباس بن الوليد الأموي : (الشام)

هو العباس بن الوليد بن مسلم الأموي، أخذ العلم عن أبيه الوليد بن مسلم الأموي المتوفى سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م. وكان من أشهر محدثي الشام. وقد ارتبط برواياته التاريخية والأنساب والسير والمغازي. ويعتبر شيخ الطبري، ومن أهم رواته، خاصة في جانب السيرة^(٥).

واعتمد العوتبي على العباس في أخبار ثمود وعاد، وأورد رواياته بإسناد عن ابن اسحق، كما في قوله «عن العباس بن الوليد عن محمد بن اسحق»^(٦).

* كما اعتمد العوتبي على مصادر هامة لأخباره ورواياته التاريخية مثل: ابن قتيبة الباهلي وأبي حاتم السجستاني، وجبير بن مطعم^(٧)، وابن جربج، والجاحظ، كما روى أخبار الأمم السابقة في بعض منها عن الطبري. كما أخذ عن أبي بكر ابن دريد وعبدالله بن إدريس^(٨) وكذلك عن كعب بن مالك الأنصاري^(٩)، كما أخذ عن عاصم بن عمر ابن قتادة. كما اعتمد في عملية الاشتقاق اللغوي على الخليل بن أحمد الفراهيدي بصورة واضحة^(١٠).

(١) الأنساب ، ص ١ ، ص ٤٣ ، ص ٥٧.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ٥١ ، ص ٥٢ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١١٩.

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ص ٢ ، ص ٢٧٧.

(٥) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٢٠.

(٦) الأنساب ، ص ١ ، ص ٨٤.

(٧) كنيته أبو سعيد. عظم في الجاهلية والإسلام معاً، مات سنة ٥٩هـ بالدينة - البستي، مشاهير علماء الأمصار. ص ٣٢.

(٨) فقيه ومحدث كوفي. اسمه عبدالله بن إدريس بن يزيد بن عبدالرحمن بن الأسود من بني صعب بن سعد العشرية.

(٩) من قراء الأنصار وعباد التابعين، مات سنة ٩٧هـ أو سنة ٩٨هـ في مكة - البستي، المصدر السابق ، ص ١١٥.

(١٠) الأنساب ، ص ١ ، ص ٢٤٦.

- طرق النقل والإسناد عند العوتبي -

ظهرت عمليات التدوين المبكر للأخبار والروايات عند المسلمين، والدليل على ذلك ما نجده من ألفاظ خاصة بهذا الأمر مثل: الأصول، الكتب، الصحف، النسخ. وكانت عملية تدوين وتسجيل الأنساب من أقدم تلك المحاولات^(١)، فقد شكل عمر بن الخطاب لجنة ثلاثية من أبي عدي جبير بن مطعم، ومخرمه بن نوفل، وعقيل بن أبي طالب كلفها بوضع ثبت بأنساب العرب يقوم على أساسه الديوان^(٢). وكانت الأبحاث التاريخية وكُتِب الأنساب غزيرة في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة.

وقد بلغت الكتب والرسائل التاريخية حتى نهاية القرن الثالث الهجري أكثر من ٦٠٠ بحث ورسالة. وهي مادة تاريخية واسعة أقامت هذا العلم على قاعدة واسعة من المعلومات الأولى. وإن كانت تلك المعلومات على مستويات مختلفة من الدقة والصحة والسعة والشمول، أثرت فيها المستويات والمواقف والبيئات.

ومن الملاحظ أن المدارس التاريخية الأولى قامت في البصرة واليمن والمدينة والشام وكانت أهمها مدرسة البصرة واليمن، حيث أثرت مدرسة اليمن في البصرة عبر العلاقات التجارية بين الطرفين. وكانت صحار العُمانية محطة هامة بين مدارس التاريخ، إذ ارتبط أهلها بالتيارات الفكرية والثقافية والبصرة وأثروا فيها وتأثروا بها، كما تأثروا بانتاج مدرسة اليمن عبر الاتصال بينهما، أي أن صحار مثلت حلقة وصل فكري بين اليمن وبين البصرة وفارس.

واستخدم المؤرخون والنسابون طريقة الإسناد متأثرين بأسلوب المحدثين، حتى أن بعضهم صرف همه إلى السند أكثر من الخبر، وتساهل البعض في إيراد السند. وحين ظهر الاسناد في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري فقد كان سببه ضرورة الشهادة على الرواية نقلاً من مصدرها الأول، وهكذا فإن الأسماء الواردة في الاسناد عند المؤرخين كالطبري والواقدي والبلاذري مثلاً إنما تتضمن شجرات من المؤلفين ومن الرواة استمرت في الامتداد حتى عصرهم.

لكن هناك أموراً أدت إلى تطور عمليات التدوين التاريخي تمت في عصر العوتبي، وأدت في النهاية إلى تطور كتابة التاريخ وتسجيل الروايات التاريخية، من هذه الأمور والأسباب:

(١) مصطفى، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٢) الطبري، ص ٤، ص ٢٠٩.

أ- سقوط الإسناد تدريجياً وعدم الاهتمام بكتابته :

وهي عملية تدل على استقلالية علم التاريخ عن علم الحديث، وقد بدأت منذ نهاية القرن الرابع الهجري، ويعد المسعودي من أهم روادها الأوائل، عكس الطبري الذي يعد آخر رجال مدرسة التاريخ الحديثة. ويبدو أن هناك عوامل قد أسهمت في ذلك منها انتشار المخطوط المكتوب وتوفر مادة الورق للتدوين^(١)، وكذلك الرغبة في الاختصار.

وقد اعترف العوتبي بذلك في بداية أنسابه حينما قال «وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الإيجاز والإختصار، ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب ولاختلط الخفي بالجلي فمجته الآذان وملته النفوس»^(٢). في نفس الوقت توفرت مادة غزيرة من الأخبار والروايات والأشعار بدأت تفرض نفسها على المؤرخين والنسابين في المقام الأول. مع عدم مطالبة الناس بسند للرواية التاريخية يوازي تشددهم في طلب السند للحديث الشريف. وإن كان ذلك لم يمنع عدداً كبيراً من المؤرخين ظلوا متمسكين بالسند طوال القرون اللاحقة ومن أبرزهم ابن كثير^(٣).

ب- تزايد الاعتماد على النسخ والمخطوطات :

حيث بدأت تظهر في الساحة الفكرية كتب ومخطوطات مستقلة عن التاريخ وفي الأنساب بعيدة عن المجالات الدينية. وقد احتفظ المؤرخون بالعديد من تلك النسخ المدونة، وفي ظل كثافتها بدأ الاعتماد على معلوماتها وأخبارها دون إيراد نصوصها أو إيراد روايتها بصورة كاملة. وكان العوتبي من المؤرخين والنسابين الذين تمكنوا من الحصول على العديد من المدونات استخدموا مادتها بصورة ميسرة، دون الالتزام بنصوصها حرفياً.

* أولاً : طريقة الإسناد عند العوتبي :

ومن خلال دراستنا لمنهج العوتبي في الإسناد والتعامل مع مصادره يمكننا أن نقرر مايلي :

١- استغنى العوتبي عن الإسناد في صلب كتابه بصورة كبيرة، خاصة في القسم الثاني من أنسابه^(٤)، ولم ينص صراحة على سنده وعلى مصدر خبره إلا في روايات قليلة^(٥). يرجع معظمها إلى فترة ما قبل الإسلام في أخبار الأنبياء والأمم السابقة.

(١) مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٨.

(٢) الأنساب ، ص ١ ، ص ٧.

(٣) مصطفى ، نفسه ، ص ٢٨١.

(٤) راجع أخبار مالك بن فهم مثلاً ، ص ٢ ، ص ١٨١ وما بعدها.

(٥) الأنساب ، ص ١ ، ص ١١ وما بعدها.

٢- توافرت لدى العوتبي مدونات ومخطوطات عديدة للخبر الواحد والموضوع واحد الأمر الذي جعله يستخلص أهمها وأصدقها وأوثقها أو أقربها للحدث. وإذا فاق أحد تلك المصادر عن غيره أو تميز بشئ. يلجأ العوتبي إلى ذكر كلمة «وفي نسخة»^(١). وكان لأم العوتبي بتلك المصادر إلاماً واعياً حيث ظهر ذلك في كيفية تعامله معها وصهرها في قضية الواحدة.

٣- لم يلتزم العوتبي بنص مصدره أو مدونته بل كان يهضم ما جاء في المصدر في مياق أسلوبه. وإذا أورد نص المصدر فانه غالباً ما كان يسبقه بكلمة «انه قال»^(٢) أو قال»^(٣) كما ظهر ذلك في تعامله مع الأشعار والأمثال والحكم.

٤- حاول العوتبي اختصار السند في كثير من رواياته التاريخية والاكتفاء بالمصدر لأول فيه، رغم بعد المسافة الزمنية والمكانية بينهما، ومثال ذلك ترديده لنسابين وأخباريين من القرنين الأول والثاني الهجريين مثل: ابن عباس ومحمد بن اسحق والخليل بن أحمد وهب بن منبه وعبيد بن شربة وجبير بن مطعم وغيرهم. واكتفى فقط في أول روايته كلمة «قال ...» أو «حدث» أو «روى» أو «عن»^(٤) أو «حدثنا».

٥- ردد العوتبي في بعض سلسلة الاسناد كلمة «حدثني» أو «حدثنا» وكان يقصد جاع الخبر إلى صاحبه، وليس الحديث المباشر. مثل قوله «حدثنا هشام بن محمد عن أبيه —ال:»^(٥) والمعروف أن هشام بن محمد توفي في بداية القرن الثالث الهجري سنة ٢٠٠هـ/٨١٩م. أو أحياناً يروي سند الرواية مختصراً على صاحب الخبر مثل قوله «حدثنا بن حميد عن ابن اسحق»^(٦).

٦- يبدو أن العوتبي كان ملماً بصورة شاملة بجميع كتب أنساب القحطانية، ناصة، وأخبارهم.. فبمجرد حديثه عن أخبار القحطانية يغلب عليه بدء روايته بعبارة وقال بعضهم» «وقال بعض أهل النسب»^(٧) «وقال ..» «وقال غيره» «ويقال»، وأحياناً انتت تلك العملية داخل الصفحة الواحدة من أنسابه لمناقشة خبر واحد^(٨).

٧- تناسى العوتبي عملية الاسناد غالباً، وكذلك عملية الإشارة إلى مصدره في ناوله لبعض الأخبار والروايات وخاصة أثناء حديثه عن الأزد وخروجهم، وقصة مالك بن

(١) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٢.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ٦٢ . على سبيل المثال.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ٦١ . على سبيل المثال.

(٤) نفسه ، ص ١ ، ص ٦٧.

(٥) الأنساب ، ص ١ ، ص ٤٨ ، ص ٦٨.

(٦) نفسه ، ص ١ ، ص ١٢٦ . وأحياناً يضع بينه وبين هشام أكثر من ثلاثة رواة . ص ٢ ، ص ١٨١.

(٧) نفسه ، ص ١ ، ص ١٦٩.

(٨) نفسه ، ص ١ ، ص ١٧٠.

فهم، ولم يرجع إلا إلى أسماء بعض مصادره بعد فترة طويلة من استمراره في الرواية وتتبع الحدث^(١).

ويبدو ذلك من تمكنه من جمع مصادر عدة حول الموضوع وتمكنه من فهمها وصهرها، سواء كانت شفاهية أو مدونة.

٨- ظهرت عناية العوتبي بالسند ومحاولته ذكره لسلسلة الاسناد أو اختصارها في رواياته عن بدء الخلق وأحداث الأمم القديمة وقصص الأنبياء مثل قوله «وقال الحسن ابن محمد، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن سمرة بن حنطب، عن النبي ﷺ قال: سام أبوالعرب، وحام أبو الحبش، ويافت أبو الروم»^(٢) رغم أنه كان غالباً ما يسند الخبر إلى مصدره الأصلي مباشرة.

٩- برغم عدم اهتمام العوتبي بإثبات اسناد مصادره، فإنه أهمل أيضاً الإشارة إلى كتبهم ومؤلفاتهم، ولم يظهر ذلك إلا في حالات نادرة ذكر فيها المؤلف مع مؤلفه كقوله «وقال ابن اسحق صاحب المغازي»^(٣)، واكتفى بذكر كلمة «روى» أو «قال» أو «حدثنا» أو «عن» أو «زعم» قبل اسم المؤلف أو صاحب المصدر. ويبدو أن هذه الطريقة كانت منهجية جديدة في التدوين ظهرت في عصر العوتبي وقد سبق بها العوتبي غيره.

*** ثانياً : أما طريقة نقل مادة الخبر من المصدر عند العوتبي فكانت كما يلي:**

١- عدم الإشارة إلى موضع النقل من المصدر أو المخطوط وذكر رقم الصفحة أو الورقة، لأن هذه الطريقة من انجازات المنهج العلمي التاريخي الحالي، كما ان هذا الأمر كان متعذراً فيه عمليات النشر وتداول الكتب إلا في نطاق محدود، في عصر يعد فيه توفر أدوات التدوين أمراً صعباً، بالإضافة إلى صعوبة الحصول على المصدر نفسه.

واكتفى العوتبي بذكر الموضوع المنقول عن المصدر، ولم يكن في حاجة إلى ذكر بيانات عن المصدر ذاته. وإن كان أحياناً يحدد موضع النقل ويشعر القارئ بذلك إذا كان هناك أهمية لذلك، مثل قوله: «وروي عن ابن عباس: العرب والفرس والنبط والسند والهند من ولد سام بن نوح»^(٤) وكانت تلك العملية تتم على نطاق ضيق بحيث لا يزيد ما أخذه نصاً عن بضعة أسطر، وسرعان ما يعود إلى أسلوبه ونظامه في السرد. كما كان لا يجعل النص عقبة في عمليات سرد الخبر بل يجعله مترابطاً مع الرواية ترابطاً وثيقاً^(٥) وهو دلالة على وضوح التصور العام عند العوتبي للموضوع وقدرته على السيطرة على مصادره.

(١) راجع الجزء الثاني ، ص ٤٥ وما بعدها.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق ، ص ١ ، ص ٢٦.

(٤) نفسه ، ص ١ ، ص ٦٨.

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٢٨.

٢- بداية النقل وانتهاءه :

رغم تمكن العوتبي من صهر وحدة أخباره التاريخية، إلا أننا لاحظنا أن هناك مصطلحات معبرة عن المنقول وسابقة عليه مثل قوله: «قال»، «ذكر» «زعم» «يقال بعضهم» «أحياناً» «حدثنا» «وفي نسخة».

وفي بعض الحالات يورد منقولات محصورة بين تعبيرين يفيد أولهما أن المتبوع من مصدر بعينه فيحدد بذلك بداية، بينما يشير الثاني إلى انتهاء النقل صراحة أو ضمناً، مثل قوله: «وعن ابن جريج قال حدثت أنه لما أخذتهم الصحية...» ويقال إن أبار غال هو ثقيف^(١).

وكثيراً ما تقابلنا كلمة «وقال» متخللة للمنقول مقطعة له مشيرة إلى أن مصدر النقل مازال مستمراً مثل قوله «قال بن اسحق...» «وقال» «فقال»^(٢). وإن كان كثيراً ما يفصل بين المصدر نفسه بروايات أخرى بدون ذكر سند لها، ثم يعود إلى المصدر بكلمة «قال» أو «يقال». وإن كان استخدامه لكلمة «قال» لاتعني بالضرورة استخدامه لحرفية النص.

وكان هدفه من استخدام كلمة «قال» الإعلام بأن الخبر مازال متتابعاً من المصدر وأن مصدره مازال ملازماً.

٣- دلالات النقل عند عدم التصريح به :

في حالات عدم اسناد المنقول إلى مصدره استخدم العوتبي بعض العبارات الدالة على أن هناك مصدراً منقولاً عنه. وقد تعبر تلك العبارات عن مصدر واحد أو عدة مصادر مثل قوله: «حدثنا»، «قال» «وذكر» «قال شعراً» «وفي رواية»، «وقال بعضهم» «وقيل»^(٣) «وفي نسخة»^(٤) «ويروى»^(٥) «وقال أهل التوراة»^(٦) «وفي نسخة أخرى»^(٧).

٤- الاهتمام بموارد مصادره أحياناً :

عمد العوتبي أحياناً إلى إثبات منقلبه مسنداً إلى مصادره الأصلية ولعل ذلك يأتي إدراكاً منه بأهمية هذا العمل في توضيح أو تحليل أفضلية المصدر الذي ينقل عنه وخصوصيته. وهنا يورد الخبر مصاحباً لمصادر توثيقه أو سنده. وفي هذا محاولة من العوتبي للمحافظة

(١) الأنساب ، ص ١ ، ص ٩٤.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ٩٥.

(٣) نفسه ، ص ١ ، ص ٩٣.

(٤) نفسه ، ص ١ ، ص ٩٣.

(٥) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٣.

(٦) نفسه ، ص ١ ، ص ٤٧.

(٧) نفسه ، ص ٢٢ ، ص ٢٨١.

على مصدره وضمان المحافظة على اجتهاد هذا المصدر. وفي هذا نوع من الأمانة العلمية^(١).

هـ- أما طرق النقل عند العوتبي فكانت بطرق منها :

أ- الالتزام الحرفي قدر الإمكان في قليل من النصوص.

ب- التصرف في النص من حيث اللفظ، تعديلاً وإبدالاً وزيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي.

ج- الالتزام بالحرفية بالنسبة للألقاب والحكم والأمثال، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة.

د- التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معاً.

هـ- النقل بالفكرة مع اغفال العبارة الأصلية لمصدره.

(١) انظر ص ٢ ، ص ١٨١.

النقد التاريخي عند العوتبي -

اهتم العوتبي بنقد وتمحيص رواياته وأخباره التاريخية، خاصة وأنه كان يعمل العقل والمنطق لفحص أخباره، كما كان على مكانة كبيرة في الفقه وعلوم الدين، وهي علوم تستخدم العقل والنقد بدرجة كبيرة. وأصبح العوتبي مرتبطاً بالنقد كمنهج علمي في أعماله وآثاره.

ومن تفحصنا للجانب التاريخي من أنساب العوتبي، نلاحظ أنه كان يقوم بعمليات النقد التاريخي من جانبين هما :

- الأول : ضبط الوقائع، فلا يتقيد بمصدر معين، بل يقوم بالتحري في النقل من المصادر الأخرى المتوفرة لديه، ولا يكتفي بالنقل الشائع. ويحاول جمع أقرب المصادر إلى الحدث التاريخي، وإن تعددت المصادر فإنه يوردها، ويربطها بالإسناد إلى مصدرها^(١).

- الثاني : بالنسبة للأعمال والأحداث التي ربطها برجال أنسابه، فمنها من عمم، ومنها من تقيد، على قدر الرجال، وهو بذلك يعتبر عارفاً بمقادر الرجال ومنازلهم وكان دائم إبراز فضائل أعمال رجاله، ولا يتعقب سقطاتهم ومساوئهم، وحتى القادة والولاة والخلفاء الذين أساءوا إلى وطنه لم يتعرض لحياتهم وسيرتهم بسوء^(٢). وقد حرص على ذلك في تتبعه لسيرة المهلب، فيقول «ومن كمال عقله أنه لم يحضر في فتنة قط، وكان أكثر وصاياه لأولاده بلزوم الطاعة، ولم يطعن عليه في سب، ولم يسأب أحداً في شبيبته، ولم يسب أحداً في كهولته إلا مرة واحدة فقط»^(٣) وأورد مصدر هذا الموقف بقوله: «هكذا حكى عن الجاحظ»^(٤). واعتبر هذه السقطة الوحيدة التي أوردتها عنه الجاحظ دليلاً على خلق المهلب، لأن الجاحظ لم يحسب له غيرها رغم معرفة الجاحظ وكثرة علمه بالخبر^(٥).

منهجه النقد التاريخي :

ويمكننا أن نحدد منهجه في النقد التاريخي، من خلال رواياته في الأنساب في الأمور التالية:

١- أن العوتبي كفقيه ونسابة وراوي حتمت عليه مكانته، قبل كل شيء، الأمانة والدقة في نقد الرجال، بحيث لا يرفع الوضع ولا يضع الرقيع، وإنما لكل منزلة ومقام حسب أعماله.

(١) الأنساب ، ص ١ ، ص ١٩٢ ، على سبيل المثال.

(٢) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٤٤ وما بعدها. في تنكيل الامويين بالمهالبة.

(٣) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠.

(٤) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٣٠.

(٥) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٣٠.

٢- انه التزم بذكر المصدر في الروايات والأخبار التي تحتاج إلى دليل وبرهان، خاصة وأنه اعتمد على مصادر ثقة. حيث تعامل مع الأخبار على أنها جزئيات مستقلة تخضع لتصديق العقل أو تكذيبه، وفي حالة تشككه يقارن بغيره من النصوص التي كانت بين يديه، ويتنقل بينهما بصيغ منها: قيل، قال البعض، ويقال^(١)، وفي نسخة، وزعم^(٢).

٣- لم يحاول العوتبي تتبع سقطات الرجال في أخباره، بل كان يتتبع الصفات الأصلية ويكشف عنها بوضوح وبأدلة قاطعة، وكان في ترجمته لسيرة 'وفضائل حاتم الطائي ملتزماً بالموضوعية، وأورد رواية في مجلس معاوية بن أبي سفيان تثبت أن حاتم هو أسخى الأحياء والأموات^(٣). ثم أعقب ذلك بقوله «وأدرك حاتم الإسلام إلا أنه لم يسلم ومات نصرانياً»^(٤). ولذلك ظل العوتبي يتتبع صفات الشهامة والشجاعة والمروءة وحسن الخلق والورع، وظهرت تلك الجوانب أيضاً في عرضه لسيرة رجل صالح وهو أويس القرني ودلل على ذلك بأحاديث نبوية شريفة^(٥). كما كان يستدل بفضائل أخرى بأشعار ماثورة.

وكثيراً ما كان يختصر فضائل رجاله وأعمالهم بكلمات واضحة معبرة مثل قوله «وكان شاعراً فارساً»^(٦) أو «ومن فرسانهم» أو «من شعرائهم». وإذا وردت سقطة لرجل من رجاله يحاول البحث عن السبب لذلك، ففي أخباره عن أحد ملوك التبايع «قال عبيد كان رجلاً ضعيفاً، لم يغز حتى مات ولم يبعث جيشاً. فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتحرج من الدماء»^(٧).

٤- أبدى العوتبي تسامحاً في عرضه لأخبار رجاله، فلم تظهر في أخباره جوانب عصبية مذهبية أو اقليمية، بل ارتبط بالنظرة الإسلامية الشاملة، رغم اهتمامه بسير رجاله من أهل عُمان. وظهر ذلك بصورة جلية في تعرضه لتلك الجوانب وخوضه فيها، حتى انه التزم بذلك مع الشخصيات التي عاشت في عُمان فساداً مثل أخباره عن الخيار بن سبرة المجاشعي^(٨)، ومحمد بن بور^(٩)، وترك العوتبي إصدار التقايم والأحكام للقارئ مكتفياً بالالتزام في عرضه للأخبار وترابطها. الأمر الذي يميز العوتبي بصورة واضحة عن معظم مؤرخي عصره.

وقد أخذ العوتبي على نفسه عهداً في بداية كتابه بقوله «واعوذ به -أي من الله- من الحمية والعصبية وأخلاق الجاهلية»^(١٠).

(١) المصدر السابق، ص ١، ٢٢، ٢٣. على سبيل المثال.
(٢) نفسه، ص ١، ص ٢٦٢.
(٣) راجع ص ١، ص ٢٨٥.
(٤) نفسه، ص ١، ص ٢٨٦.
(٥) نفسه، ص ٢، ص ١٤٥ وما بعدها.
(٦) نفسه، ص ١، ص ١٢.
(٧) المصدر السابق، ص ١، ص ١٩٧.
(٨) نفسه، ص ٢، ص ٢٢٣.

٥- محاولة الكشف عن العامل الرئيسي في توجية الحوادث والأخبار :

حاول العوتبي ربط الوقائع بمسبباتها. حيث حرص على ترتيب حلقات الخبر فيذكر أولاً أسبابه التي دعت إليه، ثم يستعرض أحداثه المترتبة عليه، وبعد ذلك يعد النتائج والمخرجات. ووضح ذلك في أخباره عن الوقائع والأيام في الجاهلية والإسلام. ففي يوم سلوت استعرض عوامل توجه مالك بن فهم وجموعه من الأزد إلى عُمان والسبب الرئيسي لصدامه مع الفرس ثم استعرض عوامل انتصار مالك بن فهم وخروج الفرس من عُمان^(١). وكذلك في أيام ذي قار أسباب انتصار المسلمين في القادسية^(٢) وجولاء^(٣) ونهاوند^(٤).

كما اتضح ذلك في معالجته لأخبار خروج الأزد من اليمن، وانتشارهم في البلاد، كما علل لعوامل انتشار أهل عُمان منذ البداية على سواحل الخليج العربي واستقرارهم أخيراً في البصرة، وأورد في بداية ذلك قوله: «وكان سبب الذين نقل منهم من البصرة...»^(٥)، كما ظهرت براعته في تتبع أسباب عظمة المهلب بن أبي صفرة وظهور علامات النبوغ منذ البداية.

٦- استخدام عبارات مهذبة لنقده النص :

ظهرت قدرات العوتبي العلمية والخلفية في عدم المجازفة في القول والحكم حتى مع خطأ المصدر أو احتمال ذلك. ففي حالة شكوكه في صدق النص الخبري يقوم بنقده بطريقة مهذبة بعد أن ينتهي منه. ففي رواية جرير يقول: «قال -ويقصد محمد بن عيينة-»^(٦)، وحدث جرير أنا نفسي أدركت بقية خيل أبي صفرة تلك ولم تزل في أيدي أصحابنا حتى صارت إلى بشر بن عبد الملك^(٧) ولما كان هذا الأمر لا يستقيم مع العقل وفهم تطور الأحداث، حيث أن قائد جيش الأمويين ضد المهالبة كان مسلمة بن عبد الملك، أخا الخليفة يزيد بن عبد الملك، والعباس بن الوليد ابن أخيه، فأرق العوتبي هذه الرواية بقوله «وأظنة أراد مسلمة»^(٨).

ومن أجل توثيق نقده النص ساق لنا حينما ذكر دليلاً على صحة رايه «وحدث محمد ابن النضر أن مسلمة أخذ بقية تلك الخيل أيام يزيد بن المهلب، وأنه قال: والله هذه لماثر كريمة أن مائة وسبعين فرساً رباطاً لقوم موصول جاهليتهم»^(٩)، وهو يقصد آل المهلب.

(١) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٦٥ وما بعدها.

(٢) نفسه ، ص ١ ، ص ٢٩٨.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ١٢٥.

(٤) محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة. ابن خهم ، الجمهرة، ص ٣٦٩.

(٥) المصدر ، ص ٢ ، ص ١٢٨.

(٦) نفسه ، ص ٢ ، ص ١٢٨.

٧- الحرص على ذكر مآثر الرجال وتخصصاتهم :

فقد حرص العوتبي على ربط مآثر الرجال بهم من أعمال خيرة أو تخصصات عملية مميزة. فيقول مثلاً «وجناح بن عباد الهنائي هو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح»^(١). ويقول في نسب ولد سليمة بن مالك بن فهم «ومنهم أبوحزمة الشاري واسمه المختار بن عوف الأزدي، وهو صاحب وقعة قديد وملك الحرمين وهو صاحب عبدالله بن يحيى الكندي المسمى بطالب الحق»^(٢)، وقوله كذلك «ومنهم بعد ذلك الشيخ / أبومحمد عبدالله بن محمد بن بركة، العالم، -رحمه الله-، وهو العالم المشهور والبلغ المذكور صاحب الكتاب الجامع، وكتب التقديدات ومسائل أصول الدين وغير ذلك من مسائل الفروع الحرام والحلال، والكتاب المبتدأ في خلق السموات والأرض وما فيهن من خلق»^(٣).

كما حدد القدرات التي كان يتمتع بها رجاله، فيقول منصفاً ابن دريد بقوله: الشاعر النسابة، صاحب كتاب الجهرة وله مصنفات كتب عدة، وهو الخطيب المذكور والشاعر المشهور، الفصيح الذي تقف عن كلامه البلغاء وتعجز عن آدابه الأدباء، وتستعير منه الفصحاء، وتستعين بكلامه الخطباء، وهو خطيب في شعره، مصقع في خطبه»^(٤)، كذلك يحدد قدرات وتخصصات الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله «وهو صاحب كتاب العروض في النقط والشكل والناس تبع له وله فضيلة السبق إليه والتقدم فيه»^(٥).

وبذلك فإن العوتبي كان من المؤرخين الموضوعيين المنصفين في رواياته وأخباره، يظهر ذلك من خلال تتبعنا لأخباره في كتابه الأنساب. فقد حرص على نقل آراء الموافقين والمخالفين من أجل اكتمال الخبر وتوضيح جوانبه. كما كان حريصاً على مناقشة النص التاريخي بصورة هادئة في سياق سلسلة أنسابه بعيداً عن الانفعال والتعصب. وقد ساعده على ذلك تكوينه وثقافته الواسعة وعلمه الواسع الغزير. ويتضح قمة انصافه في دقته في نقل الخبر وتتبع سلسلة النسب وما يرتبط به من أخبار.

والحق أن العوتبي يعتبر من العلماء المميزين في عصره، نتيجة لما تحل به من صفاء الذهن ورهافة الحس وحسن الخلق والأمانة في النقل والتحليل وما توفرت فيه من حساسية في التعبير وتخير الألفاظ والمصطلحات المعبرة عن خلقه وعلمه.

ورغم غلبة الأنساب على كتاب العوتبي إلا أن رواياته وأخباره أصبحت مصدراً هاماً للكتب التاريخية المتخصصة التي ظهرت فيما بعد، ويعد كتاب تحفة الأعيان للإمام نور

(١) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢ ، ص ٢١٨.

(٣) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩.

(٤) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٧.

(٥) نفسه ، ص ٢ ، ص ٢٢٨.

الدين السالمي من أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليه حتى أحداث القرن الرابع الهجري. كما اعتمدت عليه غالبية الدراسات التي تعمل في حقل الدراسات الانسانية العُمانية عليه بصورة أساسية.

كما استفادت الأخبار التاريخية التي أوردها العوتبي في أنسابه من آدابه وعلمه فظهرت تلك الروايات بأسلوب مهذب مفيد عبر حلقات متوازنة، وكان أدبه قبل علمه عاملاً في صدق روايته، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعلم العلم قبل الأدب فقد استعد أن يكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ»، ويقول العوتبي «من لم يكن للأدب عارفاً كان للعلوم مصحفاً وللکلام محرفاً»^(١).

وحدد العوتبي آداب العلماء في أقوالهم وأفعالهم وأن يأتوا في كل مقام بمقالة، وكل أوان بمقتضى حاله^(٢).

وقد انعكست أخلاقيات العوتبي في تعامله مع الخبر التاريخي فجاءت معاملة للخبر تعتمد على الصدق والإخلاص والأمانة والبعد عن التعصب والنظرة المحدودة.

(١) العوتبي، الضياء، ص ١، ص ١٤٢، طبعة وزارة التراث القومي، سنة ١٩٩١.

(٢) نفسه، ص ١٤٧.

- الخاتمة -

احتل العوتبي مكانة هامة بين خارطة مؤرخي العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين من خلال الأخبار التي احتواها كتابه الشهير «الأنساب» فرغم هدف العوتبي، منذ البداية، في أن يقوم الخبر بخدمة النسب، إلا أن أخباره التي حواها هذا الكتاب أصبحت مصدراً تاريخياً هاماً من مصادر التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ منطقة الخليج العربي وعمان خاصة.

لقد تمكن العوتبي من صهر المدارس التاريخية التي بدأت تتمحور في العالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري في البصرة والكوفة وبغداد وفي الشام وفي المدينة المنورة وفي اليمن وفي فارس، واستعان بإنتاج مؤرخيها ومفكرها وتكونت لديه معارف غزيرة ومتنوعة في كافة مجالات العلوم وخاصة التاريخ وأخبار الأمم القديمة. ومساعدته على استقلال تلك المعارف ما تتمتع به من صفات العالم الواعي والأمين والصادق في عمله.

قدم العوتبي للمكتبة التاريخية روايات هامة عن العديد من الشخصيات التي قامت بأدوار هامة في التاريخ الإسلامي وأهمها المهلب بن أبي صفرة الأزدي العُماني، ورغم عدم اهتمامه بتحديد سنوات التاريخ والحوادث، إلا أنه تمكن من الحفاظ على السياق والتسلسل الزمني لأحداثه التاريخية بصورة واعية، حتى أنه يعتبر عمدة للرجوع إليه في أخبار أزد عُمان ومراحل امتداد نفوذهم التاريخي، وبلغت به الدقة أنه حدد أماكن ومراحل هذا الامتداد.

وقد التزم العوتبي في انتقاء مادته التاريخية وأخباره على عمليات الشمول النوعي والشمول المكاني والشمول الزمني، الأمر الذي أعطى لمصدره أهمية تاريخية. كما كان حريصاً على إبراز علاقة السببية. وقد تعددت مصادره من المشافهة والوثائق والمدونات وظهرت إمكاناته الواسعة في التعامل مع النص الخبري التاريخي. كما التزم بما وصل إليه علم التاريخ في زمنه من التقاضي على الاسناد إلا في الضرورة. واهتم بضبط أخباره كمؤرخ واع ودقيق.

وهكذا يعد أنساب العوتبي مصدراً هاماً من مصادر التاريخ العربي والإسلامي عامة.

** أهم المصادر والمراجع **

* أولاً : المصادر :

- ١- ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي المكرم محمد بن محمد عبد الكريم.
- الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢- الأحسائي ، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الأنصاري.
- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الرياض، ١٩٦٠م.
- ٣- الإدريسي ، أبو عبدالله محمد بن محاسب بن عبدالله.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، بدون تاريخ.
- ٤- الأصفهاني ، حمزة بن الحسن.
- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، بيروت، بدون تاريخ.
- ٥- الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد، المعروف بأبي الفرج الأصفاني.
- كتاب الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية ودار الشعب، القاهرة ١٢٨٩هـ / ١٩٦٩م.
- الاماء الشواعر، تحقيق دكتور فوزي حمود القيسى، ودكتور يونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٦- البلاذري ، أحمد بن يحيى.
- فتوح البلدان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٧- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر.
- كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق فوزي عطوي، بيروت سنة ١٩٧٠م.
- كتاب البخلاء، تحقيق فافلوتن، بيروت، بدون تاريخ.
- كتاب الحيوان، تحقيق الدكتور يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت سنة ١٩٨٦م.

- ٨- ابن خياط، أبو عمرو خليفه بن خياط الليثي العصفري.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق دكتور كرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٩م.
- ٩- ابن دريد ، أبوبكر محمد بن الحسن.
- الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المسيرة، بيروت سنة ١٩٧٩م.
- ١٠- الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة.
- ١١- ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم.
- المعارف ، تحقيق دكتور ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- ١٢- قدامة بن جعفر ، أبوالفرج.
- كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق دكتور محمد مخزوم، بيروت سنة ١٩٨٨م.
- ١٣- القرشي، أبوزيد محمد بن أبي الخطاب.
- جمهرة أشعار العرب، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ١٤- ابن كثير، عماد الدين أبوالفدا.
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة سنة ١٩٨٥م.
- ١٥- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.
- لسان العرب، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.
- نثار الجواهر، شرح أحمد عبدالفتاح تمام، بيروت سنة ١٩٨٨م.
- ١٦- ابن النديم، محمد بن اسحق، المعروف بالوراق.
- الفهرست، تحقيق دكتورة/ ناهد عباس، دار قطري بن الفجاءة، قطر سنة ١٩٨٥م.

- ١٧- السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن بن محمد.
- الإعلان بالتوبيخ عن ذم أهل التاريخ، نشرة روزنتال.
- ١٨- الهندي ، محمد طاهر بن علي.
- المغني من ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة والقابهم وأنسابهم،
بيروت سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٩- اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن واضح.
- كتاب البلدان ، دار إحياء التراث، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ.

* المراجع الحديثة :

- ١- سالم ، السيد عبدالعزيز ، دكتور.
- مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
- ٢- خليل ، عماد الدين ، دكتور.
- التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٨٣م.
- ٣- كاشف ، سيدة ، دكتور.
- مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، القاهرة سنة ١٩٦٠م.
- ٤- ماجد ، عبدالمنعم ماجد ، دكتور.
- مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ، القاهرة سنة ١٩٥٣م.
- ٥- مصطفى ، شاكر ، دكتور.
- التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت سنة ١٩٨٠م.
- ٦- الدوري ، عبدالعزيز.
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت سنة ١٩٦٠م.
- ٧- السالمي، العلامة نور الدين عبدالله بن حميد السالمي.
- تحفة الأعيان في تاريخ أهل عُمان، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٨- السيابي ، سالم بن حمود.
- عُمان عبر التاريخ، ٤ أجزاء وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٩- حسن ، علي إبراهيم.
- استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط، الطبعة الثالثة، النهضة المصرية سنة ١٩٨٠م.
- ١٠- روزنتال ، فرانتز.
- علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور/ صالح العلي، بغداد سنة ١٩٦٣م.

- ١١- العلي ، صالح ، دكتور.
- خطط البصرة ومنطقتها، بغداد ، سنة ١٩٨٦م.
- ١٢- عنان ، محمد عبدالله.
- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، القاهرة سنة ١٩٦٩م.
- ١٣- مؤنس ، حسين ، دكتور.
- التاريخ والمؤرخون ، دار المعارف ، ١٩٨٤م.
- ١٤- لويس ، برنارد.
- العرب في التاريخ، ترجمة دكتور نبيه فارس، ودكتور محمد يوسف زايد، بيروت.
- ١٥- هونشو.
- علم التاريخ، ترجمة عبدالحميد العبادي، القاهرة سنة ١٩٣٧م.

الفهرس

صفحة

- ١- القراءة الأولى : معجم الابانة للعوتبي.
د. ابراهيم الدسوقي ٧
- ٢- القراءة الثانية : العوتبي بين الفقه والأصول.
«سماحة الشيخ / أحمد بن حمد الخليلي» مفتي عام السلطنة. ٦٤
- ٣- القراءة الثالثة : العوتبي نسابة
أحمد بن سعود السيابي ٧٧
- ٤- القراءة الرابعة : العوتبي مؤرخا
أ. د. جاد محمد طه ٨٧
- ٥- القراءة الخامسة : الضياء - منهجا واسلوباً ولغة
د. عبدالحفيظ محمد حسن ١٠٣
- ٦- القراءة السادسة : المنهج التاريخي عند العوتبي
د. محمد قرقرش ١٤٦

صدر من هذه السلسلة عن المنتدى الأدبي

١- قراءات في فكر السالمي

٢- قراءات في فكر الخليلي

٣- قراءات في فكر البهلاني الرواحي

ما ورد في هذا الكتاب من قراءات
لايمثل بالضرورة رأي المنتدى الأدبي